

الدبلوماسي والسياسي



إعداد

علي عبد الفتاح





اليازوري

الإعلام
الدبلوماسي والسياسي

الإعلام
الدبلوماسي والسياسي

علي عبد الفتاح

الإعلام والسياسة

المقدمة

لم يعد يُخفى على أحد أهمية العلاقة بين الأعلام والسياسة على مستوى دول العالم أجمع وأن تفاوت الاستخدامات فإذا كانت السياسة جوهرها تحقيق المصالح فصار الأعلام أحد أهم هذه الوسائل لتحقيقها . فعلي صعيد الدول العربية التي يغلب عليها الطابع السلطوي حيث تهيمن السلطة السياسية على كل أجهزة الدولة .

يكون فيها الإعلام ما هو إلا جهاز تابع للسلطة السياسية وكأنه المؤسسة الرابعة للسلطة بعد المؤسسة التشريعية والقضائية والتنفيذية يسوق فقط لتحركات السلطة ويعتبرها كلها إنجازات حتى فقد المواطن العربي في أعلامه الثقة والمصداقية وأصبح المصدر الأول الذي يستسقى منه معلوماته هي الفضائيات وتنسى الإعلام العربي أن وظيفته الأولي هي التعبير عن ذلك الجمهور وأن يلعب دور حلقة الوصل بينهم وبين قمة النظام السياسي أي قياداته وغني عن ذكر السلبيات التي بدأت تتفشى في الإعلام العربي والتي تحولت بلا أدنى شك إلي ظاهرة وهي ظاهرة الانحدار القيمي والأخلاقي حيث بدا يتوجه إلي البرامج والأفلام والطرب المنحدر على مستوى الفكرة والكلمة والصورة فالانحدار الخلقي والقيمي الذي وصل إليه إعلامنا العربي صارت ظاهرة موخذية وربما من العوامل التي تفسر هذا الانحدار هو هروبه من القضايا الجوهرية التي تمس المواطن والتي بالتأكيد ستتعارض مع صورة السلطة السياسية التي يقدمها مجبراً لا مخيراً فهو ليس جهازاً مستقلاً .

وعلى صعيد الدول الديمقراطية تظهر أيضاً بوضوح العلاقة الارتباطية بين الإعلام والسياسة فلقد نجح الإعلام الغربي في أن يلعب الدور الاتصالي المنوط له بين الجمهور والقيادات السياسية إلا أن هذا لا ينكر عليه توجهه السياسي بدرجة ما، لاسيما الإعلام الأمريكي والإسرائيلي الذي يغلب عليه الطابع الدجمتي والسياسي، حيث تنتج إسرائيل أفلام تهدف من خلالها تأصيل المفاهيم الصهيونية مثل شعب الله المختار والأرض المقدسة ووعد صهيون .. كما تهدف من خلالها الضغط السياسي على الدول الغربية لتدعيم وجودها وسياستها في المنطقة فمثلاً الأفلام التي تتناول محرقة الهولوكوست والتي تهدف منها إسرائيل الضغط على

ألمانيا والدول الأوربية بزعم التكفير عن معاداتهم لليهود والتي تهدف من ورائها الحصول على مساعدات اقتصادية ودعم سياسي ، وكذلك السينما الأمريكية التي تهدف إلي الترويج للثقافة والقيم ونمط الحياة الأمريكية بهدف توسيع نطاق المصالح الاقتصادية للولايات المتحدة الأمريكية .

فإذا كان الإعلام العربي هو إعلام موجه من قبل السلطة السياسية لخدمة بقائها في السلطة فإن الإعلام الغربي لا سيما الإعلام الإسرائيلي والأمريكي موجه سياسياً لخدمة مصالحهم الاستراتيجية .

الفصل الأول
الدبلوماسية

الدبلوماسيـة

"الدبلوماسية" كلمة من اصل يونانـي(ديبلـوم) وكانت تُطلق على الوثيقة الرسمية المطويـة مرتين والصادرة عن الرؤسـاء السياسيين للمدن التي كان يتكون منها المجتمع الإغريقي القديم.

من المعنى السابق يمكن ملاحظة تطوّر استعمالها وعلاقتها بالاستعمال الحديث للدبلوماسية، حيث ان الممثل الدبلوماسي عند اعتماده من قبل الدولة التي تمثل لديها دولته فانه يُقدم خطابا (أوراق الاعتماد) من رئيس دولته أو وزير خارجيتها، وتُعد هذه الأوراق - بعد قبولها من الدولة المقدمة إليها- مصدر "المركز القانوني" الذي يتمتع به الممثل الدبلوماسي طبقاً للقانون الدولـي، وابتدءا من هذا التاريخ يحق للممثل الدبلوماسي التمتع بجميع المزايا الدبلوماسيـة.

يُعّرف البعض الدبلوماسية بأنها: السياسة الخارجية للدولة.ومنهم من يُعّرفها: بعلم وفن المفاوضات.

ويرى آخرون أنها: رعاية المصالح الوطنية في السلم والحرب، و ممارسة القانون الدولي العام .وما أجده تعريفاً شاملا وافيـاً للدبلوماسيــة: بأنها "مجموعة المفاهيم والقواعد والإجراءات والمراسم والمؤسسات والأعراف الدوليـة التي تنظم العلاقات بين الدول والمنظمات الدولية والممثلين الدبلوماسيين بهدف خدمة المصالح العليا للدول".

وآيـاً كان تعريف أصل الدبلوماسية أو تعريفها، فان مضمونها يتحقق في أدرك وظيفتها وأهميـة دورها في علاقات أشخاص القانون الدولـي (الدول والمنظمات) وذلك بالتوفيق بين مصالحهم بالطرق السلمية.

السلك الدبلوماسي

هو السلك الوظيفي الذي يحتوي على العاملين في السفارات والمُلحقيات والقنصليات والذين يتمتعون بالحصانة الدبلوماسية. ويشمل السفراء والقناصل والملحقين المختصين بشؤون محددة كالملحق العسكري والملحق الثقافي والتجاري وغيرهم.

وتمثل السفارة أو القنصلية مركز التمثيل الدبلوماسي، والمقر الذي ينطلق منه العمل الدبلوماسي في الدولة المضيفة. وللسفارات بأرضها ومبانيها حرمة لا يجوز انتهاكها أو المس بها لان ذلك يمثل انتهاكاً لسيادة تلك الدولة، فلا تتعرض للتفتيش أو دخول قوات الشرطة أو غيرها(إلا في حالات محدودة) كما لا يجوز فتح الرسائل والطرود والحقائق التي تحمل صفة الدبلوماسية، وتمنع القوانين التجسس والاتصالات للمكالمات الهاتفية. ومن حق رئيس البعثة الدبلوماسية ممارسة حق الإيواء، وهو منح الحماية من الشرطة أو العدالة المحلية للأشخاص غير التابعين لدولة رئيس البعثة الدبلوماسية وذلك انطلاقاً من مبدأ الاستقلال الذي تتمتع به السفارة.

مهنة الدبلوماسيـة

تتلخص مهنة الدبلوماسية في المهام المناطة بالموظف الدبلومـاسـي:

1. المفاوضات: وهي السبب الأصيل لوجود الدبلوماسيين، أي الرغبة في وجود مُمثل في عاصمة أجنبية يتمتع بصلاحية التفاوض على اتفاقات مع الدولة المضيفة و التعامل مباشرة مع الحكومة الأجنبية.
2. التمثيل: إن المبعوث الدبلوماسي هو الممثل لحكومة دولته وهو لا يفعل ذلك في المناسبات الرسمية فقط بل له أن يقدم احتجاجات أو استفسارات إلى الحكومة المضيفة ويبرز سياسات حكومته إلى الدولة المضيفة.
3. جمع المعلومات: من أهم الواجبات الأساسية على الدبلوماسي هو تقديم تقارير الى حكومته عن الأحداث السياسية وعن الأوضاع السياسية والقضايا المرتبطة بها فهو عين دولته التي تنظر بها وأذنها ولسانها.
4. الحماية: من واجب الدبلوماسي ان يرعى مصالح وأشخاص وممتلكات رعاية دولته في الدولة المضيفة.سواء من خلال ممتلكاتها ومشاريعها أو بحماية رعاياها ومواطنيها وتسهيل أمورهم.
5. العلاقات العامة: يقوم الدبلوماسي باستمرار بجهود لتوفير حسن النية لدولته ولسياساتها.
6. الإدارة: إن رئيس البعثة الدبلوماسية هو الرئيس الإداري الأعلى لها، وعلى ذلك تقع على عاتقه المسؤولية الإدارية النهائية للبعثة.

يجدر التأكيد، أن كل الامتيازات التي يحصل عليها الدبلوماسي ما هي إلا لتمكينه من ممارسة واجباته ومهماته المذكورة دون إعاقة من جانب سلطات الدولة المضيفة.

القانون الدبلوماسي

هو: فرع من فروع القانون الدولي العام الذي يضم القواعد القانونية التي تهتم بتنظيم العلاقات السلمية بين أشخاص القانون الدولي العام. وقد احتوت إتفاقيــة فينا للعلاقات الدبلوماسية عام 1961 جميع الحقوق والواجبات للدول والمبعوثين الدبلوماسيين(يُمكن الحصول على الاتفاقية من قسم الاتفاقيات بالموقع).

الدبلوماسية

الأمم المتحدة بمقرها الواقع في مدينة نيويورك، هي أكبر منظمة دبلوماسية دولية.

الدبلوماسية (مأخوذة من الكلمة اللاتينية diploma، والتي تعني وثيقة رسمية، والتي بدورها مشتقة من الكلمة اليونانية δίπλωμα، والتي تعني ورقة/وثيقة مطوية) هي نظم ووسائل الاتصال بين الدول الأعضاء في الجماعة الدولية، وهي وسيلة إجراء المفاوضات بين الأمم. ويطبق اليوم بعض أهل الأدب هذا التعبير على الخطط والوسائل التي تستخدمها الأمم عندما تتفاوض. فالتفاوض، في هذا المعنى يشتمل على صياغة السياسات التي تتبعها الأمم لكي تؤثر على الأمم الأخرى. وعندما يفشل التفاوض أثناء أزمة كبيرة، فإن الحرب تنشب في أغلب الأحيان.

ومن الناحية التقليدية يُشار إلى فن التفاوض على أنه الممارسة الرسمية التي تتبعها معظم الأمم في إرسال ممثلين يعيشون في بلدان أخرى. وهؤلاء الممثلون المفاوضون يُعرفون بالدبلوماسيين ويساعدون على استمرارية العلاقات اليومية بين بلادهم والبلاد التي يخدمون فيها. وهم يعملون من أجل مكاسب سياسية أو اقتصادية لبلادهم ولتحسين التعامل الدولي.

التاريخ

لم تستخدم الأمم دوماً فن التفاوض في حل المشكلات الدولية، فقد استخدم قدماء الرومان الممثلين الدبلوماسيين لأغراض خاصة فقط. ولكن بازدياد تعقيدات العلاقات بين البلدان، وجدت بلدان كثيرة أنها تحتاج إلى ممثلين دائمين في البلدان الأخرى. فظهرت السفارات لأول مرة في إيطاليا أثناء القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديّين حيث استُخدمت في ذلك الوقت بوصفها أماكن للجواسيس، ولعملاء الجاسوسية، بالإضافة إلى الدبلوماسيين. ويعتقد كثير من المؤرخين أن

الكاردينال الفرنسي ريتشيليو قد بدأ نظام الممثلين المقيمين خلال القرن السابع عشر.

ويرى بعض العلماء أن الممثلين الدبلوماسيين غير ضروريين في هذه الأيام بسبب سهولة التبادل على أعلى المستويات وتوفر أحدث وسائل الاتصال. ولكن الاتصالات الدبلوماسية الشخصية المتطورة لها عدة ميزات إذ يهتم الدبلوماسيون كثيراً بعقد صداقات مع موظفي الحكومة والمواطنين. وعندما يقدمون اقتراحًا رسميًا، يستطيعون التعويل على هذه الصداقات من أجل مساعدتهم. وباستطاعة الدبلوماسيين اختبار مدى ردود الفعل تجاه الأفكار التي تدرسها حكوماتهم من خلال التحدث مع هؤلاء الأصدقاء.

معاني الدبلوماسية

للدبلوماسية عدة معاني:

1) الدبلوماسية في اللاتينية : تعني الشهادة الرسمية أو الوثيقة التي تتضمن صفة المبعوث والمهمة الموفد بها، والتوصيات الصادرة بشأنه من الحاكم يقصد تقديمه وحسن استقباله أو تسير انتقاله بين الأقاليم المخـــتلفة وكانت هذه الشهادات أو الوثائق عبارة عن أوراق تمسكها قطع من الحديد (تسمى دبلوما).
2) أما المعنى الثاني : الذي استعمله الرومان لكلمة دبلوماسية والذي كان يفيد عن طباع المبعوث أو السفير وقصدت باللاتينية (بمعنى الرجل المنافق ذي الوجهين).

الواجبات الدبلوماسية

يقوم المفوضون الدبلوماسيون خارج بلادهم، بجمع المعلومات عن كل شيء ذي قيمة من وجهة نظر بلادهم. ويرسلون تقارير رسمية، غالباً ما تكون في شكل رموز. انظر: الرموز والشفرات.كذلك فإن المفوضين الدبلوماسيين يدافعون عن حقوق مواطنيهم الذين هم خارج البلاد.

يتخذ هؤلاء الدبلوماسيون مقرهم الرئيسي في السفارة أو في المفوضية، والفرق الوحيد بين السفارة والمفوضية هي درجة الدبلوماسي المكلف فالسفير يرأس السفارة، والوزير المفوض يرأس المفوضية.

الحصانة الدبلوماسية

يتمتع الدبلوماسيون بامتيازات وحصانات متعددة مهمة أثناء خدمتهم خارج بلادهم.وتعود هذه الامتيازات لكونهم الممثليين المباشرين لقوى ذات سيادة، وبإمكان هؤلاء الدبلوماسيين أن يتمتعوا باستقلال تام في التصرف لتأدية واجباتهم. وتُبنى هذه الامتيازات على مبدأ خروجهم عن نطاق التشريع الوطني. وهذا المبدأ الذي يستعمل في القانون الدولي، يشتمل على ضمان بقاء الناس الذين يعيشون في بلدان أجنبية في نطاق سلطات حكوماتهم الأصلية.

وهناك أربع مزايا وحصانات دبلوماسية هي:

- لا يجوز إلقاء القبض عليهم لأي سبب. ويتمتع أفراد أسرهم بهذا الاستثناء
- لا يجوز تفتيش أو احتجاز مساكنهم وأوراقهم وأمتعتهم
- لا يجوز فرض ضرائب على ممتلكاتهم الشخصية من قبل البلاد التي يخدمون فيها
- يتمتع الدبلوماسيون وعائلاتهم وموظفوهم بحرية العبادة الكامل

بروتوكول (دبلوماسية)

البروتوكول في السياسة الدولية، هو عبارة إتيكيتبقواعد الدبلوماسية وشؤون الدولة.

فالبروتوكول هو القاعدة التي توجّه الكيفية التي يجب أن يؤدى بها تصرّف أو نشاط ما. خاصّة في مجال الدبلوماسية. ففي المجالات الدبلوماسية ومجالات الخدمات الحكومية، فإن البروتوكول هو عبارة عن مجموعة من القواعد أو التوجيهات والتي تكون في أغلب الأحيان شفهية أو غير مكتوبة. فالبروتوكولات تحدد السلوك السليم أو المتعارف على قبوله فيما يتعلق بأصول الدبلوماسية وشؤون الدولة. ومثال ذلك اظهار الاحترام المناسب لرئيس الدولة، ومراعاة الترتيب الزمني (حسب الأقدمية أو العمر) للدبلوماسيين عند تنظيمهم في مجلس أو اجتماع ما. وبذلك فإن أحد تعريفات البروتوكول الدبلوماسي هو:

« مجموعة من قواعد المجاملة الدولية الراسخة التي جعلت من السهل على الدول والشعوب العيش والعمل معا، وقد كان دائما من أحد عناصر البروتوكول هو الاعتراف بالترتيب الهرمي لكل الحاضري (في جلسة ما) وتستند قواعد البروتوكول على مباديء التحضّر. - د. ب. م. فورني - نيابة عن الإتحاد الدولي لضبّاط ومستشاري البروتوكول»

تعريف البروتوكول

هنالك معنيان لكلمة بروتوكول:

- ففي المعنى القانوني، يعرّف البروتوكل على أنه اتفاقية دولية تكمّل أو تحسّن معاهدة ما أو أنه ملحق بمعاهدة ما. كما قد يطلق على الأصول أو القواعد التي يرجع إليها الأطراف عند الاختلاف في تفسير المعاهدة.
- أما في المعنى الدبلوماسي، فإنه يطلق على مجموعة القواعد والإجراءات والاتفاقيات والاحتفالات التي تتصل بالعلاقات بين الدول. أو مجموع الاجراءات والتقاليد وقواعد اللياقة التي تسود المعاملات الدولية، وتقوم تنفيذاً للقواعد الدولية والعامة أو بناءً على العرف الدولي.

وقد اشتقّ مصطلح بروتوكل من الكلمة الإغريقية بروتوكولان (بالإنجليزية: protokollan) وتعني: الغراء الأول. أتى هذا المصلح من فعل لصق ورقة على الجزء الأمامي من وثيقة للحفاظ عليها عندما كانت مختومة. والذي أضفى أصالة إضافية لها. تعلّق مصطلح بروتوكول في البداية بالأشكال المختلفة والملاحظة في المراسلات الرسمية بين الدول، والتي غالبا ما تكون ذات طبيعة تفصيلية. ومع ذلك، فإنه وعلى مر الزمن فقد اتسع هذا المصطلح ليشمل مجالا أوسع من العلاقات الدولية.

مهام القسم البروتوكولي

تتولى عادة جهة معينة في الدولة تنظيم المهام البروتوكولية، قد تكون هذه الجهة هي وزارة الخارجية، أو دائرة التشريفات في رئاسة الدولة أو الديوان الملكي، وقد تختلف مهام هذه الجهة التي تتولى شؤون المراسم في بعض الدول وتتباين من بلد لآخر إلا أنها وبشكل عام تتفق في مجموعة من الاختصاصات وهي:

- ترتيب وتنظيم وإعداد برنامج زيارات الوفود الرسمية الزائرة لبلد الاستقبال بما في ذلك رؤساء الدول ووزراء الخارجية وغيرهم من الشخصيات الرفيعة المستوى.
- استقبال الوفود والشخصيات الرسمية الزائرة.
- استقبال السفراء الجدد وتوديع المنتهية مهمتهم.
- الإشراف على الحفلات الرسمية التي يشترك فيها المبعوثون الدبلوماسيون.
- تنظيم المؤتمرات الدولية التي تعقد في دولة الاستقبال.
- إصدار الجوازات الدبلوماسية والخاصة والمهمة.
- منح سمات الخروج على الجوازات الدبلوماسية والخاصة والمهمة.
- منح بطاقات الهوية الدبلوماسية للمبعوثين الدبلوماسيين والقناصل المعتمدين وموظفي المؤسسات الدولية.
- تهيئة كتب اعتماد السفراء والقائمين بالأعمال الأصليين.

- إعداد قائمة السلك الدبلوماسي والسلك القنصلي وموظفي المؤسسات الدولية.
- تهيئة كتب اعتماد السفراء لدولة الإيفاد وترجمتها عند الاقتضاء.
- استلام صور من أوراق اعتماد السفراء والقائمين بالأعمال الأصليين.
- استلام البراءات القنصلية الخاصة بالقناصل الأجانب ومنحهم إجازات العمل.
- إعداد قائمة بالأعياد القومية الأجنبية وبرقيات التهاني بهذه المناسبات.
- اقتراح منح الأوسمة للدبلوماسيين عند الانتهاء من مهمتهم.

آداب البروتوكول

قواعد المجاملة في التعامل الدولي لا تختلف كثيرا عن قواعد المجاملة وحسن السلوك بالنسبة للأفراد. من حيث أنه ليس هناك حد أقصى لدرجة اللطف أو التهذيب، ولكن هناك حد أدنى لا يمكن تجاوزه إذ يصبح تحته السلوك واضحا جداً بأنه سيء.

وقد وجدت قواعد الإيتيكيت من آلاف السنين، وقد نشأت وتطوّرت قواعد صارمة في مختلف المجتمعات كانت مهمتها تنظيم السلوك السليم، منها: من الذي سيجلس أين، ومتى يجب عليك أن تقف أو بأي لقب عليك أن تخاطب شخصا ما، وكيف يمكن التعامل مع رؤسائك أو الطريقة السليمة للتعامل مع حاكم دولة، وكيف سيكون ترتيب المواكب، وما اللباس الذي سيتم ارتداؤه في أي مناسبة، وباختصار فإن أدب البروتوكول يحدد ما هو صحيح وسليم، وما يمكن أن يكون مقبولا وما لا يكون مقبولا، وما الذي يجب عمله وما لا يجب.

إن البروتوكول يختلف من مجتمع إلى آخر. ويتغير مع تغير الأوقات. وكما أصبحت الحياة الدبلوماسية عموما أكثر رسمية، وأدت وسائل السفر الحديثة إلى مزيد من الزيارات المتبادلة، فإن البروتوكولات أصبحت أيضا أقل رسمية، والعدة والعتاد والجعجعة التي كانت متبعة في السنوات الماضي قد أفسحت مجالا للمزيد من البراغماتية. ولكن هناك بعض المبادئ الأساسية التي لم تتغير مثل الأسبقية، وأشكال المراسلات بين الدول، وطبيعة الامتيازات والحصانات الدبلوماسية، والاحتفالات الرسمية للدولة.

التعليمات الدبلوماسية

أولاً : العمل على تنفيذ إجراءات مباشرة العمل وفق الأطر المعمول بها في الدولة المعتمد لديها .

ثانياً : تقديم أوراق الاعتماد بالتنسيق مع إدارة مراسم الدولة المعتمد لديها .

ثالثاً : العمل على تطوير قنوات الاتصال بوزارة خارجية وباقي سلطاتال دولة المعتمد لديها وفق النظم .

رابعاً : ايجاد قنوات الاتصال بوسائل الإعلام المؤثرة في الدولة المعتمد لديها .

خامساً : التعاون مع الجهات والمؤسسات الكويتية في الدولة المعتمد لديها والعمل على تقديم جميع التسهيلات لها .

واجبات رؤساء البعثات :-

1) أداء الوظائف المنصوص عليها في المادة الثالثة من اتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية لعام 1961 وهي :
   - تمثيل دولة الكويت لدى الدولة المعتمدة لديها التمثيل الأمثل.
   - حماية مصالح دولة الكويت وكذلك مصالح رعاياها لدى الدولة المعتمدة لديها في الحدود المقررة في القانون الدولي .
   - التفاوض مع حكومة الدولة المعتمدة لديها وفق التعليمات التي ترد من وزارة الخارجية والوزارات والمؤسسات الأخرى .
   - التعرف بكل الوسائل على ظروف وتطور الأحداث في الدولة المعتمد لديها وعمل التقارير عن ذلك لحكومة دولة الكويت .
   - تعزيز علاقات الصداقة والعلاقات الاقتصادية والثقافية والعلمية بين دولة الكويت والدولة المعتمد لديها .
   - مباشرة الأعمال القنصلية .
2) يراعي في مباشرة الوظائف السابقة أن تتم عبر وزارة خارجية الدولة المعتمد لديها.
3) ضرورة الرجوع إلى المصادر الرسمية في الدولة المعتمد لديها للحصول على المعلومات أو التأكد منها .
4) إعداد تقرير سنوي عن أعمال البعثة الدبلوماسية في نهاية كل عام متضمناً أهم المهام والأنشطة التي قامت بها البعثة خلال تلك الفترة ، وخطة العمل للسنة التالية على أن يتم الإشارة إلى أي عقبات أو صعوبات تواجهها البعثة .
5) يلتزم رئيس البعثة عند انتهاء مهمته بإعداد تقرير شامل عن فترة عمله بحيث يتضمن التالي :
   - تقييم الوضع السياسي في الدولة .
   - انجازات البعثة خلال فترة عملة .
   - تقييم شامل للعلاقات الثنائية .
   - تحديد الملفات محل البحث .
   - اهم الشخصيات المؤثرة في الدولة .

- أهمية عقد اجتماع بين رئيس البعثة المنتهية مهمته في الدولة المعتمد لديها والسفير الذي سيخلفه ومدير الادارة المعنية في وزارة خارجية دولة الكويت لمناقشة عناصر التقرير .

6) إخطار وزارة الخارجية بأي اجتماعات أو لقاءات تتم مع المسئولين في الدولة المعتمد لديها وتلقي التعليمات بشأن أي مو اقف يتم اتخاذه ا وذلك من خلال إدارة مكتب الوكيل والإدارات المعنية وإرسال تقارير بشأن نتائجها .
7) عدم الإدلاء بأي تصريحات أو الإفضاء بأي معلومات أو إصدار أية آراء إلا تلك المستندة إلى المصادر الرسمية الحكومية أو وفق التعليمات والعمل كذلك على عدم اصدار اي تصريحات تتعارض مع طبيعة العمل بوزارة الخارجية سواء من خلال وسائل الاعلام او وسائل التواصل الاجتماعي او غيرها .
8) عدم التدخل في أي شأن من الشئون الداخلية للدولة المعتمد لديها.
9) الإعداد الجيد للاجتماعات واللقاءات التي تتم في الدولة المعتمد لديها.
10) مباشرة الاختصاصات المنصوص عليها في القانون 21 لسنة 1962 نظام السلكين الدبلوماسي والقنصلي فيما يتعلق بأعضاء البعثة والمكاتب الفنية.
11) عقد اجتماعات دورية مع أعضاء البعثة من أجل تزويدهم بآخر المستجدات الوطنية والمواقف الرسمية لحكومة دولة الكويت تجاه التطورات الدولية.
12) اتخاذ كل الترتيبات اللازمة لسرية الوثائق والمستندات .
13) وجوب تحديد المهام المناطة بكل عضو من أعضاء البعثة .
14) اخطار الوزارة عن تاريخ مباشرة اعضاء البعثة لإعمالهم وتاريخ مغادرتهم ، وكذلك تاريخ ابتداء اجازاتهم وانتهاءها .
15) التأكد من اخلاء طرف اعضاء البعثة المنقولين منها (كإخلاء طرفهم مع مالك السكن والتوقيع على محضر تسليم العقار مع مالكه وكذلك تسليم لوحات المركبات الدبلوماسية والهوية الدبلوماسية وكل ما يتعلق بالأمور المالية وعهد وغيرها) .
16) الالمام التام والتمسك بالمزايا والحصانات المقررة في اطار اتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية لعام 1961 والقواعد المطبقة بشأنها لدى الدولة المعتمد لديها والحرص على استخدام الامتيازات والحصانات الدبلوماسية للإغراض الممنوحة من اجلها وعدم إساءة توظيفها لغير ذلك .
17) تمكين أعضاء البعثة من الاطلاع على التقارير السياسية الواردة للبعثة أو الصادرة منها إلا ما هو محدود التداول .
18) وضع نظام للعمل بالسفارة يراعي فيه الموائمة بين مقتضيات العمل وظروف الدولة المعتمد لديها وقوانينها .

19) مباشرة اختصاص الإشراف والتفتيش الممنوح لرئيس البعثة تجاه القنصليات المنشأة في دائرة اختصاص الدولة المعتمد لديها وإصدار التعليمات لجميع موظفي تلك القنصليات فيما يتعلق بما يلي:
- بداية ونهاية الدوام الرسمي وتحديد العطل الرسمية .
- أخذ التعليمات بشأن المشاكل القنصلية التي يرى رئيس بعثة التمثيل القنصلي عرضها على رئيس البعثة الدبلوماسية.
- الإحالة للتحقيق.
- الوقف عن العمل.

20) إبلاغ الوزارة بأي وقائع صادرة عن اعضاء البعثة تكون مخالفة لواجباتهم الوظيفية وتلقي التعليمات بشأنها.
21) لدى نشوب أي نزاع تكون البعثة او احد اعضائها طرفا فيه مع الأشخاص والشركات في الدولة المعتمد لديها، يجب على رئيس البعثة محاولة إتمام تسوية ودية للنزاع قبل مباشرة اجراءات التمسك بالحصانة الدبلوماسية .
22) التواصل مع وسائل الإعلام المؤثرة في الدولة المعتمد لديها من أجل التعريف بدولة الكويت وإبراز مساهماتها الخارجية في العلاقات الدولية .
23) حضور كافة المناسبات الوطنية والاجتماعية والدبلوماسية والمشاركة في المؤتمرات والندوات والفعاليات التي تقام في الدولة المعتمدلديها وإرسال تقارير بشأنها.
24) التواصلمع المواطنين الكويتيين المقيمين في الدولة المعتمد لديها و تنظيم لقاءات دورية معهم وكذلك مع الجهات الكويتية في الدولة المعتمد لديها.
25) العمل على توفير كل سبل الأمن لمباني السفارة وأجهزتها ومركباتها .
26) الإبلاغ والاستئذان من الوزارة قبل أي مغادرة لمدينة أو إقليم مقر العمل .
27) وجوب إتمام المراسلات مع أي جهة كويتية عن طريق وزارة الخارجية .
28) العمل على إطلاع عضو البعثة التالي له في الوظيفة على ما يتعلق بسير العمل بالبعثة، وعلى اتصالاته ولقاءاته مع المسئولين وغيرهم فيالدولة المعتمدلديها.
29) الاشراف على العمل الاداري والمالي والقنصلي بالبعثة فيما يتفق مع القوانين واللوائح والتعليمات .
30) انجاز تقارير كفاءة الموظفين بعد نهاية شهر ديسمبر و قبل نهاية شهر يناير من كل عام .
31) خلق الأجواء المناسبة لبناء علاقات طيبة بين أعضاء البعثة وأسرهم .
32) تسهيل قيد أبناء أعضاء البعثة المنقولين في مؤسسات التعليم المختلفة .

33) تكليف أعضاء البعثة في المشاركة في الأنشطة الاجتماعية والدبلوماسية وإرسال تقارير بذلك للوزارة .
34) إبلاغ الوزارة فوراً عن أعضاء البعثة الذين يجمعون بين صفاتهم الرسمية وأي عمل تجاري أو مهني يباشرونه في الدولة المعتمد لديها، كذلك الأمر لدى الجمع بين الوظيفة والدراسة .
35) إخطار الوزارة بكل العقود التي يتم إبرامها مع الموظفين المحليين ، وضرورة مراعاة الالتزام بكل من تعليمات الوزارة بشأنها ، وكذلك قوانين العمل والضمان الاجتماعي في الدولة المعتمد لديها .
36) حظر استلام أي أوراق قضائية أو أي مخاطبات رسمية إلا عن طريق وزارة خارجية الدولة المعتمد لديها .
37) عدم استقبال أي من ممثلي الأحزاب السياسية ومنظمات المجتمع المدني إلا بعد التشاور مع الوزارة وأخذ موافقتها .
38) إخطار الدولة المعتمد لديها لدى إقامة أي نشاط خارج مقر البعثة وأخذ موافقتها .

يلتزم كل عضو بعثة بأن يؤدي عمله في إطار الوظائف المشار إليها في المادة الثالثة من اتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية لعام 1961 والموافق عليها بمقتضى القانون رقم 23 لسنة 1969 وهي :

- تمثيل دولة الكويت لدى الدولة المعتمد لديها التمثيل الأمثل ، والعمل على
  إعطاء صورة حضارية عن دولة الكويت .
- حماية مصالح دولة الكويت وكذلك مصالح رعاياها لدى الدولة المعتمد لديها في الحدود المقررة في القانون الدولي .
- التفاوض مع حكومة الدولة المعتمدة لديها وذلك حسب التعليمات .
- التعرف على ظروف وتطور الأحداث في الدولة المعتمد لديها وإعداد التقارير بشأنها.
- تعزيز علاقات الصداقة والعلاقات الاقتصادية والثقافية والعلمية بين دولة الكويت والدولة المعتمد لديها .
- مباشرة الأعمال القنصلية حسب التعليمات .

39) أن يكون مباشرة الوظائف السابقة بعد استئذان رئيس البعثة أو من يحل محله في الأقدمية ، وعبر وزارة خارجية الدولة المعتمد لديها .
40) القيام بأداء ما يعهد به إليه من أعمال ومهام من جانب رئيس البعثة.
41) الحرص على متابعة ورصد وتسجيل الآراء والتحليلات وردود الفعل المتعلقة بمواقف دولة الكويت في الدولة المعتمد لديها .

42) عدم الإدلاء بأي تصريحات أو الإفضاء بأي معلومات أو إصدار آراء إلا تلك المستندة إلى المصادر الرسمية الحكومية ووفق التعليمات والعمل على عدم اصدار اي تصريحات تتعارض مع طبيعة العمل بوزارة الخارجية سواء من خلال وسائل الاعلام او وسائل التواصل الاجتماعي او غيرها .
43) الالمام التام والتمسك بالمزايا والحصانات المقررة في اطار اتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية لعام 1961 والقواعد المطبقة بشأنها لدى الدولة المعتمد لديها والحرص على استخدام الامتيازات والحصانات الدبلوماسية للإغراض الممنوحة من اجلها وعدم إساءة توظيفها لغير ذلك.
44) المشاركة في حضور كافة المناسبات الوطنية والاجتماعية والدبلوماسية والمؤتمرات والندوات والفعاليات التي يدعى أو يكلف بها عضو البعثة ورفع تقارير بشأنها لرئيس البعثة.
45) الحفاظ على سرية الوثائق والمستندات ، وكافة ممتلكات البعثة وأجهزتها ومركباتها .
46) التأكيد على أن تكون المراسلات مع أي جهة كويتية عن طريق وزارة الخارجية .
47)
48) عدم التدخل في أي شأن من الشئون الداخلية للدولة المعتمد لديها.
49) كتابة التقارير عن الوضع السياسي والاقتصادي في الدولة المعتمد لديها وتطور الأحداث فيها ورفعها لرئيس البعثة و إبلاغه بأية معلومات تتعلق بالعمل .
50) توطيد العلاقات مع جميع أفراد البعثة في إطار من الاحترام والعمل بروح الفريق الواحد ، والتواصل مع الجالية والجهات الكويتية في الدولة المعتمد لديها.
51) الالتزام بنظام العمل المقرر في البعثة سواء بالنسبة للحضور والانصراف ، والإجازات والاستئذان والنقل .
52) حظرمغادرةنطاقدائرةاختصاصالبعثة في الاجازات والعطل الرسمية إلابعدالتنسيق معرئيسالبعثةأومنيحلمحله .
53) إخطار رئيس البعثة بأي طارئ قد يلحق به من أجل اتخاذ الإجراءات اللازمة .
54) الابتعاد عن ممارسة أي نشاط تجاري أو مهني .
55) الابتعاد عن مواطن الشبهات وكذلك التورط في علاقات خاصة تعد مخالفة للآداب العامة في دولة الكويت أو الدولة المعتمد لديها.

56) الحرص على التحلي بالمظهر اللائق، والسلوك القويم الذي يميز بعثات دولة الكويت.
57) احترام قوانين ونظم وتقاليد الدولة المعتمد لديها.
58) حظر الجمع بين العمل والدراسة وفقاً لقرارات الخدمة المدنية وا لقرار الوزاري رقم 2003/40 والقرارات اللاحقة له .
59) القيام بالأعمال التي تدخل ضمن نطاق اختصاصهم الوظيفي ووفقا لواجبات ومقتضيات وظيفة التمثيل الدبلوماسي بالإضافة الى ما يوكل اليه من اعمال من قبل رئيس البعثة.
60) الالتزام بما ورد في قانون الخدمة المدنية ونظام الخدمة المدنية فيما لم يرد به نص في قانون السلكين الدبلوماسي والقنصلي.

كل من يخالف التعليمات السابقة يتعرض للجزاءات المنصوص عليها في قانون السلكين وكذلك قانون الخدمة المدنية بالنسبة للموظفين الإداريين العاملين بالبعثات التمثيلية في الخارج.

المكتب الاعلامي

يختص المكتب الاعلامي بما يلي:

- إعداد مشاريع البيانات والتصريحات الصحفية التي تصدر عن الوزارة . -2رصد ومتابعة وتحليل الاحداث اليومية داخل الدولة وخارجها من خلال وكالات الانباء ووسائل الإعلام المحلية والعربية والدولية وتقديم عرض موجز للوزير ووزير الدولة بشأنها.
- تزويد البعثات الدبلوماسية لدولة قطر بالخارج بتقارير إخبارية عن مجرى الاحداث الوطنية في مختلف المجالات.
- التنسيق مع مراسلي الصحف ووكالات الانباء ووسائل الاعلام المحلية والعربية والاجنبية المختلفة وتزويدها بما يصدر عن الوزارة من بيانات صحفية حول الاحداث داخل الدولة وخارجها .
- إصدار المجلات والنشرات الإعلامية الدورية وتوزيعها داخل الدولة وخارجها.
- توفير الخدمات المتطورة لمكتبة الوزارة وتزويدها بمصادر المعرفة المتخصصة المرتبطة بمجالات العمل الدبلوماسي والقنصلي.
- -7القيام بأعمال الترجمة التحريرية والشفوية للموضوعات والوثائق والتقارير والأعمال المرتبطة بأنشطة الوزارة.

الدبلوماسية .. بين الحديث والقديم!

كان الهدف العام للدبلوماسية القديمة هو الاستقرار الأوروبي وليس المساواة العالمية وقد تحقق هذا الهدف من خلال الاتفاق الأوروبي عام 1815 الذي حقق لأوروبا مائة عام تقريباً من السلام وكان أبطال هذا الإنجاز هم رجال الدولة ودبلوماسيين مثل بسمارك ومترينخ وكاسترو.

غير أننا يجب أن نلاحظ أن هذه المائة عام من السلام والتي ستثير شجن وحنين الدبلوماسيين والساسة في الأجيال التالية قد قامت في ظروف استثنائية ، ونتيجة لسياسة توازن القوى balance of power ووجود شبكة من المصالح المتبادلة في التجارة، كما كان عدد الفاعلين في المسرح الدولي قلة، وقدم لهم صغر القارة الأوروبية فرصة التفاعل السريع حيث زادت الإلفة بين رجال الدولة والسفراء والتي تجاوزت الحدود القومية ومع بلاطهم الملكي الذي كان نشطاً بشكل خاص في الدبلوماسية كون رجال الدولة والدبلوماسيون مجتمعاً ارستقراطياً تجاوز القوميات وكان هذا هو عصرهم الذهبي وخلق التقدم الاقتصادي مع استمرار السلام سحراً يوتوبياً جعل كاتباً كبيراً مثل فيكتور هوجو يكتب عن "موت الحرب".

غير أنه ومع مطلع القرن العشرين بدأ أن النظام الدولي سوف يتميز بالاضطراب العنيف لا بالتناسق والاستقرار، فقد أزاحت الحرب الأولى أربع امبراطوريات كبرى من القوى السبع التي كانت على المسرح الدولي، وكان على الدبلوماسية التقليدية في جوهرها أن تهيئ نفسها وتتكيف مع عصر ثوري جديد وكان التجديد الحاسم في هذا العصر هو إنهاء الاحتكار الأوروبي نتيجة لدخول الولايات المتحدة في المجموعة الصغيرة للأعضاء الكبار في المجتمع الدبلوماسي. رغم أن هذا التطور قد بدأ بالاتجاه الانعزالي الذي ساد الولايات المتحدة، وحيث كان هذا الاتجاه يود لو لم يكن للعالم الجديد سياسة خارجية على الإطلاق ابتعاداً عن مشاكل أوروبا وصراعاتها وحروبها، وحيث أعلن جون آدمز أن عمل أمريكا مع أوروبا هو التجارة وليس السياسة أو الحرب ، وأنه حتى عام 1906م كان للولايات المتحدة ست سفارات في الخارج والباقي مفوضيات، ورغم كل ذلك، إلا أن الاتجاه الانعزالي لم يصمد أمام التطورات التي أرغمت الولايات المتحدة أن تندمج فيها وتصبح هي ودبلوماسيتها من العوامل المؤثرة في توجيه الحياة والدبلوماسية الدولية إن لم تكن هي العامل الحاسم فيها.

وقد توافق مع هذا التطور بدء تعرض الدبلوماسية القديمة او التقليدية وأساليبها لهجوم مستمر منذ الحرب العالمية الأولى واستمر هذا الهجوم الذي صحبته تطورات جذرية في البيئة الدولية حتى كادت الدبلوماسية القديمة أن تنبذ منذ نهاية الحرب الثانية. ويلخص هانز مورجانثو الحجج التي استند عليها الهجوم على الدبلوماسية القديمة في :

1) أنها مسؤولة عن الكوارث السياسية التي حاقت بالبشرية خلال الحقب التي سيطرت فيها أساليبها، والمنطق يقول إن الأساليب التي ثبت عدم صحتها يجب أن تستبدل.
2) أن الدبلوماسية التقليدية إنما تتعارض مع مبادئ الديموقراطية لذلك كان على الدبلوماسية أن تكون مفتوحة ومعرضة للفحص في كل عملياتها.
3) أن الدبلوماسية التقليدية بشكلياتها غير ذات جدوى ومضيعة للوقت ومتعارضة بمساوماتها مع المبادئ الأخلاقية.

أما العوامل الحاسمة التي أدت إلى تراجع الدبلوماسية القديمة ونشوء الدبلوماسية الجديدة فكانت نتيجة لثلاثة تطورات رئيسية : التغيير الذي لحق بتكوين الأسرة الدولية، طبيعة الاهتمامات الدولية ومن ثم أهداف العملية الدبلوماسية، ثم ثورة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات.

فبالنسبة للعامل الأول فقد كان عدد الدول التي تمارس العملية الدبلوماسية عند بداية نظام الدولة الحديثة عند منتصف القرن السابع عشر اثنتي عشر دولة

أوروبية ومنذ هذا الوقت تضاعف هذا العدد عدة مرات. ففي نهاية القرن 18 وبداية القرن 19 حدث تحول أساسي حيث حصلت الولايات المتحدة وخمس عشرة دولة لاتينية على الاستقلال، الأمر الذي ضاعف من عدد الدول المكونة للمجتمع الدولي واتسعت الساحة الدولية حيث شملت نصف الكرة الغربي. ثم حدث نمو مفاجئ وإن كان بطيئاً في منتصف القرن 19 حيث انضمت إلى المجتمع الدولي الصين واليابان وعدد من دول أمريكا الوسطى وليبيريا ونما هذا التوسع بشكل أكبر بعد الحرب العالمية الأولى وخاصة في البلقان وجنوب شرق أوروبا والشرق الأوسط حيث بلغ عدد الدول ما يقرب من 65 دولة. غير أن المجتمع الدولي شهد أكبر توسع له نتيجة لموجه الاستقلال بعد الحرب العالمية الثاني حيث انضم 75 عضواً جديداً خاصة من العالم العربي وأفريقيا وآسيا والباسيفيكي حيث وصل عدد الدول التي تتمتع بعضوية الأمم المتحدة 185 دولة وبطبيعة الحال نتج عن هذا التوسع في المجتمع الدولي توسع كبير في الصلات والعلاقات الدبلوماسية والمفاوضات والأجهزة الدبلوماسية.

أما العامل الثاني في نشوء الدبلوماسية الحديثة فقد تمثل في التغيير النوعي الذي نجم عن تقلص الحدود بين الدول والثورة الصناعية وتزايد الاعتماد على التجارة وتنوعها والاكتشافات العلمية والتداخل المتزايد بين الدول في الشؤون الثقافية والمالية والاجتماعية وتعامل الحكومات مع نطاق واسع من القضايا والمشكلات.

فإذا كانت اهتمامات الدول ومن ثم جهازها الدبلوماسي تنحصر في القرن 19 في عدد محدود من القضايا مثل قضايا السلام والحرب والاستراتيجية وحماية المواطنين في الأراضي الأجنبية وحقوق الملاحة والتجارة وتسليم المجرمين، وحيث كان ما عدا ذلك من قبيل الاهتمامات الأدنى low politics والتي إن أثارت الاهتمام فهي تترك للمستويات الوظيفية الأقل، أما اليوم فقد اتسع نطاق اهتمامات الدولة بشكل أصبح يشمل - إضافة إلى الاهتمامات التقليدية - قضايا مثل الطعام والطاقة والمياه والبيئة والسكان والهجرة ومقاومة الإرهاب والسكان والانتشار النووي والأمراض.

والعامل الثالث يتمثل في ثورة الاتصالات والمعلومات التي جاءت لكي تحدث تغييراً نوعياً في ظهور الدبلوماسية الحديثة. فالثورة التكنولوجية في مجال النقل والاتصالات أصبحت تسمح بإجراء اتصالات طويلة ومشاورات بالبرقيات والفاكس والخط الساخن الذي يربط بين الرؤساء خاصة، وأصبح من الممكن عقد مؤتمرات وحوارات عبر الاتصالات السلكية واللاسلكية والأقمار الصناعية ومكن هذا المتفاوضين وهم على مائدة المفاوضات من الاتصال بعواصم بلادهم

والحصول على التوجيهات من صناع القرار في عواصمهم. كما كان لثورة المعلومات وسرعة نقلها عبر الشبكات والقنوات التلفزيونية تأثيراً حاسماً على عمل الدبلوماسي وكمية ما هو متاح له من أخبار ومعلومات وتقييمات وجعله في مركز الأحداث العالمية وهو في مكتبه وجعله هذا في سباق مع الزمن لكي يلاحق هذه الاحداث ولا يتخلف عنها.

أما السبب الآخر لظهور الدبلوماسية الحديثة فهو بروز تصور أكثر ديموقراطية للعلاقات الدولية، فقد كانت إدارة العلاقات الدولية خلال عصر الدبلوماسية القديمة والتقليدية توكل إلى صفوة من الرجال المختارين التي تتفاوض وتقرر سياسات بلادها وعلاقاتها، الأمر الذي تغير في ظل نظم الحكم الديمقراطية، حيث أصبح الرأي العام ذا تأثير بالغ على صانع السياسة ومنفذها من خلال وسائل الإعلام والأحزاب والاجتماعات الشعبية والبرلمانات والمظاهرات وصناديق الاقتراع. وهكذا أصبحت الدبلوماسية ذات طابع ديموقراطي democratized diplomacy وبحيث أصبحت تسمى أحياناً بالدبلوماسية الشعبية people diplomacy بما يعني نفوذ وتأثير الأجهزة الشعبية والتمثيلية على العلاقات الخارجية وإداراتها.

إذا كانت هذه هي العوامل الرئيسية في التحول الذي حدث في الدبلوماسية الحديثة ونقلها من طبيعتها ومنهجها ومضمونها التقليدي الكلاسيكي إلى الدبلوماسية الجديدة ذات المضمون - وإن ظل محتفظاً بعناصر من مضمون الدبلوماسية القديمة - إلا أنه ازداد اتساعاً وتنوعاً في موضوعاتها وغاياتها كما اختلفت كذلك في مناهجها وأدواتها. إذا كان الأمر كذلك فما هي أهم الخصائص التي أصبحت تميز الدبلوماسية الحديثة والمعاصرة.

لقد أظهرت العوامل التي كانت وراء هذا التحول عدداً من الخصائص الدبلوماسية الحديثة، فقد أصبحت تعمل في بيئة دولية أكثر اتساعا وتعددا وتنوعا من التي كانت تعمل فيها الدبلوماسية القديمة. واتسع نطاق القضايا والموضوعات التي تعالجها وينشغل بها الدبلوماسي وتشكل جدول أعماله اليومي كما أصبحت تعمل في ضوء العلانية ومتابعة وسائل الاعلام وكذلك تحت تأثير المؤسسات الديمقراطية ويقظة الرأي العام. بالاضافة الى هذه الخصائص المرتبطة بعوامل التغير التي طرأت على الدبلوماسية ، ثمة خصائص أصبحت من المعالم الرئيسية للدبلوماسية المعاصرة.

من أهم هذه المعالم وأولها أن الدبلوماسية اليوم أصبح يطلق عليها ما يمكن تسميته الدبلوماسية الشاملة او الكاملة Total Diplomacy . فلم يعد الدبلوماسي قانعا بممارساته التقليدية من حفلات ومآدب عشاء وغذاء واستقبالات أو بكتابة

التقارير والتحليلات والتنبؤات ، إنما أصبح الدبلوماسي اليوم هو الذي يدير وينسق نطاقا عريضا من النشاطات والاهتمامات العريضة للبلد المعتمد فيه وبحيث يمكن القول ان الدبلوماسي الحديث يجب ان يتوقع معالجة كل مظاهر الحياة البشرية إذ أن كل مظهر للوجود البشرى أصبح اليوم تقريبا له بعض الأبعاد الدولية ، الأمر الذي جعل من الدبلوماسية التي كانت يوما ما عملا بسيطا عملية معقدة ليس فقط نتيجة للعدد المتزايد من المشكلات والقضايا المعقدة والمتشابكة التي تواجه الدول والمجتمع الدولي وإنما أيضا نتيجة للعدد المتزايد من الدول.

أما المعلم الثاني الذي أصبح يميز الدبلوماسية المعاصرة وأصبحت معه تسمى الدبلوماسية الترابطية Associative Diplomacy فقد نجم عن النمو المستمر في تكوين المجموعات الاقليمية والدولية Groupings وهو الاتجاه الذي تشكل به هذه المجموعات علاقات سياسية واقتصادية أوثق مع دول أخرى تربطها بها روابط استراتيجية وسياسية واقتصادية وتجارية .

ويبدو هذا الاتجاه واضحا في توسيع وتعميق مجموعات كانت قائمة مثل السوق الأوروبية المشتركة EEC والتي توسعت لتصبح الاتحاد الأوروبي EU وأصبحت تضم اليوم 15 عضوا ، ولم تتسع في العضوية فقط وإنما كذلك في طبيعة الروابط بينها بحيث أصبحت تتجه وفقا لمعاهدة ماستريخت في ديسمبر عام 1991 الى الوحدة النقدية والسياسية والاقتصادية.

وعلى المستوى الآسيوي نجد رابطة دول جنوب شرقي آسيا : الآسيان ASIAN ، ومنتدى التعاون الاقتصادي لدول آسيا باسيفيك APEC ، ثم تجمع NAFTA الذي يضم الولايات المتحدة وكندا والمكسيك. بالاضافة الى تجمعات فرعية Sub-groupings في النطاق العربي : مجموعة الدول الخليجية التي يجمعها مجلس التعاون الخليجي GCC ، ومجموعة الدول المغاربية التي يجمعها اتحاد المغرب العربي ، وفي النطاق الافريقي : مجموعة دول غرب افريقيا ECAWAS ومجموعة الجنوب الافريقي SA-DAC ، وفي الاطار اللاتيني مجموعة الميكروسول Micro sole وهي المجموعات الفرعية التي تعمل بجوار المنظمات الاقليمية الأوسع مثل منظمة الوحدة الأفريقية ، وجامعة الدول العربية ، ومنظمة الوحدة الأمريكية.

وعلى مدى الحقبتين الماضيتين ثمة نمو ملحوظ في تطور الدبلوماسية المعاصرة حول قضايا اجتماعية واقتصادية وفنية أو ما أصبح يعرف بالقضايا العالمية Global Issues ، وهي القضايا التي اصبحت عمليا تشكل جدول أعمال الاهتمامات الملحة للمجتمع الدولي وتفرض طبيعتها المتشابكة وآثارها الممتدة التي تتعدى حدود الدول بل والقارات ، ويصبح من الصعب على دولة واحدة مهما كانت

إمكانياتها أن تواجهها منفردة ، ولهذا تتطلب جهدا وتنسيقا جماعيا ، ومثل هذه القضايا هي التي انعقدت حولها - تأكيدا للصفة الدولية لها تحت رعاية الأمم المتحدة - مؤتمرات دولية مثل البيئة ، والسكان ، والتنمية الاقتصادية والاجتماعية ، وحقوق الإنسان والمرأة ، الى جانب قضايا عريضة أخرى تنتظر وتتطلب جهدا دوليا جماعيا مثل : الإرهاب الدولي ، والجريمة ، والهجرة ، والأمراض والتلوث والانتشار النووي ... الخ.

وقد فرضت هذه المهام الجديدة على الأجهزة الدبلوماسية أن تعيد تنظيم هياكلها وأولوياتها بحيث أصبحت الإدارات والأقسام التي تعالج هذه القضايا لها الأولوية على غيرها من الإدارات التقليدية التي تعالج القضايا السياسية ، وانسحب هذا على الأفراد الذين يتولون هذه المهام ، واصبح هناك تنافس بين أعضاء الأجهزة الدبلوماسية على العمل والتخصص في هذه الأنشطة الجديدة والتي أصبحت تتطلب ثقافة وتكوينا جديدا ، وأصبح ترتيب حضور هذه المؤتمرات وكذلك احتمال تنظيمها موضوعيا وإداريا وفنيا من أهم ما يشغل وزارات الخارجية والتي تتولى مسئولية هذه المؤتمرات الدولية التي تعقد في بلادها حتى تلك التي تعالج قضايا بعيدة عن القضايا السياسية التقليدية سواء من حيث المشاركة الدولية فيها أو من الناحية التنظيمية ، وإعداد الكوادر الفنية اللازمة : السكرتارية ، الترجمة ومصاحبة الوفود الزائرة.. الخ.

غير أنه مع الأهمية التي أصبحت للدبلوماسية المتعددة Multilateral Diplomacy في مثل هذه القضايا العالمية وتأثيرها المتزايد على فرص استقرار السلام والأمن الدوليين ، إلا أن الدبلوماسية المتعددة اصبحت تمارس الآن بشكل متزايد في مجال هام آخر وهو العمل على تحقيق حلول للصراعات conflict Resolution خاصة بعد أن تعقدت مثل هذه الصراعات وتعمقت بدخول عوامل عرقية ودينية ، وبعد أن بات من الصعب على دولة واحدة ، حتى وإن كانت قوة كبرى ، أن تحقق بمفردها حلولا لمثل هذه الصراعات.

غير أن الخبرة قد أظهرت أن فعالية الدبلوماسية المتعددة في تحقيق حلول لهذه الصراعات يرد عليها قيود عديدة ، كما سوف تظل عاجزة طالما أصرت أطراف النزاع على إدارته بالوسائل العسكرية ، ولا تبدأ الدبلوماسية المتعددة في ممارسة دور فعال إلا بعد أن تستنفد أطراف الصراع جهودها العسكرية وتصل المواجهة بينهم الى مرحلة الجمود Deadlock كما أظهرت خبرات الصراعات في الشرق الأوسط في كمبوديا وأنجولا وأخيرا في البلقان.

ولعل أهم ما أصبح يميز البيئة الدبلوماسية الجديدة هو تأثرها بوسائل الاعلام والعلانية التي تفرضها عليها. ويسجل مؤرخو الدبلوماسية بدء تصدع نظام

الدبلوماسية القديمة بتراجع طابع التكتم والسرية والخصوصية التي كانت تتميز بها العملية الدبلوماسية وخاصة في أهم جوانبها وهي المفاوضات.

وثمة أمثلة حديثة تظهر تأثير وسائل الاعلام على الاتصالات الدبلوماسية وخاصة خلال الأحداث الدقيقة ، وقد بدأ هذا واضحاً خلال أزمة الرهائن الأمريكيين في إيران ، وحيث كانت الاتصالات حولها والجانب الأمريكي يقبع تحت ضغط إثارة وسائل الإعلام ومتابعتها للأزمة لحظة بلحظة ، كما بدأ ذلك أيضا خلال أزمة الخليج التي كانت فيها وسائل الإعلام طرفا أساسيا ومؤثرا في اتجاه الأزمة وتناولها.

وخلال عملية التفاوض وجلساتها يعمل المتفاوضون وفي أذهانهم ماذا سيقولونه لأجهزة الإعلام ومراسليها الذي يتربصون بهم ويلاحقونهم بعد انتهاء كل جلسة ويعلم كل جانب أنه وهو يخاطب أجهزة الإعلام عن مجرى المفاوضات وما حققته من نجاح أو فشل ، إنما يخاطب الرأي العام في بلاده بكل اتجاهاته مواقفه من موضوع المفاوضات.

ولعل إدراك تأثير ذلك على عملية التفاوض وإمكانات نجاحها هو الذي يدفع الى ترتيب إجراء المفاوضات ، خاصة حول القضايا المعقدة والشائكة ، في معزل تام عن عيون أجهزة الإعلام وهو ما رأيناه في مفاوضات كامب ديفيد حول قضية الشرق الأوسط ، وكذلك حول جو العزلة والسرية المطلقة التي احاطت بالتفاوض بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية للتوصل الى اتفاق اعلان المبادئ واختيارهم بلدا في أقصى الشمال وهي النرويج لعقد هذه المفاوضات ، كما تم ترتيب نفس أجواء العزلة للمفاوضات التي عقدت في ولاية دايتون بولاية أوهايو الامريكية بين الاطراف المتنازعة حول البوسنة والهرسك.

على أية حال ، إذا كان التظلم الدبلوماسي يعيش الآن عصر الدبلوماسية الحديثة بمكوناتها وخصائصها التي أسلفناها ، إلا أن علينا أن ندرك أنه من المنظور النظري والعلمي فإن الدبلوماسية كأي مؤسسة بشرية في عملية ديناميكية تتعرض لتغييرات الزمن وما يأتي به من قوى ومؤثرات جديدة ، لذلك نجد ان كل عصر يمر بتجديد جوهري في أساليبه وصيغه الدبلوماسية ، الأمر الذي يتوقع معه بعض مؤرخي الدبلوماسية أن صيغة اليوم من الدبلوماسية التي نصفها بأنها جديدة يمكن أن تختلف عن تلك التي سنجدها في المستقبل ، وهو الاتجاه الذي بدأ فعلا حيث شرعت وزارات خارجية ، خاصة الدول الكبرى ، في التخطيط لاعادة بناء هياكلها ونظمها واساليب العمل فيها وإعادة تدريب وإعداد دبلوماسييها لكي تواجه متطلبات القرن الجديد بأوضاعه وأدواته وعلاقاته المتغيرة.

الكاريزمـا الإعلامية

الدبلوماسي

إذا كانت الدبلوماسيــة وجه جميل للسياســة، فان الإعلام هو الضوء الذي يُمكنك أن ترى به ملامـح هذا " التجمــل..!"

وبعد عمر طويــل من العداء بين الدبلوماسية والإعلام لم يعد لهما من الصداقة بدُ، بل لقد اختلاطا كثيرا في سلالتهما حتى يكاد أن يقال :أن كل إعلامي دبلوماسي، حتــى وان لم يكن كل دبلوماسي إعلاميا..

إذا اقتربنا أكثر من صفات ما قد نسميه الإعلامي الناجح - في عصر ثورة الاتصال والقرية الالكترونية- فستكون الكاريزمـا على قمة الصفات التي ينبغي أن تتوفر في أي إعلامي.

قد نختلف في تعريف الكاريزمـا ولكننا لن نختلف أبدا في قوة أثرهــا وسحرهــا، فهي صـفة نـادرة غـير عـادية تـجعـل الإنسان ذو قـدرات نفسية وروحيــة ليصبح شخصا وجــد ليبقى فـي الذاكرة.

الكاريزمـا نعمة من الله للإنسان، تولد معـه كجوهرة ينبغي العناية بها لتزداد قيمتها ويزداد جمالها لمعانا وبريقا، وعلى ذلك فان الإنسان يولد بخصائص معينـة تمكنه أن يكون ذا شخصية كاريزمية ، بشرط أن يدركهـا ويعرف جيدا كيف يطورها وينميهـا .
اذكر في هذا السياق أنواع من الكتب كانت تهتم بهذا الموضوع بدءاً من كتاب "كيف تكسب الأصدقاء وتأثر في الناس "إلى طغيان كتب ثقافة الاتصال الشخصـي والجماهيري ونظريات الإعلام في فـن ومهارة الاتصال والإقناع.

نلمس أهميـة دور الكاريزما في الشخصيات العامة باعتبار أن الكاريزما ذو اثر اجتماعي بالدرجة الأولى، يخدم مصلحة كل شخص يحمل مضمونا أو فكرا أو حتى رغبة محددة في الإقناع بشي معين. وإذا كان لب الإعلام ووسائل الاتصال المختلفة تسعى لتحقيق هدف الاقناع فان الكاريزما أداة سحرية لذلك عند كل إعلامي.
وليكون الإنسان ذو شخصيــة "كاريزميــة " ينبغي أن يكون:

اجتماعي جدا، نشيط في عمله، حماسي في رأيه، سريع البديهة، محبوب، مثقف، طموح يعشق التحدي والتغيير ويعرف تماما متــى وأين يقف. أفكاره عميقة، صاحب موقف وفكر، واثق من نفسه قادر على الإقناع.

منذ ظهور تركي الدخيل كإعلامي بارز من خلال برنامجـه اضاءات، وهو يخطف الأضواء ويحقق نجاحا تلو نجاح، خلق لـه شخصية إعلامية ولدت وتربت تحت الضوء - وليست تلك بالمهمة السهلة - لا يستطيع احد يُحجم وجهته الفكرية أو أرائه الشخصية من خلال برنامجه ، ورغم ذلك تجده يعصر لب ضيفه حواريا وبكل الاتجاهات.

إن أكثر النقد لبرنامج اضاءات يأتي من اقل الناس إدراكا لوجه الإعلام الجديد، وعلم الاتصال الجماهيري، وفن صناعة الإعلام.

فقد تعود المتلقي في الإعلام التقليدي على البرنامج الحواري الذي يجلس فيه المذيع كمستمع بأذان صاغية ليبدأ الضيف مسيرته من الألف إلى الياء ، وان يرسم الضيف لنفسـه (وبطبيعة الحال) تلك الصورة الباهرة التي يريد من المتلقي الاقتناع بحقيقتهـا.

اضاءات (ومن اسمهـا) مجرد اضاءات سريعة لجوانب محددة، تحقق إشباعا اعلاميـا وليس إشباعا نفسيـا. يعد لبرنامجه إعداداً جيدا ليظهر بكامل نوره وإضاءته، يتضح ذلك من أمور عدة ابرزهـا التوقيت الجيد في توزيع المواضيع المطروحة للنقاش مع الوقت المحدد للبرنامج.

كان لي شرف الالتقاء به (عن قرب) في معرض الكتاب، كان يأخذ مكانه في زاوية الترويج لكتابه "مذكرات سمين سابق " الكتاب الذي زاد من توهجـه الإعلامي بخفـة ظله وجرأتــه الاجتماعية ليثبت كاريزما أخرى لقلمه ،انبهرتُ كثيرا بـقدرته على اتقان أكثر من لغة - قلـة من الناس من يعرفها - فهو يتقن لغة الإعلام ولغة الدبلوماسيـة ولغة الانطباعات ولغة الإيماءات ولغة الجسد التـي يوظفهــا بقدرة عالية من خلال لقاءاته ومقابلاته، وهو الذي يبتسم ويسحرك بنظرة طاغية، ويصافحك بحرارة ود، ودفئ يدين لا تبتزها برودة التوتر أو القلق أو حتى هاجس الترقب! يدرج حديثه بنبرة صوت متموجـه مع درجات قوة كلماتـه..

لا تعني الكاريزمـا امتلاك النجاح، فما هي الا وسيلة سريعة جداً للوصول إلى النجاح، كما انهـا لا تقف عند حد معيـن من الاكتفـاء بل احتياجها دائم للتطوير.

الدبلوماسية العالمية اليوم هي الدبلوماسية الإعلامية

دور الإعلام في السياسة الخارجية يعد الإعلام من الوسائل الفعالة لتنفيذ السياسة الخارجية للدول، يمارسها الجميع من رئيس الدولة إلى الوزارات التقنية في الدولة كل في اختصاصه. ووسائل الإعلام الجماهيرية الموجهة للخارج تسعى لتحقيق أهداف السياسة الخارجية للدولة من خلال المؤسسات الإعلامية المختصة بالإعلام الخارجي، كما تقوم البعثات الدبلوماسية المعتمدة، بوظيفة إعلامية بشكل مباشر أو غير مباشر، من خلال إصدارها للنشرات الإعلامية، أو ما تتناقله وكالات الأنباء العالمية من تصريحات، أو ما تنشره الإذاعات المسموعة والمرئية والصحف والمجلات واسعة الانتشار، التي أصبحت بمتناول الجميع بسبب التطور العلمي والتقني الهائل الذي حدث خلال التسعينات من القرن الماضي.

ويتمتع الإعلام بأهمية خاصة كوسيلة من وسائل تنفيذ السياسة الخارجية للدول الكبرى، تتناسب وحجم مصالح هذه الدول على الصعيد الدولي، وتعاظم دورها وتأثيرها في السياسة على الساحة الدولية، فهي تعمل من خلال وسائل الإعلام المتطورة التي تملكها، وتوجهها إلى تحقيق أهداف سياستها الخارجية وحماية مصالحها في الخارج، مما يفسر أن العلاقة بين الاتصال الخارجي والسياسة الخارجية علاقة ارتباط وثيقة ومتكاملة بحيث أن كلا منهما يتدخل في الآخر ليشكل بعض أبعاده إن لم يكن أغلبها ويلاحظ أن هذه العلاقة تبدو منعدمة وجزئية في العالم العربي، حيث أن السياسة الخارجية في المفهوم العربي قائمة على أساس التحركات السرية المعقدة التي تبدأ وتنتهي في الخفاء بين الكواليس بعيدا عن أعين الجماهير، يغلفها التكتم وهذا يجعل العلاقة بين وسائل الإعلام والسياسة الخارجية علاقة مستقلة.

أما في المغرب فإننا لن نجانب الواقع إذا قلنا بأن وسائل الإعلام ليس لها تأثير يذكر في مجال السياسة الخارجية،إذ أننا لا نذكر خلال التاريخ السياسي المغربي أن وسائل الإعلام استطاعت في لحظة معينة أن تثني السلطات الحاكمة عن موقف خارجي معين،أو أن تدفعها لاتخاذ قرار معين،فالصحافة في المغرب لا تصنع الحدث بل تصفه وتتابع مساره. وهذا الغياب لدور وسائل الإعلام المغربية في هذا المجال هو نتيجة مباشرة للطابع التخصصي الاحترافي للسياسة الخارجية، وهذا ما دعا إليه توكوفيل حينما أكد على ضرورة إدارة السياسة الخارجية بعيدا عن التأثير المباشر والصحفي للشعب، وهذا الأمر نفسه جعل جورج كينان يحذر من أنه إذا كانت السياسة الخارجية والتزامات القوات المسلحة في الخارج مشروطة بصناعة التلفزة التجارية الملهمة من الغرائز الانفعالية للناس فلن تكون هناك أبدا حكومة مسؤولة .

وعليه يمكن القول بأن الإعلام في المغرب له حدود حمراء لا يمكن تجاوزها، وإلا تعرض لأقسى أشكال التضييق والمنع، وهذا الأمر لا يخص مرحلة من الحياة السياسية المغربية بعينها، بل ظلت هذه القاعدة تحكم الحقل الإعلامي والصحفي المغربي. فقد كانت هناك أحداثا كثيرة بينت بشكل واضح أن هذه الحرية محدودة ومشروطة بالانقياد لضوابط صارمة مما يعني أن الإعلام المغربي لم يصل بعد الى مرحلة يمارس فيها مهمته على أحسن وجه،ولعل ما حدث خلال سنتي 1999 و 2000 من إيقاف ومصادرة بعض الصحف التي حاولت أن تتجاوز حدود هذه الحرية الصحفية المقيدة تعكس استمرار هذه الظاهرة.

ورغم غياب أي دور ? يستحق الذكر- لوسائل الإعلام المغربية في توجيه السياسة الخارجية، إلا أن هذا الحكم ليس مطلقا بل كانت ولا تزال الصحافة المغربية تتابع عن كثب ما تموج به الساحة الدولية من أحداث وأزمات، ويصل به الأمر أحيانا إلى اتهام الدبلوماسية المغربية بالتقصير وارتكاب أخطاء لا تخدم المصالح المغربية، ودعوة المسؤولين المغاربة إلى نهج سلوك دبلوماسي معين أو اتخاذ هذا الموقف أو ذاك من قضية معينة. ويمكننا الوقوف على هذا الأمر إذا ألقينا نظرة فاحصة على الصحافة المكتوبة التي لا تخلو أعدادها من معالجات متنوعة للقضايا الدوليةفلسطين،العراق،أفغانستان،القارة الافريقية...،وبعض جوانب السياسة الخارجية.غير أن ما يلاحظ على هذه المتابعات الصحفية صبغتها الخبرية والتحليلية، وغياب أي نزوع للتأثير على صانع القرار الخارجي المغربي. وتمثل وسائل الإعلام أخطر وأنجع الآليات التي يجب على الدبلوماسي المغربي التركيز عليها واستغلالها لبلوغ أجندته والترويج لمقترح الحكم الذاتي باختيار أشهر القنوات والإذاعات في الدول المعتمد لديها للظهور فيها والحديث عبرها والالتقاء بالمراسلين المعروفين، ولا تخلو الكثير من الدول من هذه الوسائل المتطورة خاصة في أوروبا وأمريكا. ومما لا شك فيه أن وسائل الإعلام تعد سلاحا يمكن استخدامه في زمن السلم والحرب على حد سواء، لما لهذه الوسائل، خاصة التلفزيون، من قدرات على تسليط الضوء على موضوع معين وجذب اهتمام جماهير عريضة، فهي قادرة أيضا على تشكيل المخزون المعرفي لهذا الجمهور وتكوين الصور الذهنية لديه عن قضية معينة أو شعب معين.

وأخيرا، فإن الدبلوماسية المغربية كما يقول المرحوم الأستاذ عبد الهادي بوطالب في كتابه»دبلوماسية المغرب في القرن الواحد والعشرين« محكوم عليها في عالمنا أن تعمل بشفافية، وأن تكون رهن إشارة الإعلام لينقل وجهة نظرها ويعرف بمواقفها من القضايا التي تعالجها. ونحن نرى الرئيس الأمريكي يواجه الصحفيين في حديقة البيت الأبيض مرة أو مرتين في اليوم الواحد ليتحدث أمام أجهزة الإعلام العالمي، أو يكلف بهذه المهمة الناطق باسمه، لأن الدبلوماسية

العالمية اليوم هي الدبلوماسية الإعلامية وليست الدبلوماسية الخرساء التي لا يسمع لها صوت، وبالتالي لا يُعرف لها موقف أو اتجاه.

الإعلام الدبلوماسي
استراتيجية التَعرُّض.. أم الصَّد؟

الإعلام والدبلوماسية توأمان متلازمان يستحيل فصلهما، وتتأكد هذه الحقيقة في هذا العصر الذي يُعد فيه الإعلام لسان السياسة الناطق، وحجتها النافذة، وأداتها المؤثرة. يصدق ذلك عند الحديث عن تأثير هذا الإعلام على الرأي العام الداخلي والخارجي.

وموضوع هذه المقالة هو بيان العلاقة بين هذا الإعلام وبين السياسة الخارجية ومدى تفهم الدبلوماسية الخليجية للوازم هذه العلاقة وإدراكها لضرورة تسخيرها لخدمة الأهداف السياسية المرسومة لها.

المتابع للنشاط الدبلوماسي الخليجي على صعيد السياسة الخارجية وبخاصة في أوقات الأزمات والأحداث التي تكون دول الخليج العربية طرفاً فيها يلحظ بشكل عام حضوراً كبيراً من جانب الدبلوماسيين في التفاعل مع وسائل الإعلام في البلد المضيف، والعينة المقصودة هنا هم أعضاء البعثات الدبلوماسية الخليجية الممثلون لبلدانهم في الخارج.

إن هذه النتيجة العامة لم تنطلق من فراغ، وإنما ثابتة وراسخة على أسس نتائج علمية أكاديمية بعضها لم ير النور أو لم يأخذ طريقه إلى النشر. وقد يفسر التناقض بين النتائج التي تشير الى قصور اعضاء البعثات الدبلوماسية الخليجية في تفاعلهم مع وسائل الإعلام في البلدان التي توجد فيها هذه البعثات وبين القدرة المادية المتوفرة لديها، إلا أن الصورة العامة للآلية التي يمكن من خلالها تفعيل هذا الدور لم تتبلور بصورتها المطلوبة والمثلى في ذهنية بعض القائمين على أمر هذه البعثات أو السفارات، على الرغم من وجود القناعات الراسخة بأهمية الإعلام وتأثيره على السياسة الخارجية لأية دولة تدرك هذا العامل وتقدره. يقول الدكتور عبدالعزيز خوجة سفير المملكة في المغرب في ورقته التي قدمها لندوة «الإعلام والمعلوماتية وتحديات القرن الواحد والعشرين» التي نظمها معهد الدراسات

الدبلوماسية في وزارة الخارجية في سياق حديثه عن العلاقة بين الإعلام والدبلوماسية «انه بات من الضروري اعتبار ان احد المفاتيح الأساسية للسياسة الخارجية لأي بلد هو إعلام قوي مؤثر يملك الوسائل والإمكانات للانتشار والتأثير، وهذا ينطلق من امكانات البلد الإعلامية ومواكبة التقنيات الحديثة، واستخدام الأشكال الأكثر دينامية واعتماد الجمالية الفنية في تقديم المواد السياسية والفكرية والاقتصادية. فالإعلام صناعة، والصناعة القابلة للتسويق هي الصناعة ذات الجودة العالية، كما تعتمد على الكفاءات الشابة العلمية التي تدرك بشكل اكثر حيوية كيف تؤثر في الإعلام وكيف تصنعه، مبادرة في سبيل ذلك، مستبقة من أن يقدم لها الآخر السلعة الجيدة حيناً والرديئة أحياناً أخرى».

وإذا كان الدكتور عبدالعزيز خوجة متفائلاً الى هذا القدر حيث يطالب البعثات الدبلوماسية بالمبادأة والمبادرة فإن هذا يعني ضمناً ضرورة التفاعل مع ما هو متاح من وسائل إعلامية موجودة في الدول التي تقيم هذه البعثات، وبخاصة السفراء ومن حكمهم حيث يتيح لهم موقعهم الوظيفي فرصة التعرض لمثل هذه الوسائل الإعلامية، والتعرض لها ليس المقصود به التلقي كما هو معروف إجرائياً عند المتخصصين في الإعلام، بل التلقي والإرسال أيضاً.

ان الضرورة تُلحُّ على تبني استراتيجية دبلوماسية تزيد من التعرض لوسائل الإعلام الدولية والتفاعل معها عوضاً عن أساليب الصد أو التردد التي لم تعد مجدية في هذا الوقت.

ومما يؤكد ضرورة التعامل الجاد مع وسائل الإعلام ما يشهده العالم اليوم من تحول خطير في الأحداث التي نشهد فصولها اليوم، وهو تحول يتجاوز الجغرافيا الى التأثير في القيم والمبادئ والمفاهيم.

وفي هذا السياق، وانطلاقاً مما تقرر آنفاً، يحسن التذكير والتأكيد على جملة نقاط، منها:

أولاً: ان ثورة المعلومات وتكنولوجيا الاتصالات وما تتطلبه من سرعة التعامل مع الحدث تقتضي تكوين شبكة إعلامية تتفرغ لمهمة متابعة الأحداث أولاً بأول، ومن ثم دراستها واتخاذ القرار المناسب تجاهها، مستفيدة من وسائط الاتصال الحديثة التي تربط الدبلوماسي بالقيادة في بلده. أما الاعتماد على الحقيبة الدبلوماسية فهو أمر لا يتناسب وعصر السرعة الذي يعيشه الدبلوماسيون. وفي هذا المعنى يؤكد الدكتور عبدالعزيز خوجة ان الحقيقة الدبلوماسية كانت في الماضي «رمزاً مقدساً للسفير، وكانت تحوي في جعبتها كل ما يهم السفير ان يرسله من معلومات عن البلد المضيف وتطور الأحداث فيه. أصبحت اليوم الحقيبة

الدبلوماسية رمزاً من الرموز القديمة ربما تهتم بها الآن الأقسام المالية والإدارية..فالمعلومة عن طريقة الحقيبة حتى تصل الى بلد السفير ستصبح قديمة ومستهلكة. فالأحداث المتلاحقة وشفافية الإعلام في معظم بقاع العالم وتهيئة وسائل الإعلام وتطورها لنقل هذه المعلومات وتحليلها وتدقيقها وبثها واستقطاب العلماء والباحثين لتحليل أي خبر محلي وعالمي جعل من دور الحقيبة لنقل أو تحليل هذا الخبر دوراً ثانوياً لأن أهمية الخبر تنتهي قبل ان تصل الحقيبة وقد تغير الحدث إلى حدث أهم وأكبر في كثير من الأحايين».

ثانياً: تواجه دول الخليج العربية وبخاصة المملكة العربية السعودية هجمة إعلامية غربية شرسة لم يخب أوارها، تغذيها الصهيونية العالمية واليهود المتنفذين في دوائر صناعة القرار السياسي في الغرب، هجمة ذات مضامين دينية وثقافية وتربوية في المقام الأول، بدأت قبل أحداث 11 سبتمبر الماضي، واتخذت من تداعيات الأحداث مسوغاً لتأجيج الحملة الإعلامية وتحقيق أهدافها المختلفة.

في مقابل هذه الأحداث لم يتخذ مجلس التعاون الخليجي أية مبادرة للتصدي لهذه الحملات الإعلامية على الرغم من خطورتها وشمولية مضامينها وتنوع أهدافها. كنا نتوقع أن يدعو وزراء الإعلام في دول المجلس الى اجتماع طارئ لمواجهة الموقف ووضع استراتيجية إعلامية لبيان الحق وكشف الشبه التي يثيرها اليهود والصهاينة عن المواطن الخليجي، والسعودي على وجه الخصوص، ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث ولم نجد تفسيراً مقنعاً لعدم التصدي لحملة إعلامية تستهدف البناء الثقافي لمجتمعنا الخليجي وثوابته التي تأسس عليها.

ثالثاً: تمثل السفارات والقنصليات منفذاً سياسياً وثقافياً وإعلامياً للدول التي تمثلها، وقد أدركت دول العالم الغربي هذه الحقيقة فكثفت من مناشطها الإعلامية وبرامجها الثقافية في دول الخليج العربي على الرغم من هيمنة الثقافة الغربية. تمثل هذا الحضور في إصدار المطبوعات والزيارات المتكررة لرؤساء التحرير، وعقد الندوات والملتقيات لبناء جسور مع مؤسسات الإعلام ودوائر الثقافة الخليجية.

وفي المقابل نجد تقصيراً واضحاً من أغلب سفاراتنا وممثلياتنا في الخارج في تقديم الصورة الذهنية التي تمثل حقيقة ديننا وثقافتنا، وبات الأمر مقصوراً على ممارسة العمل السياسي اليومي. إن سفاراتنا في الخارج ينبغي أن تضطلع بمسؤولياتها في تقديم الأنموذج الثقافي الأمثل الذي يعكس حياة المواطن الخليجي كما هي عليه في الحقيقة لا كما يقدمها من هو محسوب عليها ولا يمثلها، وأن تتكامل مع غيرها من المؤسسات الوطنية الأخرى كوزارة الإعلام في ايصال

الرسالة وبلاغ الهدف، على تنوع في الوسائل والأساليب المعينة على تحقيق هذه الغاية، وفي صدارة ذلك الاستخدام الأمثل للوسيلة الإعلامية.

ان العالم اليوم يمر بأحداث تعصف بالكثير من الثوابت والمتغيرات في المجتمعات التي يطالها التأثير، ولن نستطيع ان نغلق الأبواب والنوافذ أمام تيارات العولمة وهيمنة الأنموذج الثقافي الواحد وفرضه على مجتمعات العالم عبر وسائل الإعلام الفضائي، ولكننا بالطبع نستطيع أن نتعامل مع الإعلام بمضمون الحقيقة التي يبحث عنها الإنسان أينما كان، وهو ما ينفع الناس وأما الزبد فيذهب جفاء.

الدبلوماسي المعاصر والإعلام

الدبلوماسي المعاصر أو العصري له مصادره في الحصول على المعلومات. لقد تطرق الدكتور يوسف الحسن في كتابه "نحو دبلوماسية عربية معاصرة" (صادر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت 1994) للمجالات التي يستطيع من خلالها الدبلوماسي التوصل إلى المعرفة والمعلومات.. (حددت قوانين خاصة المجال الذي يمكن للدبلوماسي أن يتحرك من خلال فاتفاقية فيينا للعلاقات والحصانة الدبلوماسية نصت على إمكانية جمع الدبلوماسي للمعلومات بالنص التالي، الذي يتحدث عن حقه في "التعرف بكل الوسائل المشروعة على الظروف والتطورات في الدولة المعتمد لديها وعمل التقارير عن ذلك إلى حكومة الدولة المرسلة "ولأن التدفق الحر للمعلومات يلغي الحدود بين الدول.. "يسارع الدبلوماسي الحذق عادة إلى إقامة علاقات شخصية مع بعض الصحفيين المتخصصين.. فينجح أحياناً في التأثير على الصحفي خاصة في مجال تصحيح بعض معلوماته عن قضية معينة أو منطقة تقع في مجال إهتماماته " ويسارع أيضاً بجمع الأخبار والمعلومات التي تهم بلده. ويؤكد د. الحسن، بأنّ المعلومات الصحفية المنشورة هي بعض مهم من الشغل الشاغل للدبلوماسي. ويتعرض لكيفية حصول الدبلوماسي على المعلومات، إذ أن "جمع المعلومات وإعداد التقارير من أبرز وظائف الدبلوماسي المعاصر".

مصادر المعلومات للدبلوماسي:

المصدر الأساسي لإستقاء المعلومات هو قراءة الصحف بكل أنواعها.. ويتطلب ذلك قدرات لغوية وذهنية وشغف بالقراءة والإطلاع.. إن ذلك يحتاج أيضاً لدراية ومعرفة باتجاهات الصحف وميولها. ويحذّر د. الحسن من مغبة القراءة المبْتَسرة والسطحية للأحداث ونقل المعلومات الواردة في الصحف كما هي، ويؤكد على أهمية استقراء ما يكتب بعمق والقيام بعملية التحليل والغربلة والتقييم، ومعرفة ما يكمن وراء السطور ومعرفة ما هو موثوق ومدى التحيز ومصادر الأخبار وأبعادها.

بهذا، نرى أنّ الطريق للوصول إلى المعلومات وعر، ويتلخص بالخطوات التالية: قراءة الصحف – الإستقراء – التدقيق والمعالجة – التحليل والغربلة – والتقييم..

"فالتحليل يجب أن يتبعه تقييم للمعلومات، حتى يتمكن الدبلوماسي من التعرف على مدى العلاقة بين الخبر أو التعليق المنشور وبين القضية محل اهتمامه ومدى تأثيره على سياسة بلده وسياسة البلد الموفد إليها أيضاً".

ويطالب الدكتور الحسن باختيار موضوعي وعلمي للدبلوماسي، فالدولة بوسعها أن تمد الدبلوماسي بالمال، لكن ليس بوسعها أن تمد الدبلوماسي البليد بالعقل والموهبة". والعلاقة التي تربط الدبلوماسي ورجال الإعلام في البلد المعتمد لديه ينبغي أن تقوم على الصداقة. والصداقة إن وجدت فينبغي أن تقوم على الاحترام المتبادل وبذلك فهي "ضرورة وطنية ووظيفية".

ويحدد د. الحسن بعض أشكال العلاقة التي من الممكن أن يقيمها الدبلوماسي مع الصحافي ومهنها:

الدعوات على العشاء والغداء، المجاملات الاجتماعية، إمداد الصحفيين بحقائق موضوعية هادئة (وليس بالنشرات الإعلامية المزعجة ذات الطابع الدعائي في معظم الأحيان) وترتيب برامج لزيارات إعلاميين لبلد الدبلوماسي (شرط أن تكون في غاية الدقة والجدية والحرص والتنظيم ومراعاة الأنظمة والاعراف التي تسير عليها المؤسسات الصحفية التي يعمل بها الإعلاميين الزائرين) وحتى لا يكون مردود هذه الزيارات سلبياً.

وأهم المفاتيح لخلق الجسور والصلات الشخصية مع الأوساط الإعلامية: ثقافة الدبلوماسي وإطلاعه وعلمه ومعرفته وجاذبية شخصيته وحضورها، وما يتمتع به من عقلية يقظة خصبة، وما يتميز به من سلوك مهذب وتصرف سليم كيّس ومجاملة وكرم.

إنّ أهم المفاتيح في العلاقات العامة أو ما نسميه بـ"العلاقات ما بين الأشخاص أو الناس" Interpersonal Communication هو مقدرة الدبلوماسي على الإجابة المبدعة وطرح الاستفسارات الذكية دقيقة الملاحظة. فالدبلوماسي المبدع، ذو القدرة في العلاقات ما بين الأفراد يظهر ذلك في ردوده وكتاباته عن دولته في الصحف والندوات بدون إثارة وانفعال.

ويحذر د. الحسن من تحول الدبلوماسي إلى مترجم صحفي، ويؤكد على أهمية التحقيق والتحليل والتدقيق والمعالجة والتقييم.

محاذير أخرى: ويحذر غالباً من عملية التضليل الذي قد تلعبه أحياناً وسائل الإعلام حيال الدبلوماسي.. وذلك عندما تقوم هذه الوسائل بتحريف الخبر أو الحدث أو بحجبه أو بإعطائه أهمية أقل من حقيقته، أو عندما تعرض الحقائق بطريقة ملتوية أو عندما تعتمد على حدث معيّن.

بقي أخيراً أن نؤكد على أهمية الإبقاء على العلاقة بين الدبلوماسي ووسائل الإعلام وتوخي الصدق في نقل الصورة (أو طبيعة) هذه العلاقة وعدم التهويل في عمقها ووضع الأمور بأحجامها الحقيقية، حتى لا يخدع المرء نفسه أولا وقبل كل شيء.

الدبلوماسية والإعلام وتحديات العصر الضوئي

الدبلوماسية والاعلام يرتبطان بعلاقات وثيقة متعددة ومتشعبة وكلاهما يؤديان وظائف اتصالية مع الفضاءات الخارجية .. وكلاهما يشكل الاهتمام بالرأي العام محور ودائرة نشاطهما.

ومثلما ساهمت التطورات التكنولوجية في زيادة فعالية العمل الدبلوماسي وتوسيع نطاقه حتى اصبح اليوم حاملا لدور وتمثيل حضاري في حقل العلاقات بين الشعوب والمجتمعات العالمية فان التقدم والاندماج الذي حدث بين الصناعة الاعلامية والاتصالية قد ضاعف من أهمية الدور الذي يلعبه الاعلام والتأثير الذي يضطلع به في اعادة تشكيل المرحلة العالمية بعد ان اصبح اليوم صناعة (تكنوضوئية) حاملة لمفردة التغيير والعبور الى عصر الانفجار الضوئي

ولذلك فان كل من الدبلوماسية والاعلام يشتركان بدور تكاملي في تأدية وظيفتهما الاتصالية الحضارية في حياة المجتمعات والامم، فالاعلام يستطيع تقديم نفسه (كوجبة معلوماتية) من منطلق ان وظيفة الاعلام هي البحث عن الحقائق ونشرها للرأي العام عبر قنواته المختلفة .. وان الدبلوماسي يحتاج الى جمع اكبر قدر من الحقائق والمعلومات التي يستطيع على ضوئها تأدية وانجاز مهمته بصورة صحيحة وايجابية.

كما ان الدبلوماسي المؤهل والمدرب، بوسعه ان يكون صانعا ومنتجا للحدث الاعلامي.. والسياسة الخارجية الناجحة لابد وان يقف وراءها ويتبعها دبلوماسية واعلام ناجحان.

وفي ضوء ذلك المعطى فانهما يستطيعان اقامة علاقة تكاملية وديناميكية متبادلة بينهما، وجعلها حاملة لدور حضاري عندما تكون تلك العلاقة قائمة على اسس منهجية وعلمية وسيكلوجية زد على ذلك ان عملية الاتصال الاعلامي والدبلوماسي بالمفهوم الحديث، تتطلب الاعداد المناسب واللحظة الخاصة، والاسلوب المؤثر للتواصل والوصول الى الفضاء الجماهيري والقيام بعملية الاتصال من حيث هي فن وعلم، فن يحتاج الى مواهب ومهارات, وعلم له قواعده المنهجية واصوله ومبادئه الحديثة والتقنية المعاصرة.

وقبل ذلك فان الامساك بزمام الفعل الاعلامي والدبلوماسي يحتاج الى المام بتداخل الابعاد الحضارية والسيكولوجية والسياسية والاجتماعية، والى معرفة الظروف والاوضاع المادية والبيئية لاي مجتمع كان، والى اشراك علماء الانثروبولوجيا والتاريخ والنفس البشرية والاقتصاد والسياسية والاجتماع كل في نطاق عمله ودائرة اختصاصه، دراسة وتحليل النسيج المكون لطبيعة وخصائص

وسلوك المجتمعات، لكي يقوم بعملية الاتصال كما يجب، وحتى يتسنى له اداء وانجاز مهمته الحضارية على اكمل وجه.

ويمكننا القول بأن التعامل مع الاعلام، بكافة اجهزته ومستوياته، اصبح يتطلب امتلاك قدرات ومواهب خاصة بفنون واصول علوم الاتصال الجماهيري. كما يتوجب على المشتغل بالعمل الدبلوماسي ان يتمتع بقدر كبير من الثقافة الموسوعية، والاستعداد الفطري للتعامل مع مجريات الاحداث والتطورات بصدر رحب، والتحلي بالصفات اللازمة التي تمكنه من تأدية مهمته العملية بشفافية وبصورة مثلى.

ومن الاهمية بمكان القول، ان ثورة الاتصالات بوسائطها المتعددة، قد احدثت انقلابا جذريا لخارطة المفاهيم ولمجرى العلاقات وفضائها الكوني، حتمت على جميع الدول والحكومات اعادة النظر في سياساتها الخارجية والداخلية، وتعديل تشريعاتها ونظمها القانونية، ومسارعتها للذهاب باشرعة التحديث والتطوير والمواكبة لجديد التقدم العلمي الذي يحدث في كل ساعة ولحظة.

ومن الاهمية بمكان القول ايضا بان مسارعة تلك المجتمعات للذهاب في بعد المواكبة بأشرعة التغيير في حقول العمل الاعلامي والدبلوماسي تأتي انطلاقا من ادراكها بأهمية الدور الذي تلعبه الدبلوماسية في حقل السياسة الخارجية والدولية والتأثير الذي يمثله ويضطلع به الاعلام في عملية الاتصال والتخاطب مع الرأي العام العالمي، كونه يصب في جبهة الدفاع عن البعد السيادي الهوية، والخصوصية الوطنية، والتعبير عن اهدافها ومصالحها وحضورها وقامتها العالمية، اضافة الى ان نشاطها معني بالتصرف على طبيعة التداخل العضوي للنسيج الحضاري للمجتمعات، الذي يشترك في تكوينها الفكري وقيم الانسانية وطريقة حياتها وسلوك ابنائها، وغيرها من العوامل المؤثرة في الحياة العامة والخاصة لتلك المجتمعات في زمن اليوم الانفجاري.

وماذا بعد ؟

نعود للتساؤل ونقول : ماذا يتوجب على الفعل الدبلوماسي المبحر بقفازه المخملي بأشرعة الضوء والوان الطيف في بعد التشكيل لمرحلة العقل الكوني؟! وماذا يتوجب عليه ان يكون في بعد الاخطار المنفجرة في سمائها؟! وكيف له ان يواجه النزعة الجنونية التي ستحلمها تلك المرحلة في احشائها لتدمير الانسان والقضاء على الحياة الانسانية؟

ولاشك في ان التقدم للامساك بجذر التحدي لبلورة رؤية متقدمة, وللاجابة على سؤال التفجر لبعد المخاوف والاخطار وعلى سؤال التطور والمستقبل سيضع

الفصل الدبلوماسي العالمي امام صعوبات مركبة، ومشكلات كونية اكثر تعقيدا وتشابكا، واما مسؤوليات انسانية اكثر اهمية وحيوية، تحتم عليه ان يتوجه الى حشد واستنفار الجهود المعرفية والمعلوماتية كافة التي تمتلكها الانسانية وتوظيفها في معركة التحدي العالمية.

وقبل ذلك فان الفعل الدبلوماسي ومعه الفكر الانساني، معني باختراع توصيف سوسولجي للمرحلة العالمية يذهب من خلاله لمخاطبة المتغيرات، والامساك بالجذر المشتعل للازمات وترويض الاخطار ولجم المخاوف وقهر النزعة التدميرية ووضع حد لجميع الشرور!!

توصيف دبلوماسي يستوعب تحديات الزمن الضوئي ويستلهم روح التقدم العلمي ويوظف الانجازات التي تحققت في حياة البشرية في خدمة الانتصار لقيمها الحضارية والانسانية ومن اجل الحفاظ على الطبيعة وتنوعها الايكلوجي وتوازنها مع مجريات التطور الكوني.

وحري بنا القول ان نشاط الفعل الدبلوماسي يجب ان يأخذ على عاتقه النظر الى الابعاد الاخلاقية والآثار النفسية والانعكاسات الاجتماعية التي ستحدثها الثورات العلمية الكمبيوترية والبيوجزئية والكمومية في الحياة الانسانية عندما تعرف بأن هذه الثورات ستذهب لاحداث ثورة انقلابية في التكوين الفيزيائي والسلوكي والذهني للانسان، وستمهد الطريق لظهور مجتمع عالمي آخر ومفهوم جديد لمعنى الانسان والانسانية، خاصة وان تلك المرحلة يشكلها العلماء من مختبراتهم العلمية التي يعكف فيها العلماء على ترسيم خارطة الحياة البشرية بحزمة اختراعات، ولم يتركوا لخبراء الجيوبوليتكا أي دور يقومون به في المستقبل، وربما سيؤدي السير في ذلك الطريق الى اختفاء المجتمع بالصورة التي عرفتها البشرية على مر السنين، لصالح ظهور مجتمع جديد وفق نسق بيولوجي ومعرفي مختلف في تكوينه الجسماني والعقلي، وطريقة عيشه واهتماماته اليومية.

وانطلاقا من بعد الاهمية التي يحتلها العمل الدبلوماسي والاعلامي في زمن اليوم العالمي بكل ما يحمله في احشائه من مخاوف وتحديات وما يبشر به من آمال وانجازات للانسانية، وانطلاقا من ذلك البعد فان استحقاقات وتحديات المرحلة العالمية تدعونا بقوة للذهاب من نافذة العمل الدبلوماسي والاعلامي في بعد التغيير والمواكبة للامساك بزمام المبادرة للمشاركة والاسهام في بلورة رؤية متقدمة لتحرير الخطاب الاعلامي الدبلوماسي من العجز والشكلية، واحداث تغيير انقلابي في ادائه ومضمونه، يبدأ بتحديد المنطلقات الحاملة للفصل والاولويات التي سيتوجه لمخاطبتها والوسائط التي سينطلق منها والمصالح التي سيعمل من اجل تحقيقها والفضاء الذي سيتحرك فيه والتأثير والدور الذي سيقوم به.

ويتوجه الى حشد واستنفار مقومات وعوامل النجاح في سبيل الارتقاء بأداء العمل الاعلامي وجعله خادما لاهداف وتطلعات تنموية ومعرفية في حياة شعبنا اليمني، والى تجديد وتحديث الصناعة الاعلامية التي يتم بوساطتها انتاج المفردة الاعلامية ومخاطبة الاحداث والمتغيرات وتمثل حركة ومعطيات التطوير، والى تطوير المهارات التقنية والمقدرات العقلية للكادر الاعلامي، لتمكينه من التعامل مع حقائق العصر الضوئي والى التسلح بارادة سياسية وطنية لضبط ايقاع وتناغم الاداء الاعلامي بمختلف اشكاله ووسائطه ومفرداته. وان يذهب لتوجيه العمل الاعلامي:

ابراز النجاحات والمكانة العالمية التي استطاعت ان تحتلها بلادنا في حقل العلاقات الخارجية، ووضع جهودها وتحركاتها ومواقفها ودورها في دائرة الاهمية، وامام الانظار العالمية.

لقيادة نشاط اعلامي ودبلوماسي فاعل في فضائها العربي مجسد وخادم لطموحات ومصالح وقضايا شعوبنا العربية.

قيادة نشاط اعلامي في الفضاءات القارية الآسيوية والافريقية والاوروبية والامريكية قائم على الانفتاح والشفافية والتعاون المثمر وخلق جسور تواصل مع تلك الفضاءات في جميع المجالات.

قيادة نشاط وتحرك اعلامي في الفضاء العالمي لتعزيز دور الامم المتحدة والهيئات الدولية لمواجهة التحديات والاخطار والحفاظ على الاستقرار والامن الدوليين وردم الهوة بين الغنى والفقر المعلوماتي وحماية البيئة وتفشي الاوبئة وتفاقم الاوضاع والمشاكل الانسانية من جراء الحروب والازمات وانفراد دولة بالقرار العالمي، وقضايا اخرى عالمية مؤرقة.

وينبغي ان تصب عملية التحديث والتطوير للعمل الاعلامي لاستنهاض همم الامة وتفجير طاقاتها الابداعية وجعلها رافعة لتقدمها الحضاري وثرائها المعرفي ورخائها الاجتماعي، ولكي تستطيع التعامل مع القضايا المتعلقة بالبعد السيادي المصيري للا مة بارادة سياسية موحدة ووفق رؤية منهجية عملية وعصرية.

وعطفا على ما سبق, ولكي يكون الفعل الاعلا مي والدبلوماسي المرتبط والمجسد لسياسة بلادنا الخارجية، حاضرا بقوة في عملية الترسيم والتشكل لصناعة القرار العالمي ومؤثرا وفاعلا في مجريات الحياة السياسية وساحة العلاقات الدولية، فانه يحتاج – اذا لم يكن لديه – الى بناء وعاء مصب تجميع للمعلومات لكي يستوعب تدفق وحجم وتفاعلات الاحداث الكونية تلعب الهيئات

والبعثات الدبلوماسية الخارجية دورها كروافد وقنوات اتصال ضوئي لتغذيته بمنسوب الاخبار والمعلومات من ارضية الاحداث فور وقوعها لحظة بلحظة.

الإعلام الدبلوماسي مدخل القراءة في دور الإعلام وتشكيل وعي الجمهور

بات من الطبيعي أن نكرر كلمة الاعلام ودوره كلما صادفتنا مشكلة أو استعرضنا بعض السلبيات او المعوقات التي تواجه عمليات التنمية الاجتماعية والثقافية بل والسياسية والاقتصادية أيضا باعتباره خطوة أولية وأساسية للتعامل مع أية قضية بداية من اعراض حالة الخواء الثقافي وانتهاء بأعقد القضايا السياسية وعمليات تشكيل وعي الجمهور واستعادة الاحساس بالانتماء للوطن..

واذا كان المواطن العادي يلخص المشكلة أساسا في الأثار السلبية الناجمة عن الاعلام وتجلياتها في بعض السلوكيات والظواهر الثقافية, فإن المتخصصين يضعون القضية في اطار أشمل يتحول فيه الاعلام لمؤثر علي الفرد والمجتمع وفي نفس الوقت لعامل يتأثر بالمجتمع والآليات التي تحكمه وبالتالي تؤثر علي المنظومة الاعلامية وشكل الأداء.

وفي اطار التطورات التكنولوجية والتقنيات الاعلامية الحديثة المتلاحقة وظهور أشكال غير تقليدية لوسائل التواصل بين الجماهير سواء من خلال الصحف الالكترونية او ما افرزته شبكة الانترنت من أشكال حديثة للحصول علي المعلومة وبالتالي تشكيل الوعي وبناء اطر معرفية جديدة ظهر العديد من التساؤلات والأطروحات حول الأشكال التقليدية لوسائل الاعلام ومستقبل الوسائل الجديدة بالاضافة الي جمهور كل منهما وانتقل الجدل الناشب بين أوساط المتخصصين الي الجمهور ليصبح العديد من الأسئلة ذات الصبغة العلمية جزءا من الحوارات العادية المطروحة حتي علي صفحات الصحف السيارة ومواقع الدردشة الالكترونية, لنطالع بين الحين والأخر تنبوءات حول مستقبل الصحافة الورقية او تأثير الأشكال الاعلامية الجديدة علي فكرة الاتصال الجماهيري لتصب التساؤلات المطروحة في ظل هذا الجديد هل ما سنشهده في الأعوام المقبلة تشكيل وعي واحد للجمهور أم عدة مستويات للوعي قد تتنافر او تتوافق وهل نحن بمواجهة جمهور واحد ام عدة جماهير واذا ما كانت الآراء والمعتقدات او الانتماءات تحدد مسبقا الوسيلة التي يعتمد عليها لاستقاء المعلومة.. عديد من النظريات والمسلمات حول تأثير وأثر وسائل الاعلام
وملامح الجمهور باتت تفرض نفسها وتؤكد أهمية التعامل معها من خلال منظور ميداني جديد يتماشي مع الواقع الحي.

في هذا السياق أعد الزميل إبراهيم البهي مساعد رئيس تحرير جريدة الأهرام ورئيس القسم الدبلوماسي المناوب أطروحته لنيل درجة الدكتوراه والتي

حصل عليها بمرتبة الشرف الأولي مع التوصية بطبع الرسالة علي نفقة الجامعة وتداولها بين الجامعات الأخري وذلك من جامعة جنوب الوادي بقنا تحت عنوان أثر الاعلام الدبلوماسي في تشكيل اتجاهات الجمهور المصري نحو قضايا سياسة مصر الخارجية والتي تمت مناقشتها أخيرا بمقر وزارة الخارجية المصرية وبحضور السيد احمد أبو الغيط وزير الخارجية ولجنة التحكيم التي ضمت كلا من د. فوزي عبد الغني رئيس قسم الصحافة بأكاديمية أخبار اليوم ود. مرفت الطرابيشي عميد المعهد العالي للاعلام وفنون الاتصال ود. مصطفي عبداللاه الجزيري مدرس الاعلام بأداب قنا.

وفي بداية المناقشة, التي استغرقت أربع ساعات, أكد السيد أحمد أبو الغيط أهمية دور الاعلام الدبلوماسي لخدمة قضايا الدبلوماسية والسياسة الخارجية, مشيرا الي المكانة التي يتميز بها المحرر الدبلوماسي الذي وصفه السيد أبو الغيط بأنه يوازي الدبلوماسي العامل داخل الوزارة, موضحا أنه من هذا المنطلق يجب أن يلم بكل الأحداث التي ترتبط بالسياسية الخارجية المصرية وما يدور في العالم من أحداث وتطورات.

وأشار السيد أبو الغيط الي الجهد الذي بذله الباحث عندما اختار دور الدبلوماسية المصرية في عشر قضايا حيوية سواء من حيث خطورتها وتأثيرها علي دور مصر في المنطقة والقارة الافريقية او العالم الخارجي أو من حيث أهمية الدور الدبلوماسي للتعامل معها ودور الاعلام في تقديمها للجمهور.

وأكد السيد أحمد ابو الغيط أهمية تحري وسائل الاعلام للدقة قبل نشر أي معلومة وضرورة القاء الضوء علي الدور الذي تلعبه سفارات مصر بالخارج لصالح مصرو المصريين.

والجدير بالذكر أن الرسالة التي اشتملت علي خمسة فصول وعرض فيها الباحث للأطار النظري للدراسة والمنهج البحثي المستخدم ونتائج دراسته الميدانية وتحليله لمضمون الأهرام والوفد والاسبوع في اطار القضايا التي عرض لها, قد تناولت الدور الدبلوماسي المصري في القضية العراقية والصراع العربي الاسرائيلي وتعطل مسارات السلام والانتفاضة الفلسطينية الثانية وقيام دولة فلسطين والعلاقات العربية والنزاعات الافريقية ومشكلة السودان ومشكلة البوليساريو والشراكة المصرية الأوروبية وقضايا مكافحة الارهاب.

وقد توصل الباحث لعدد من النتائج والتوصيات الخاصة بالاعلام الدبلوماسي في الصحف المصرية مثل ضرورة إلغاء القيود علي عمل الصحف المصرية في معالجة قضايا السياسة الخارجية وتخفيف درجة الالتزام الأيديولوجي

والفكري التي تقيد عمل الصحف القومية والحزبية والخاصة حيث اختار الباحث جريدة الاهرام ممثلة للصحف القومية والوفد عن الحزبية والأسبوع عن الخاصة والمطالبة بانشاء أقسام للاعلام الدبلوماسي بالصحف المصرية والتوسع فيها خاصة لما تمثله من أهمية في ارتباطها بأحد أهم الوزارات السيادية علي مستوي الجمهورية وفي وزارة الخارجية والتوسع في انشاء أقسام متخصصة داخل الهيكل التحريري للصحف والمجلات ووكالات الأنباء المصرية في اطار التعاون مع أقسام الاعلام الدبلوماسي للوصول الي تغطية القضايا السياسية بالطريقة المثلي من ناحية وتقديم خلفياتها وتقديمها للجمهور والرأي العام بشكل مكتمل الأبعاد من ناحية أخري حتي لاتأتي هذه الموضوعات والأخبار الدبلوماسية والسياسية بشكل روتيني يعتمد علي السرد القصصي والخبري حتي تؤدي الصحف دورها في التوعية السياسية والدبلوماسية.

والحقيقة أنه رغم أن الدراسة التي حصل بمقتضاها الباحث علي درجة الدكتوراه بمرتبة الشرف الأولي مع التوصية بطبع الرسالة علي نفقة الجامعة وتداولها قد تبدو للوهلة الأولي شديدة التخصص, إلا أنها علي مستوي أخر تثير العديد من القضايا الجديرة بالبحث للوصول لنتائج محددة, من قبيل تنوع اختيارات الجمهور لوسيلة الاتصال طبقا لنوع المعلومة المراد الوصول اليها وتأثير الاعلام الالكتروني في تكوين الاتجاهات او عدد من التيارات التحتية المتصلة بعدد من القضايا واذا ما كنا بازاء جمهور واحد أم عدة جماهير تتطلب آليات مختلفة في العمل الاعلامي للوصول اليها وكيفية توصيل الرسالة وتحقيق الدور الاعلامي وملامح واشكال تعرض الجمهور المصري الوسائل الاعلام. عديد من القضايا والاسئلة فجرتها دراسة د. إبراهيم البهي تحتاج لمزيد من الدراسات المتخصصة وللمزيد من الوقفات للتأمل والتفكير لاستعادة جوانب عديدة من الوعي والقدرة علي مواجهة حالات التدهور المجتمعي والثقافي.

الدبلوماسية الشعبية

صور مستحدثة في المشهد الإعلامي

تعرف الدبلوماسية بأنها علم وفن ممارسة التمثيل الخارجي بواسطة هيئة من الممثلين السياسيين تعرف بالسلك الدبلوماسي.

فالدبلوماسية من حيث هي علم تشمل دراسة القانون الدولي العام والخاص وتاريخ وتطور العلاقات الدولية والمعاهدات التي تنظم هذه العلاقة لا سيما إذا كانت الدولة التي ينتسب إليها الدبلوماسي طرفا فيها.

أما من حيث إن الدبلوماسية فن فذلك يشمل إحاطة بالعرف الدبلوماسي وأساليب الدبلوماسية واستخدام وحفظ الوثائق ومعرفة بامتيازات السلك السياسي والتقاليد الخاصة بالبروتوكول ـ المراسيم ـ في الاستقبالات الرسمية وعقد المؤتمرات وغير ذلك مما يتصل بمهمة الممثل الدبلوماسي في الخارج.

كما يطلق لفظ الدبلوماسية عرفا على أسلوب من السلوك في المعاملات يتسم بالحذر والحيطة أو باللباقة والقدرة على التخلص من المزالق أو بالبراعة في الوصول إلى الغرض المقصود دون استثارة حفيظة أو نقمة ، وجميع هذه الصفات تشييد بمهمة الدبلوماسي الناجح.

وفي بعض الأحيان ينصرف لفظ الدبلوماسية إلى ما يدين السياسي في حالة التجائه إلى التزييف أو المغالطة أو الخداع في الوصول إلى غرضه باعتبار أن الغاية تبرر الوسيلة وهو الأسلوب المعروف بالميكافيلية ، كما يستخدم لفظ الدبلوماسية في الإشارة إلى السياسة الخارجية للدولة.

ولفظ الدبلوماسية إغريقي الأصل ، انتقل إلى اللاتينية ومنها إلى اللغات الأوربية الحية ثم إلى اللغة العربية ، وهو في أصله الإغريقي القديم يعني الوثيقة المطلوبة التي يبعث بها أصحاب السلطة إلى بعضهم البعض في علاقات رسمية ، ولذلك كانت تعطي لحاملها امتيازات معينة.

وقد استعملت كلمة دبلوماسية خلال القرون الوسطى لدلالة على دراسة الوثائق وترتيبها وحفظها ، ولم تأخذ هذه الكلمة معناها المتعارف عليه الآن إلا في القرن الثامن عشر ، وقد انتشر هذا المعنى خاصة بعد مؤتمر فيينا 1815م حيث ظهرت كوادر سياسية متميزة عن رجال الحكم وانتشرت ظاهرة التمثيل

الدبلوماسي الدائم والمقيم ، ولذلك يطلق أحيانا لفظ الدبلوماسية لدلالة على المهنة الدبلوماسية أي العمل في السلك الدبلوماسي.

ويحدث أحيانا تداخل بين مفهوم السياسة الخارجية والدبلوماسية ، فيستخدم هذا المصطلح الأخير للدلالة على السياسة الخارجية لدولة ما أو لمجموعة من الدول ، فيقال دبلوماسية فرنسا أو دبلوماسية مجلس التعاون الخليجي.

وأحيانا يطلق لفظ الدبلوماسية للدلالة على نمط معين من أنماط العلاقات الدولية فيقال : دبلوماسية توازن القوى ودبلوماسية عدم الانحياز.

ولعل أكثر التعريفات شمولا ودقة هو التعريف الذي وضعه فيليب كاييه بأن الدبلوماسية هي الوسيلة التي يتبعها أحد أشخاص القانون الدولي لتسيير الشؤون الخارجية بالوسائل السلمية وخاصة بطريقة التفاوض.

وهذا التعريف لم يختص الدول بالدبلوماسية ، فجميع أشخاص القانون الدولي الأخرى ـ لاسيما المنظمات الدولية ـ تمارس الدبلوماسية ، كما أن هذا التعريف لم يدخل في مسائل فرعية مثل تعداد مهام الدبلوماسية ، كما أنه لا يشترط الاحتراف أخذا بالاعتبار قيام غير الدبلوماسيين المحترفين ـ مثل رجال السياسة والحكمة والخبراء ـ بأهم وظيفة دبلوماسية ألا وهي التفاوض.

ومن التعريف السابق يتضح الفارق بين الدبلوماسية والسياسة الخارجية ، فالسياسة الخارجية هي النهج الذي تتبعه الدولة في علاقاتها مع الدول الأخرى ، أما الدبلوماسية فهي مجرد أداة أو وسيلة من وسائل تحقيق أهداف السياسة الخارجية.

الدبلوماسية الشعبية

وللدبلوماسية صور وأشكال ، فمنها ماهو قديم ومنها ماهو جديد استحدثته الآلة الإعلامية بفضل مزاوجتها للإعلام بصوره المختلفة والمتنوعة ، فالدبلوماسية القديمة أخذت انماطا قديمة كالتي تعرف بالدبلوماسية الثنائية أو التقليدية أو دبلوماسية المنظمات الدولية ودبلوماسية الأزمات ودبلوماسية علم النفسودبلوماسية الإعلام والتي استحسن تسميتها " الدبلوماسية الشعبية.

ومن أبرز انماط وصور الدبلوماسية الشعبية في العصر الحديث مابات يعرف بدبلوماسية الإعلام الإجتماعي والنفسي الذي تتبناه الكثير من الدول في العصر الحديث بهدف الوصول للتاثير الإيجابي في الراي العام سواء كان محليا أو إقليميا أو عالميا.

وتأخذ هذه الصور عددا من السلوكيات الرسمية التي تقوم بها الدول تجاه شعوبها أو الشعوب أو حكومات وشعوب الدول المستهدفة .. فعلى سبيل المثال لا الحصر تتصدر صور الدبلوماسية الشعبية تجاه الدول عون وإغاثة الشعوب المنكوبة بالكوارث الطبيعية والأهلية ـ مثلما تقوم وتتميز به دولة الإمارات العربية المتحدة ـ وسياسات التمويل والإعمار وإعادة البناء للمدن السكنية والسدود وحفر الآبار وإزالة الألغام والمساندة في المواقف والأزمات الساخنة كالتي نراها في لبنان والسودان وفلسطين واليمن ومصر وباكستان والسعودية والكويت والبحرين والجزائر والمغرب.

كما يتصدر مشهد الدبلوماسية الشعبية التدخل السريع لحل المشاكل السياسية بين الفرقاء والمساهمة بفعالية في في علاج الأزمات العالمية الناشئة عن الحروب والصراعات بين الدول بعضها البعض أو كالتي تقع بسبب الممارسات السلبية للمؤسسات المالية العالمية والتي أفرزت أسوأ أزمة مالية تواجه العالم بسبب الربا والمقامرة وتجارة الديون.

ومن بين صور الدبلوماسية الشعبية التي باتت تأخذ بتلابيب القلوب والعقول " دبلوماسية التشفير الإعلامي " وتجلى ذلك بوضوح عندما اشترت قناة الجزيرة الرياضية حقوق بث تصفيات بطولة كأس العالم لكرة القدم 2010 التي أقيمت مؤخرا في جنوب أفريقيا ، وماصاحب هذا البث من سلوك إيجابي وأخلاقي وشعبي ورياضي قل نظيره في السنوات العشر الماضية عندما سمحت قناة الجزيزة في بث بعض المباريات مجانا عبر قنواتها المشفرة وغير الشفرة وكذلك التغطية المهنية الرائعة التي كانت تقدم وجبة كروية قليلة الدسم غير المخلة للذين يريدون معايشة الحدث دون الولوج في تفاصيل قد يراه البعض مملة ، فكانت بحق دبلوماسية شعبية كروية من الطراز الأول.

وأيضا من صور الدبلوماسية الدينية في العلاقات العامة الدولية ما رأيناه في سياسة الدول في الحفاظ على المقدسات الدينية التي تهوي إليها النفوس والأفئدة كبناء المساجد الجامعة باسم قادتها في العديد من الدول انسحبت على سلوك الأفراد ببناء مشاريع إنسانية بأسماء شخصيات غالية على نفوسهم .. وتقف الدبلوماسية الشعبية تجاه الشعوب الأخرى مرفوعة الراس عندما تتبنى بناء المشافى والمصحات والعيادات وتوفير التجهيزات الطبية اللازمة للتدخل السريع لحماية النفس البشرية.

ومن بين الصور البارزة في الدبلوماسية الشعبية .. تبادل الزيارات والوفود بين رؤساء وممثلي الدول بهدف التباحث في القضايا الثنائية ذات الإهتمام

المشترك والقضايا الأخرى المتعلقة بالأحداث الهامة في المنطقة والعمل الجاد على إدارة الأزمات بالحكمة والعقلانية وعدم الإنجرار نحو مربعات اللاعودة.

وهناك صور أخرى للدبلوماسية الشعبية تمارسها الدول تجاه شعوبها منها دبلوماسية زيارة المرضى والمشاركة في الأفراح والأحزان ومساندة الضعفاء وكفكفة دموع الأيتام والأرامل وسداد ديون المعسرين وتقدم الصفوف لصلاة الإستسقاء والأعياد والمناسبات الدينية والوطنية وصلاة الجمعة وإدارة الشؤون الدينية لشعوبهم ومبادلتهم التهاني والتبريكات وتلقيها كذلك والعمل على إدخال السرور على قلوبهم عبر تنظيم البطولات الرياضية والثقافية والتراثية والدينية والإقتصادية للتحفيز..

وتواجه الدبلوماسية الشعبية اليوم تحد جديد يتمثل في مدى جديتها على كسر حصار شعوب الدول المتضررة من قوى الإحتلال الغاشم لأراضيها والتحكم المعلن والخفي في المنافذ البرية والبحرية والجوية كما تختبر في مدى استجابتها لرغبات وإرادة شعوبها بالإنحياز لها وليس مصادرتها أو إقصاء أصحابها .. فهل ستبيض المحن صورة حكومات الدول التي تجيد الدبلوماسية الشعبية ام ستلطخها ؟! هذا ماستجيب عنه الأيام والأعمال.

الدبلوماسية العامة الفعّالة بحاجة إلى وسائل الإعلام الاجتماعية

واشنطن،- تقول تارا سوننشاين، وكيلة وزارة الخارجية الأميركية للدبلوماسية العامة والشؤون العامة، إن من أجل أن تكون الدبلوماسية العامة فعّالة حقًا في العالم المعاصر، فإنها بحاجة إلى وسائل الإعلام الإجتماعية.

في تصريحات معدّة سلفًا لها أمام معهد السلام الأميركي في واشنطن يوم 15 تشرين الأول/أكتوبر، قالت سوننشاين "إنْ لم ننضم إلى هذا المجال الحيوي، فسنصبح خارجين عن السياق" والأهم من ذلك، سوف نفقد الفرصة لمساعدة المزيد من المواطنين على أن يصبحوا متمكنين، ولدعم تطلعاتهم الأكثر إيجابية وإنتاجًا، وبالطبع، الأكثر سلميةً كذلك".

وأضافت أنه "من خلال تسخير وسائل الإعلام الاجتماعية، فإنه يمكننا تعميق أثر ونوعية دبلوماسيتنا العامة في كل مكان. بيد أننا أيضًا يمكن أن نصل إلى الناس الذين في أشد الحاجة إليها. إنني أتحدث عن أولئك الذين يصطدمون بالتحديات الجغرافية أو تجابههم القيود السياسية".

وزادت سوننشاين قائلة "إن هناك عددًا كبيرًا للغاية من الناس الذين يتوقون للتفاعل الاجتماعي. ولكن لا سبيل على الإطلاق لأن نكون على اتصال مباشر مع

جزء ولو صغير منهم. إن التكنولوجيا الافتراضية تعطينا القدرة على توسيع نطاق فرص مشاركتنا على نحو واسع".

سوننشاين كانت واحدة من المتحدثين في مؤتمر للمعهد بعنوان "التبادل 2.0 - علم التأثير وحتمية التنفيذ." وضمت هذه الفعالية صنّاع القرار والباحثين وخبراء التعليم ومنفذي البرامج في مؤتمر "التبادل 2.0 (على الإنترنت الحديثة)"، وذلك لبحث تضمين البرامج التي تستعين بالتكنولوجيا في المناهج الدراسية ليتسنى استخدامها في التبادلات التعليمية الدولية.

ولكن سوننشاين، التي عملت منذ سنوات في الصحافة التقليدية، أوضحت أن وسائل الإعلام الاجتماعية وتكنولوجيا الاتصالات الحديثة لن تحل محل التفاعل التقليدي والتواصل الشخصي وجهًا لوجه.

وقالت وكيلة الوزارة إنه "مهما تطورت التكنولوجيا لدينا، فليس هناك بديل للطالب الزائر عن الجلوس إلى مائدة العشاء مع عائلة في الخارج، وليس هناك بديل عن اللقاءات الحقيقية بين الناس القائمة على التفاعل الشخصي".

وذكرت سوننشاين أنه ليس في وسع كل الطلاب في العالم الاستفادة من الاتصال عبر الإنترنت والتبادل الافتراضي. لكنها أضافت أن المجال مفتوح لكلا الأمرين- التبادل الفعلي والافتراضي- وكلاهما يفيد الآخر ويستفيد منه بطريقة عميقة. نحن بحاجة لكل منهما على حد سواء، كما أننا بحاجة للاستثمار في كليهما".

وأوضحت أن برنامج التبادل 2.0 يعمل باعتباره امتدادًا للدبلوماسية العامة الأميركية لأنه يمكن أن يساعد في الحفاظ على علاقات بنيت في البداية على أساس برامج التبادل القائمة على أرض الواقع، وجهًا لوجه.

وقد أعلنت سوننشاين عن إطلاق وحدة التبادل الافتراضي في وزارة الخارجية، والتي تهدف إلى فتح قنوات بين الشباب الأميركي ونظرائه في جميع أنحاء العالم. ومن المقرر أن تستضيف الوحدة في شهر تشرين الثاني/نوفمبر من العام الجاري معرضًا افتراضيًا للكليات والجامعات على مدى دورة مدتها 24 ساعة من شأنها أن تسمح لممثلي حوالى مئتي كلية وجامعة بتقديم معلومات عن مؤسساتهم التعليمية للطلاب المحتملين الذين يرغبون في الدراسة في الولايات المتحدة.

كما أشارت أيضًا إلى أن وزارة الخارجية بدأت مؤخرًا سلسلة من التجمعات التقنية (TechCamps) للشباب لتعليم الشباب في جميع أنحاء العالم مهارات المعرفة الرقمية. وقد شارك في التجمع الأول، الذي عقد في واشنطن في شهر

آب/أغسطس، الشباب، الذين تتراوح أعمارهم بين 18 و23 عامًا من كل من مصر وإندونيسيا والهند وغانا وكينيا وماليزيا وموزمبيق والفلبين وروسيا وتايلاند وتركيا. كما عقد تجمعان آخران للشباب في باكستان وبنغلاديش.

وخلصت سوننشاين إلى القول إنه " كلما أشركنا الناس ودفعناهم إلى أن يصبحوا عناصر منتجة، ويحققوا تطلعاتهم، كانت الفرص التي سيسعون من خلالها إلى مستقبل مشترك يعمه السلام والرخاء أفضل".

الدبلوماسية في العصر الرقمي

عندما نفكر بمصطلح في الدبلوماسية يخطر على بال الكثير قلم الريشة والمداد، أو المراسلات الدبلوماسية من خلال الحمام الزاجل، إلا أن اليوم بات هناك مصطلح جديد بتنا نُوليه أهمية كبيرة، ألا وهو الدبلوماسية الرقمية.

والحقيقة أن الدبلوماسية الرقمية ليست بمصطلح أو توجّه جديد لوزارة الخارجية البريطانية، فتواجدنا كوزارة وكسفارات على المنصات الرقمية وشبكات التواصل الاجتماعي كـ"فيسبوك وتويتر" تخطى الآن أربعة أعوام.

وبشكل رئيسي، يهدف تواجدنا على الساحة الرقمية إلى الاستفادة من الإنترنت كوسيلة لزيادة تفهما وإدراكنا المتبادل وتسليط الضوء على سياساتنا الخارجية وتفسيرها لمستخدمي هذه الشبكات، خصوصاً في ضوء الأهمية المتنامية للإعلام الاجتماعي في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، والنمو الهائل في أعداد المستخدمين في المنطقة، بالإضافة إلى التغييرات السياسية والاجتماعية التي أصبح تنسيقها ممكناً بفضل شبكات التواصل الاجتماعي؛ لذا أصبح مهماً بالنسبة للمؤسسات الحكومية والوزارات أكثر مما مضى أن يكون لها تواجد فعال على هذه الشبكات، لا لقمع هذه الأصوات، وإنما للاستماع إليها ولهمومها وتقييم ردود الأفعال وبناء فكرة أفضل عن آمال الشعوب لتتوافق أفعالنا مع توقعاتهم.

والواقع أن الدبلوماسية الرقمية لا تختلف كثيراً عن الدبلوماسية التقليدية المتعارف عليها، إلا أننا بتنا نستخدم شبكات التواصل الاجتماعي للاستماع إلى مشاكل وهموم الشعوب وفهمها، وأصبحنا نستخدم المدونات وفيسبوك وتويتر لكتابة المقالات ومشاركة أفكارنا وإشراك المستخدمين بنقاشاتنا وتقييم أدائنا بشكل جديد وفعال، واليوتيوب لتحميل المحتوى المصوّر. لكن الأهم من ذلك بالنسبة للدبلوماسيين البريطانيين في المنطقة أننا استفدنا من هذه المنصة الرقمية الضخمة للتواصل المباشر مع الأعداد الهائلة من المستخدمين العرب.

فوفقاً لتقرير نشرته كلية دبي للإدارة الحكومية، وصلت أعداد مستخدمي فيسبوك في الوطن العربي في يونيو 2012 إلى أكثر من 45 مليون مستخدم، ومستخدمو تويتر النشطين فاقوا مليوني مستخدم.

ولتسليط الضوء على أهمية الإعلام الاجتماعي في المنطقة استضافت السفارة البريطانية في لبنان مؤخراً المؤتمر الرقمي لوزارة الخارجية البريطانية في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، وحضره ممثلون عن معظم السفارات البريطانية في المنطقة، واستمعنا إلى كلمة سفير بريطانيا لدى لُبنان توم فليتشر، الذي يُعد "نجم" الدبلوماسية الرقمية البريطانية في المنطقة، حول الإعلام الاجتماعي والدبلوماسية الرقمية.

إلا أن المشهد الرقمي يختلف من دولة إلى دولة في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا. فعلى سبيل المثال في الوقت الذي يشهد تويتر نمواً كبيراً في أعداد المستخدمين الكويتيين مقارنة بفيسبوك، يختلف الحال تماماً في الجزائر التي يعتمد أغلب سكانها من مستخدمي شبكات التواصل الاجتماعي على فيسبوك. لكن العامل المشترك ما بين زملائي وزميلاتي في المنطقة هو تقديرهم لإمكانيات الإعلام الاجتماعي وشغفهم به.

ولذلك أقوم أنا والعشرات من الدبلوماسيين البريطانيين بالتدوين على مدونات وزارة الخارجية البريطانية باللغتين الإنجليزية والعربية، كما أن معظم سفاراتنا الآن متواجدة على شبكات التواصل الاجتماعي، وفي منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا أصبح لدى سفاراتنا ودبلوماسيينا الآن أكثر من 35 صفحة على فيسبوك وتويتر يتفاعلون من خلالها مع مئات الآلاف من متابعيهم، بالإضافة إلى أن منطقة الشرق الأوسط تحظى بنصيب كبير من مشاركات وزير خارجيتنا ويليام هيغ الذي يقوم شخصياً بالتفاعل مع متابعيه والإجابة عن أسئلتهم متى ما سمح له وقته بذلك. هذا بالطبع لا يعني أن دبلوماسيتنا التقليدية قد ذهبت مع الريح، فنحن سنظل مستمرين بذلك طالما هناك شرائح اجتماعية وسياسية من الناس يجب أن نظل على تواصل دائم معهم لكننا دائماً نسعى لبناء علاقات أوسع مع فئات جماهيرية أكبر.

وفي الختام، لا يمكنني إلا أن اتفق مع توم، سفير بريطانيا لدى لبنان الذي قال: "الدبلوماسي الأكثر فعالية في هذا العصر الرقمي هو من يحمل بيده الآيباد بدلاً من أوراق اعتماده".

دبلوماسية المعلومات

علينا أن نلحق بقطار المعلوماتية لا كإله جديد..وإنما كعلم جديد نستطيع أن ندرك إمكانياته ونوظفها، ونستعد لمعرفة أضرارها.

الدبلوماسية في أبسط مفهوم لها؛ هي النشاط السياسي لأمة أو شعب من أجل تحقيق أهداف سياسية في محيط دولي، ويعتمد هذا النشاط على وسائط وأساليب بين الدبلوماسي والمركز الذي قد يكون (وزارة الخارجية) في غالبية الدول أو مفوضية الشؤون الخارجية في الحركات والجماعات المطالبة بالاستقلال.

وتعمل وسائل الاتصال دوراً مهماً في تقدير الموقف السياسي وسرعة اتخاذ القرار وإبلاغه وتلقي ردود الفعل بشأنه..والتقدم التكنولوجيا جعل هذه الوظائف مختلفة في جدواها وطرق أدائها؛ ومن أهم نتائج الطفرة التي شهدها العالم في الاتصالات وتدفق المعلومات أنها أفرزت بيئة جديدة محيطة بنطاق العمل الدبلوماسي، وفي بعض الأحيان، وفرت لدوائر أخري أدوات - طالما احتكرتها وزارات الخارجية - مما أدى إلى تغيير الوزن النسبي لهذه المؤسسات فيما يتعلق بصنع السياسة الخارجية.فالتيار الذي يتبنى منظور التأثير السلبي يرى أن التغيرات السياسية التي نتجت عن العصر الإلكتروني في المجتمع الأميركي، قد أضافت إلى قوة الرئيس قوة أخرى؛ في نفس الوقت الذي توزعت فيه القوة إلى المجالس التشريعية من خلال الإعلام الذي أشرك الجمهور في قضايا العلاقات الدولية، وهو ما يعتبر تناقضاً داخلياً؛ حيث إن كلاً من السلطة التشريعية والتنفيذية قد تمتعت بزيادة في القوة، إلا أن زيادة قوة السلطة التنفيذية لم توزع بالتساوي بين كل مؤسساتها بالطبع، والإمكانات التي توافرت للسلطة التشريعية هي في حقيقة الأمر إعادة توزيع لبعض الإمكانات التي كانت قطاعات تنفيذية تملكها.

ويرى البعض أن المعلوماتية - وعلي غير المألوف - قد أدت إلى شخصنة العلاقات الدولية، حيث أتاحت فرصة الاتصال المباشر بين القادة السياسيين، ويضرب في ذلك مثل هو قيام الرئيس الأميركي الأسبق جورج بوش بتجميع التحالف الدولي في حرب الخليج الثانية.فقد استخدم الرئيس الهاتف كما لم يستخدم من قبل في الدبلوماسية الدولية، وكانت هناك أنواع مختلفة من المكالمات؛ المكالمة القصيرة من أجل إطلاع المخاطبين علي التطورات؛ والمكالمات الأكثر تفصيلاً، وهكذا وضعت القواعد الدبلوماسية جانباً، ولم يعد وزراء الخارجية يمضون ثلاثة أيام من أجل التحضير لمحادثات رئيس الدولة مع رئيس دولة أخرى..كما يرى أخرون أن التقدم في تكنولوجيا الاتصالات نتج عنه تعدد الألسنة المتحدثة باسم الدولة، فيما يطلق عليه الدبلوماسية العامة أو الإعلامية، ويرى أصحاب هذا الرأي

أن ذلك يضعف الأداة الدبلوماسية، لأنها كانت القناة الوحيدة للتعبير عن موقف الدولة.

كما أن هناك من يقول إن دبلوماسية القمة والدبلوماسية الشعبية والدبلوماسية الرياضية إلى آخر ذلك من "الدبلوماسيات "قد أدت إلى توزيع في المهام التي كانت تضطلع بها الدبلوماسية الرسمية الممثلة في وزارات الخارجية، ويحذرون من نتائج الثورة الاتصالية التي تؤثر سلباً علي الأدوات والأدوار التقليدية للدبلوماسية؛ مما أفسح المجال للحركات الإرهابية وللأنشطة الاستخباراتية، وفي ذلك خطراً كبيراً على السلام الدولي الذي تلعب الدبلوماسية فيه دوراً كبيراً.

وإذا استرجعنا أحد أهم وظائف الدبلوماسية، نجد أنها حماية المصلحة القومية، وهي مصلحة مركبة تتكون من عدد من المصالح الجزئية سياسية؛ اقتصادية، ثقافية، عسكرية، ولذا فهناك حاجة دائمة إلى تشكيل صورة شاملة.

ومن هنا كانت فائدة أي آلة قادرة علي تربيط ومعالجة المعلومات؛ وهذا هو لب الهدف من استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات؛ التي تستجيب - في حقيقة الأمر- لأهم متطلبات الجهاز الدبلوماسي المبنية على وظيفته وبنيته، بالإضافة إلى العوامل الذاتية التي تشجع وزارات الخارجية على إدخال تقنية المعلومات في منظوماتها، لكن لا يمكن إغفال العوامل الخارجية، التي تتمثل في تغير البيئة المحيطة بهذا العمل، فقد تغير السياق الدولي العام المحيط بصناعة القرار الدبلوماسي مع تسارع الأحداث وكثرة المعلومات المتوافرة عنها.ولذا فقد تقلصت المدة المتاحة أمام عملية صناعة القرار؛ وأصبحت هناك حاجة دائمة للاستجابة للبيئة المتغيرة؛ فالسلوك تجاه استخدام تكنولوجيا المعلومات في الحكومة يتغير كلما أصبحت نظم المعلومات أكثر تطوراً؛ وأنه من الممكن التكيف مع بعض نظم المعلومات المستخدمة بالفعل في المؤسسات التجارية، بل إن تطبيق وتفعيل نظم المعلومات كان أحد الطرق لتمكين وزارات الخارجية من المنافسة وإثبات ذاتها؛ نظراً لقيام الوزارات الأخرى بمشاركة أكبر في القضايا الدولية لتمكنهم بالاتصال مباشرة بنظرائهم الأجانب.

ولكن كما أن هناك مركبات ذاتية وخارجية لاستقدام تكنولوجيا المعلومات في العمل الدبلوماسي، توجد أيضا عوائق عديدة منها ماهو مادي، وأمني، وبنيوي، وتقني؛ فالعوائق المادية تتمثل في محدودية توافر الأجهزة وضعف ميزانيات وزارات الخارجية بالمقارنة بالشركات العملاقة المتعددة الجنسية ووزارات الدفاع، مما يصعب القيام بالتطوير اللازم في عصر المعلومات.ويفاقم من هذه المشكلة أن هيكل الجهاز الدبلوماسي يتكون من مقر دائم وبعثات في الخارج؛ مما

يزيد من تكلفة عملية إدخال تكنولوجيا "المعلواتصالية "، نظراً "لتمدد "الجهاز الإداري عبر مواضع متباعدة جغرافياً..

كما أن هناك معوقات بيئية تتمثل في جانب مهم من عمل الجهاز الدبلوماسي وسط محيط أجنبي يمكن الدولة المضيفة من فرض قيود عليه وتبخل عليه بالمساعدات الفنية.

وهناك أيضاً عوائق تقنية تتمثل في صعوبة المعالجة الإلكترونية لمعظم المعلومات التي يضطلع بها؛ حيث إنها معلومات "مرنة" وغير مهيكلة.ومن العوائق البنيوية صعوبة الوصول إلى استراتيجية عامة لميكنة وربط المقر بالبعثات؛ لاختلاف أحجام السفارات واختلاف المعايير الفنية؛ إلا أن المشكلة الأكبر تتمثل في العوائق الأمنية؛ فطبيعة المعلومات التي تتداولها وزارات الخارجية معلومات سرية، وبما أن هناك مخاطرة دائماً في شبكات المعلومات بأنها يمكن اقتحامها إلكترونيا، فقد كانت المعوقات الأمنية أحد أهم الأسباب وراء الإبطاء في ميكنة العمل في الأجهزة الدبلوماسية.

ويوجد أسلوبان للتعامل مع هذا العائق، الأول تقني فني يعنى باستخدام تكنولوجيا متقدمة يصعب اختراقها..أما الثاني فتمثل في إعادة تقييم معيار السرية الدال على عدم التمكن من توصيل التحليلات المهمة إلى الشخص المناسب في الوقت المناسب، حتى يتسني إتخاذ القرارات المهمة مما حتم تبني رؤية جديدة لمفهوم سرية المعلومات يدفع إلى التقليل من القيود المفروضة على إنسياب المعلومات وتبادلها.

وقد أتاح ذلك إمكانية الحصول على المعلومات المهمة من مصادر مفتوحة للاستخدام العام؛ حتى أن الاعتماد علي المصادر السرية فقط، يقود حتما إلى الوقوع في فخ عدم الكفاءة والفاعلية.

ويضرب المثل هنا بوزارتي الخارجية في المملكة المتحدة والولايات المتحدة الأميركية اللتين قامتا بتخفيض درجة السرية على عدد كبير من الوثائق؛ لكن هناك عائقاً رئيسياً؛ وهو العائق البيروقراطي الإداري؛ فمن المتوقع أن تمثل الجوانب الاجتماعية والسياسية،وليس الفنية، الصعوبات الحقيقية أمام عملية استقدام نظم المعلومات الجديدة في وزارات الخارجية، فأمامها فرصة لتوفير الوقت والجهد الموجهين لتجميع البيانات والمعلومات الخام، فالإعلام ومؤسسات المعرفة المختلفة من جامعات ومراكز أبحاث يقومان بهذه المهمة الآن.والإمكانية متاحة لتوجيه الوقت والجهد إلي مهام أكثر إبداعا تتطلب نوعاً خاصاً من العمالة للالتحاق بالعمل الدبلوماسي؛ تتسم بروح المبادرة والقدرة علي الإدارة وادارة

الأزمات، والتعامل مع التكنولوجيا، وتكون لديها ملكات فكرية ومهارات بحثية، وتكون قادرة علي الاتصال بكفاءة وقيادة الفرق والمجموعات المتنوعة الواسعة؛ أي ما يسمي "عمالة الألفية الثالثة".

ويستلزم هذا بالطبع إعادة تنظيم الهياكل الإدارية لتأهيلها للقيام بالمهمة الجديدة مثل استحداث أو تدعيم إدارات مختصة بمتابعة التطور العلمي والتكنولوجي وإدارات للعلاقات العامة، وما إلي ذلك من تطوير إداري..

كما أنه من المحتمل أن تتجه وزارات كثيرة إلي إنشاء مراكز بحثية، وبنوك ملحقة بها يمكن تكليفها ببحث ودراسة الموضوعات المطلوبة، مع تمتعها بمرونة في التحرك وحرية في التعبير هي في حاجة إليها للقيام بأبحاث حيوية..أما عن كيفية التعامل مع المعلومات والبيانات الخام، فهناك قابلية لتكييف منظومات إدارة المعلومات التي طورتها مؤسسات الإعلام الدولية العملاقة؛ وهذا يعني أن هناك إمكانية وفرصة لوزارات الخارجية أن تتحول من محصل للبيانات ومجمع للمعلومات، ومنفذ للسياسات إلى متلقٍ للمعرفة، ومنسق للمجهودات، مفكر في البدائل ومخطط للاستراتيجيات.

ونتيجة التطور الهائل في تكنولوجيا المعلومات والاتصالات أصبح العالم الآن متشابكاً ومترابطاً إلى درجة لم تشهدها البشرية من قبل؛ وربما يكون هذا التطور أكثر التحولات ثورية في تجربة الإنسانية، ولكن لكي يكون هذا العصر ذا طيات إيجابية وليست سلبية، فأصبح التحدي هو أن نعبر عصر المعلومات إلى عصر المعرفة؛ ومنه إذا أمكن إلي عصر الحكمة..وإذا كان الغرب قد وجد في عصر المعلوماتية شكلاً جديداً من أشكال الابهار،لأنه ما زال يحبو في سنواته الأولى ليخفي آثار الخلل والدمار اللذين أحدثتهما الثورة الصناعية والكيماوية في بيئة الأرض وصحة البشر وما تشكله من أخطار فعلينا أن نلحق بقطار المعلوماتية ليس كإله جديد..وإنما كعلم جديد نستطيع أن ندرك إمكانياته ونوظفه، ونستعد لمعرفة أضرارها.

دور العلاقـات العامة في القطاع الدبلومـاسـي

مقدمة:

تزايدت أهمية العلاقات العامة الدولية في العالم، نتيجةً للتغيرات التكنولوجية والسياسية والاقتصادية التي طرأت عليها، والتي منحت شعوبها حرية التعبير، وإقراراً بقوة الرأي العام فيها، فالنجاح الذي تحقق في مجال شعوبها مكّن من بث ونشر المعلومات والأفكار بسهولة وبسرعة فائقة، وأتاح الفرصة للبشر للاتصال يبعضهم البعض، والتأثير على الرأي العام العالمي بشكل كبير.

وتعد العلاقـات العامة الدولية حلقة الوصل بين مؤسسات المجتمع الواحد، وبين المجتمعات الأخرى عن طريق تقديم خدمات معينة لها مبنية على الثقة المتبادلة انطلاقًا من أهمية الفرد والشرائح الاجتماعية، وقوة تأثير الرأي العام في المجتمعات على مختلف المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

ويُلاحظ في السنوات الأخيرة زيادة الاهتمام بالعلاقات العامة الدولية، وزيادة إقبال المنظمات الدولية على تطوير وظائف العلاقات العامة لديها، وزيادة إقبال الشركات على تعيين أفضل العناصر للعمل بالعلاقات العامة لديها، وبهذا فإن العلاقات العامة قد تأكدت فعاليتها للمنظمات والمؤسسات بشكل عام، سواء كانت محلية أو دولية، وذلك في المجالات الاتصالية المبذولة في أداء الممارسة المختلفة للنشاطات وأهداف العلاقات العامة، مما أدى إلى تدعيم علاقة المؤسسة بالعديد من جماهيرها بشكل يحقق أهداف المنظمة؛ لذا فقد بدأت بيئة المنظمات على اختلاف أنواعها تنال نصيبها من الاهتمام والدراسة منذ الخمسينات من القرن الماضي، وتزايد الاهتمام بها بشكل ملحوظ في العشر سنوات الأخيرة، حيث يُنظر إلى المنظمة باعتبارها كائن حي منفتح على العالم الخارجي، ومتفاعل معه، ويؤثر فيه، ويتأثر به بصورة مستمرة.

وبما أن الدبلوماسية نشأت كوسيلة للاتصال والتفاهم بين الجماعات البشرية المتجاورة وتطورت علاقاتها شعرت بحاجتها إلى انتهاج حسن العلاقة مع بعضها وقد اقتضى هذا نشوء الأسلوب الدبلوماسي كسلوك اجتماعي تتطلبه الحاجة إلى التفاهم والتعاون وتبادل المعرفة والمنفعة من أجل الاستقرار والسلام والحماية والأمن.

كما أدت العولمة والثورة التكنولوجية إلى سرعة التغيير في مختلف مجالات الحياة اليومية والعلاقات الدولية، مما حذا بالمجتمعات في التوسع وتوفير المعرفة وسهولة الحصول على المعلومات مما مكن المجتمعات والهيئات من إقامة علاقات طيبة مع بعضها البعض،إضافة إلى ظهور المجتمع المدني كجهات فاعلة غير حكومية في التواصل مع الشعوب مما أدى إلى بروز أهمية العلاقات العامة والدبلوماسية المعاصرة في المجتمعات المتقاربة.

ومن جانب آخر يتأثر دور العلاقات العامة تأثرًا واضحًا بالمتغيرات الداخلية والخارجية للمنظمة مما يدعونا إلى قياس طبيعة ومدى هذا التأثير على وظيفة العلاقات العامة في القطاع الدبلوماسي، خاصةً في ظل تطور المنظمات الدبلوماسية وذلك بحدوث ثورة التكنولوجيا والعلم الحديث وانتشارها في كافة أنحاء العالم، فقد حققت المنظمات الدبلوماسية طفرة كبيرة في أساليبها وفنونها وطرق أدائها بحيث شهد المجتمع الدولي المعاصر أشكالاً وأنماطًا جديدة، من الفن الدبلوماسي لم يسبق أن رآه العالم على هذا النحو وبهذا قُدر للدبلوماسية أن تتخلص من أساليبها وتقاليدها القديمة التي لم تعد تتمشى مع روح هذا العصر، وأن تحتفظ بوظائفها الجوهرية وأن تستحدث أساليب ومناهج عصرية حديثة لكي تواكب الظروف والأوضاع الجديدة في المجتمع الدولي المعاصر، وهو ما سعت إليه هذه الدراسة في التعرف على طبيعة دور العلاقات العامة في القطاعات الدبلوماسية والجهود الاتصالية المبذولة بها في ممارسة أداء هذه المهنة، خاصةً في ضوء قلة الدراسات العربية والمصرية التي تناولت طبيعة هذه الوظيفة وتسعى إلى قياسها في بيئة العمل المصرية.

أهمية الدراسة:

تنبع أهمية الدراسة من العديد من النقاط التي تتميز بها وهى:

أولاً: تكتسب الدراسة الراهنة أهميةً خاصة نظرًا للتداخل بين عمليات الاتصال الدولي وفنون إدارة العلاقات العامة الدولية حيث تعرف الدبلوماسية الحديثة بأنها فن إدارة الاتصال والعلاقات بين الدول وأن الدبلوماسية الحديثة تقوم على الإعلام والعلاقات العامة.

ثانيًا : تجمع هذه الدراسة بين مجالين بحثيين رئيسيين من أهم المجالات في الدراسات الاتصالية والإدارية :المجال الأول هو العلاقات العامة الدولية والذي يعد أكثر المجالات سرعة في النمو في العلاقات العامة حاليًا، وهو المجال الذي يحتاج ممارسو العلاقات العامة للتخصص فيه بشكل كبير ليتمكنوا من مراعاة تطورات العصر الحالي في عملهم، أما المجال الثاني فهو مجال القطاع

الدبلوماسي الذي يعد من أكثر المجالات تشعبًا وانتشارًا حيث إن الدبلوماسية نتاج للعلاقات الدولية والأساس الذي تبنى عليه العلاقات الدبلوماسية المعاصرة ومع تشعب هذه العلاقات اتسع نطاقها بحيث لم تعد مقصورة على الجانب السياسي في التعامل بين الدول بل امتدت إلى النواحي الاقتصادية والثقافية والإعلامية وغيرها.

ثالثًا : تأتى أهمية هذه الدراسة أيضًا من طبيعة العمل الدبلوماسي نفسه حيث إنه لابد أن يصطحب العمل الدبلوماسي جهدًا أكبر على مدى أطول لإزالة الرواسب التاريخية وتقريب المصالح وإقرار التفاهم ومن هنا كانت دراسة العلاقات العامة مفتاح الدبلوماسية الحديثة.

رابعا : تزايد انتشار صور العولمة والثقافات الغربية على مجتمعاتنا العربية عبر وسائل الإعلام العالمية و الإلكترونية ,وهذا الزحف الثقافي الغريب على أصول وثوابت مجتمعاتنا العربية التي لم تعد تميز كثيرًا بين الجانبين المادي والمعنوي للثقافة؛ مما يحتم استخدام السفارات والدبلوماسية المعاصرة لأدوات العلاقات العامة وتوظيفها لمواجهة التأثيرات السلبية للثقافة المتدنية, والتمسك بالأخلاقيات المهنية وضوابطها, وتصميم برامج اتصالية الهدف منها خلق القناعة لدى مجتمعاتنا بضرورة التمسك بالذات, والمحافظة على الهوية, وتقديم صورة صحيحة عن مجتمعاتنا أمام الآخر.

مشكلة الدراسة:

أمكن تحديد المشكلة البحثية بناءً على استعراض نتائج الدراسات السابقة والقراءات والملاحظات العلمية، حيث لاحظ الباحث نقصًا واضحًا في الموضوعات التي تناولت دراسة العلاقات العامة في السلك الدبلوماسي عمومًا حيث تفتقر المكتبة العربية إلى مثل هذه النوعية من الدراسات على الرغم من أهمية الدور الذي يمكن أن تقوم به العلاقات العامة في القطاعات الدبلوماسية وذلك باعتبار أن العمل الدبلوماسي وليد العلاقات العامة.

وبناءً على ما سبق فإن هذه الدراسة تصدت لدراسة الجوانب التنظيمية والإدارية ووسائل الاتصال المستخدمة من قبل إدارة العلاقات العامة في القطاعات الدبلوماسية والقائمين بالاتصال بهدف التعرف على طبيعة أداء وظيفة العلاقات العامة الدولية وقياس مدى فاعلية هذه الوسائل في تحقيق الأهداف المطلوبة وتقييم هذا الأداء، ودراسة المشكلات والمعوقات وأساليب مواجهتها، ومدى استخدام القائم بالاتصال في العلاقات العامة لتكنولوجيا الاتصال الحديثة وأثر ذلك على أداء العمل،ومعرفة الصفات والمهارات الاتصالية التى يجب أن تتوافر فى القائم بالاتصال فى العمل الدبلوماسى، وكذلك نوعية النماذج المستخدمة فى الأدوار

الاتصالية لممارسي العلاقات العامة الدولية فى السفارات والقطاعات الدبلوماسية، وكذلك قياس أهم المتغيرات البيئية المؤثرة على ممارسة العلاقات العامة الدولية في السفارات والقطاعات الدبلوماسية وصولاً إلى اقتراحات محدودة لتطوير هذه الوظيفة مما يعكس صورة متكاملة لأداء العمل في العلاقات العامة في القطاعات الدبلوماسية.

المناهج المستخدمة في الدراسة:

اعتمدت الدراسة على عدد من المداخل النظرية التي تفيد افتراضاتها في دراسة وتحليل أسئلة الدراسة وفروضها والتعرف على تأثيراتها وأبعادها الثقافية وصولاً إلى الأسس والمعايير الهامة التي تقوم عليها ممارسة العلاقات العامة الدولية في المؤسسات الدولية التي تحكمها، ومن بينها السفارات العربية والأجنبية -محل الدراسة ومن بين هذه الأدوار و النماذج أدوار ونماذج العلاقات العامة التي اقترحها (Grunig and Hunt) وهي:

- نموذج الوكالة الصحفية/ النشر.
- نموذج المعلومات العامة.
- النموذج اللا متوازن ثنائي الاتجاه.
- النموذج المتوازن ثنائي الاتجاه.

إضافة إلى مبادئ النظريــة العالميــة للعلاقــات العامــة الدوليـــة وتنتمي هذه الدراسة إلى الدراسات الوصفية Descriptive Study ، وتعتمد هذه الدراسة على منهج المسح الميداني الذي هو محاولة منظمة لتقرير, وتحليل وتفسير الوضع الراهن لنظام أو جماعة أو بيئة معينة، واعتمدت الدراسة بشكل أساسي على منهج المسح حيث يعد من أنسب المناهج العلمية للدراسات الوصفية، وكذا أسلوب المسح الشامل لممارسي العلاقات العامة في القطاعات المختلفة المعنية بالدراسة ومسح اتجاهاتهم حول طبيعة العمل في إدارات العلاقات العامة ودرجة أدائهم لمهنتهم ومؤهلاتهم العلمية والمهارات الاتصالية بهدف تصوير الواقع الفعلي والتعرف على الطرق التي تتبعها هذه القطاعات في ممارسة نشاطاتها المختلفة، الذي تم تطبيقه على (50 مفردة شملت: 50 سفارة عربية وأجنبية داخل جمهورية مصر العربية وقام الباحث باستخدام المنهج المقارن بوصفه من المناهج المساعدة في إجراء مقارنات كمية وكيفية بين مجتمع الدراسة، حيث تناولت الدراسة دراسة مقارنة بين مجتمع الدراسة بين السفارات العربية والأجنبية فيما يتعلق بأوجه

الاختلاف والتشابه حول أساليب ممارسة العلاقات العامة ومستوى الأداء بينهما بهدف تصوير الواقع الفعلي بينهما وأسباب النمط السائد بينهما.

واعتمدت الدراسة في جمع وتحليل البيانات الخاصة بها بأكثر من أداة بحثية تتوافق مع نوعية الدراسة وأهداف البحث: واستخدم الباحث استمارة الاستقصاء بوصفها أداة بحثية مناسبة لجمع البيانات من مفردات العينة من ممارسي العلاقات العامة، حيث تم تضمينها بمجموعة من الأسئلة عبر محاور موضوعية عبرت في مجملها عن الأهداف الكلية للدراسة وقد ترجمت الاستمارة باللغات الثلاث العربية والإنجليزية والفرنسية. وتم استخدام المنهج المقارن في هذه الدراسة بهدف إجراء بعض المقارنات الكمية والكيفية بين مدى القيام بالأدوار الفعلية للعلاقات العامة وممارساتها النموذجية بين السفارات العربية والأجنبية؛ لمعرفة التباين أو الاتفاق في المعالجات بما يساعد في تقديم رؤية أكثر عمقًا ووضوحًا, وكذا المقارنة بين مدى استخدام تكنولوجيا الاتصال والنماذج المستخدمة في أدوار العلاقات العامة.

جاءت الدراسة في ستة فصول:

- حيث عرض الباحث في الفصل الأول الإطار المنهجي للدراسة والذي اشتمل على المقدمة والدراسات السابقة ومشكلة الدراسة وأهميتها وأهداف الدراسة وتساؤلاتها وأهم المناهج المستخدمة وكذلك أدوات جمع البيانات.
- وفي الفصل الثاني تناول الباحث الدبلوماسية كمدخل نظري وانقسم هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث تناول المبحث الأول مفهوم الدبلوماسية و تاريخها وتطورها، وفى المبحث الثاني الدبلوماسية وصلتها بالعلوم الأخرى، ثم عرض في المبحث الثالث النشاط الدبلوماسي

إطاره المؤسسي– أشكاله – أشخاصه حيث أكد هذا الفصل أن عملية الاتصال بالجماهير اليوم أصبحت من المهام المرتبطة بالعمل الدبلوماسي، و أن العمل الدبلوماسي أصبح مرتبطًا بالعمل الإعلامي وهذا يفسر الأسباب التي دعت بعض فروع العلوم السياسية لتعتبر الإعلام والعلاقات الدولية فرعًا من فروعها الدراسية التي يتحتم على الطالب دراستها، حتى أن مظاهر العمل الدبلوماسي خلال القرن العشرين قد اتخذ منحى الرغبة في نشر ثقافة الدولة التي يمثلها الدبلوماسي، بالإضافة لممارسته الوظيفة الإعلامية الدولية.

في حين تناول الفصل الثالث الإعلام والدبلوماسية وانقسم هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث عالج المبحث الأول الإعلام الدولي والدبلوماسية ومفاهيم الاتصال الدولي وأهميته في المجال الدبلوماسي ، ثم تناول المبحث الثاني الدبلوماسية

الإعلامية وتكنولوجيا الاتصال ، أما المبحث الثالث فقد عرض الباحث فيه التدفق الإعلامي وأثره على الدبلوماسية المعاصرة وواقع الإعلام العربي حول الغزو الإعلامي الدولي وأثره على الأنظمة الدبلوماسية العربية واستنتج ويستنتج الباحث بأن غياب الرقابة وغياب السيطرة من الدول الفقيرة لهى فى خطر من فقدان السيطرة على الجوانب الأساسية لدولها، إضافة إلى خطر العولمة الثقافية وتقديم عولمة اتصالية مثل البرمجة والترفيه والتحف الفنية والثقافية والأفلام وأشرطة الفيديو وأقراص الكمبيوتر والكتب والمجلات وغيرها، تسعى إلى التطرف حول قضايا شائكة من خلال حرية التبادل الإعلامى الدولي وهذا الشكل من أشكال العولمة والاتصال يستطيع أن يبرهن على أن من يملك هذه الوسائل هو القادر على احتكار هذا المنتج وتسخيره كيفما يشاء لهذه الدول الفقيرة وبهذا إذا استطاعت الأمة العربية أن تغير من سياساتها وأنظمتها السائدة على المستوى السياسي والاقتصادي والدبلوماسي والإعلامى، وتضاهى الأنظمة العالمية وسياساتها المتبعة ستصل إلى بر الأمان بأمتنا العربية والإسلامية فى كل الميادين، فى عالم لا يعترف إلا بمنطق القوة وبالأخص قوة " الإعـلام وتكنولوجيـا الاتصـــال. . "

أما الفصل الرابع فقد تناول الدبلوماسية والعلاقات العامة الدولية ، وقد انقسم هذا الفصل أيضًا إلى ثلاثة مباحث تناول الأول منها مدخل إلى العلاقات العامة الدولية من حيث مفهومها ونشأتها وأهميتها في العمل الدبلوماسي، وبهذا يرى الباحث أن العلاقات العامة أصبحت جزءًا مهمًا من نمط الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية للعديد من الشعوب نتيجة لتشابك المصالح والأهداف الدولية جنبًا إلى جنب وتزايد المؤسسات والشركات المتعددة الجنسية وبروز الاتصال الدولي والسياسة في كافة النواحي الاتصالية التي تربط دول العالم في مصالح واحدة، الأمر الذي أجبر الهيئات الدولية والحكومية وكذلك الخاصة إلى الاهتمام عالميًا بهذه الأقسام أو إدارات العلاقات العامة، خاصةً في ظل عولمة تكنولوجيا الاتصال الحديثة إضافةً إلى أن عولمة برامج واستراتيجيات العلاقات العامة تسير بخطى سريعة جنبًا إلى جنب . وما صاحب ذلك أيضًا من تطور السوق العالمي وتطور وسائل المواصلات والاتصالات وتكوين التحالفات عبر العالم الأمر الذي جعل لا بديل لممارسة العلاقات العامة في كل مجالات الحياة.

ثم تطرق المبحث الثاني إلى نظريات وأدوار العلاقات العامة الدولية المعــاصرة، وجاء المبحث الثالث ليوضح مدى استخدام تكنولوجيا الاتصال والملتيميديا الحديثة في ممارسة العلاقات العامة الدولية في القطاع الدبلوماسي.وباعتبار العمل الدبلوماسي ليس بعيدًا عن هذا المجال ومدى ارتباط الدبلوماسية بالإعلام وتكنولوجيا الاتصال وأثرهما على أداء الممارسة الدبلوماسية، نستطيع أن نلحظ أن القائم بالاتصال في هذه القطاعات يجب أن يكون

ملمًا بتكنولوجيا الاتصال وأدواتها، الأمر الذي يجعل من نجاح هذه المؤسسات بالقدر الكافي وفى السطور القادمة سوف يعالج الباحث أهمية الإعلام وتكنولوجيا الاتصال في القطاع الدبلوماسي، وكذلك مدى استخدام تكنولوجيا الاتصال الحديثة والوسائط المتعددة من قبل الممارسين وفعاليتها على تطور الأداء وكذلك التعرف على كيفية استيفاء الدبلوماسي لمعلوماته وطبيعة تعامله مع الإعلاميين والممارسين حتى نصل في النهاية إلى نموذج فعال للممارسة الدبلوماسية الفعالة.

وعرض الباحث في الفصل الخامس العلاقات العامة الدولية والاتصال الدولي)المؤهلات والأخلاقيات(، وجاء في ثلاثة مباحث حيث تناول المبحث الأول أخلاقيات العلاقات العامة الدولية والاتصال الدولي في القطاع الدبلوماسي، والمبحث الثاني حول العلاقات العامة الدولية والنظم الدبلوماسية في الإسلام ومن هنا يرى الباحث أن القواعد وأخلاقيات الدبلوماسية والنظم الإسلامية في المعاملات الدولية يجب أن تدرس في أكبر الجامعات الأوربية والأمريكية، لتثبت للعالم أجمع أنه لا يوجد في أي منظومة في العالم أخلاقيات للدبلوماسية الدولية إلا في النظم الدبلوماسية الإسلامية، التي أرست القواعد المنظمة للعالم أجمع وتفتر كل الافتراءات على العالم الإسلامي، كما يجب على العالم الإسلامي والعرب أن يعيدوا من سياساتهم ودبلوماسياتهم وأن يرجعوها إلى قواعدها الإسلامية الصحيحة حتى نكون على رأس ومقدمات الأمم في تعاملاتنا الدولية والخارجية.

وتناول المبحث الثالث استراتيجيات العلاقات العامة الدولية والنظم الدبلوماسية الإسلامية وأثرهما على الدبلوماسية المعاصرة: دراسة تاريخية استنباطية.

وفي الفصل السادس عرض الباحث الجانب التطبيقي للدراسة وقد تضمن هذا الفصل مبحثين، تناول الأول نتائج الدراسة الميدانية للقائم بالاتصال في العلاقات العامة في القطاعات الدبلوماسية، وعرض المبحث الثاني نتائج اختبار فروض الدراسة الميدانية، ثم في نهاية الدراسة عرض الباحث نتائج واستخلاصات الدراسة ومقترحاتها وتوصياتها ثم حدود الدراسة وما تثيره من دراسات مستقبلية وأخيرًا المراجع ثم الملاحق.

نتائج الدراسة:

توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج من أهمها:

- أظهرت إجابات المبحوثين درجة اهتمـام السفارات العربية والأجنبية بوجود جهاز علاقات عامة متخصص لممارسة أنشطة العلاقات العامة؛ حيث بلغت نسبة درجة الاهتمـام (78.0٪) من الإجمالي العام لإجابات المبحوثين، في حين بلغت درجة عدم الاهتمام بوجود جهاز علاقات عامة متخصص درجةً قليلةً جدًّا بنسبة (22.0٪) من الإجمالي العام لعينة الدراسة، ويرجع ذلك إلى أن عدد من المبحوثين أشاروا إلى أن ا لمستشار الثقافي هو الذي يقوم بمهام العلاقات العامة وأنها لا تحتاج إلى إدارة متخصصة.
- كشفت إجابات المبحوثين أن نسبة (100.0%) من إجمالي نتائج المبحوثين أشاروا إلى أن الإدارة العليا بسفاراتهم الموقرة تتفهم طبيعة عمل العلاقات العامة ووظائفها وهذا يدل على أن السفارات تقدر طبيعة هذه المهنة وذلك باعتبار أن العلاقات العامة والدبلوماسية وجهـان لعملة واحـــدة.
- أظهرت نتائج المبحوثين بأن نسبة (94.9%) من إجمالي نتائج المبحوثين أكـدوا على أن العلاقات العامة هي همـزة الوصل بين السفارة والجمهور الخارجي وجاءت هذه العبارة في المرتبة الأولى من إجمالي نتائج المبحوثين وهذا يدل على مدى أهمية العلاقات العامة في السفارات والقطاعات الدبلوماسية ومدى إيمان الإدارة العليا بها، في حين جاءت بنسبة(100.0%) من استجابات المبحوثين في السفارات العربية، ونسبة (92.0%) من إجابات المبحوثين في السفارات الأجنبية وهذا يدل أيضًا على تحقيق الهدف الفعلي لوظيفة العلاقات العامة في السفارات العربية والأجنبية.
- كشفت نتائج الجداول الخاصة بمدى استخدام ممارسي العلاقات العامة لشبكة الانترنت والملتيميديا الحديثة في السفارات والقطاعات الدبلوماسية، حيث أظهرت استجابات المبحوثين درجة استخدامهم لشبكة الانترنت والملتيميديا الحديثة في أدائهم لأعمالهم وقيامهم بها, وقد حددت العبارات بصحيفة الاستقصاء بعض العبارات التي عالجت ما يجب أن يقوم به ممارسوا العلاقات العامة في أدائهم لأعمالهم والأدوار المنوطة بهم من خلال التعامل مع شبكة الانترنت واستخدام الملتيميديا الحديثة, وأظهرت الاستجابات مدى درجة تعاملهم مع هذه الوسائل بشكل دائم أو أحيانًا أو غالبا، وغلب استخدام هذه الوسائل من قبل المبحوثين وإن اختلفت قليلاً في إجابات المبحوثين في بعض السفـارات.

- أشارت نتائج المبحوثين إلى مدى استخدام استراتيجيات الدبلوماسية الإعلامية فى إدارات العلاقات العامة بالسفارات وأشارات نتائجهم إلى "الإستخدام الدائم" لهذه الإستراتيجيات والتى حددها الباحث فى استمارة الاستقصاء التى عرضها عليهم واوضحت النتائج ما يلى:

جاء استخدام الدبلوماسية الإعلامية بأنها هي الذراع الأيمن للسياسة الخارجية للدول وبالتالي لا تبخل عليها بأي مبلغ مادي مهما تكن ميزانيتها فى المرتبة الأولى من الاستراتيجات الإعلامية التى يستخدمها ممارسو العلاقات العامة فى قطاعاتهم الدبلوماسية، في حين جاءت فى المرتبة الأولى أيضا فى إجابات المبحوثين فى السفارت العربية، وفى المرتبة الثانية من إجابات المبحوثين فى السفارت الأجنبية وهذا يعطى مؤشر قوى إلى مدى التكامل بين العمل الدبلوماسى والإعلامى إذ أن الدبلوماسية الإعلامية وسيلة مهمة من وسائل توضيح المعلومات ونقل الصورة للجمهور.

توصيــات الدراســـة:

من خلال عرض نتائج الدارسة والدراسات السابقة يرى الباحث أن هناك العديد من المقترحات التي يجب مراعاتها لضمان فعاليات أداء ممارسات العلاقات العامة في السفارات والقطاعات الدبلوماسية والدور الاتصالي والإعلامي الفعال الذي تقوم به إدارات العلاقات العامة من خلال التعامل مع الهيئات والدول والجمهور المحلى والعالمي ومن أهم هذه التوصيات مايلى:

أولاً: بالنسبة للسفارات العربية والأجنبية:

- يجب أن يدرك قادة العالم في جميع قطاعاته الدبلوماسية :أن العلاقات العامة والدبلوماسية العامة متهيئان الآن للتعامل مع متغيرات العصر الجديد في العالم أجمع بما فيها الدول النامية والدول العربية على وجه العموم لأنهما وجدا المناخ الملائم لهما من سهولة الانتقال وسرعة الحصول على المعلومات والتبادل الإعلامي والمؤسساتي الدولي السريع، والاهتمام بالرأي العام العالمي، كل هذه العوامل جعلت من العلاقات العامة والدبلوماسية واستراتيجياتهما مناخًا ملائمًا لاستخدامهما الاستخدام الأمثل للنهوض بالعالم سياسيًا واقتصاديًا وفكريًا وثقافيًا حتى يعيش العالم في سلام وأمن وأمان وهذه هي قمة عمل العلاقات العامة والدبلوماسية التي وُجدا من أجلها.

يجب أن يدرك القادة وخبراء الدبلوماسية في الوطن العربي :أن العلاقات العامة الدولية وظيفة من وظائف السلك الدبلوماسي، حيث أصبحت من المهام الأساسية للبعثات الدبلوماسية العاملة في الخارج، بما تسمح به إمكانيات كل من

دول العالم وأنه كلما زاد التقدم الثقافي والتقني في أي دولة من دول العالم، زاد دور الدبلوماسية الشعبية، وبهذا وجب على القطاعات الدبلوماسية العربية أن تفطن إلى تأسيس جمعيات علاقات عامة عربية هدفها التواصل مع شعوب العالم وغرس القيم وتصحيح الصورة والهوية العربية وهذا لن يتأتى إلا بجهود متكاتفة عربية وبعناصر مدربة على هذا العمل.

ثانيًا : بالنسبة لممارسة العلاقات العامة فى القطاعات الدبلوماسية:

- يجب إعادة توضيح مفهوم العلاقات العامة لدينا تمشيًا مع روح العصر، كما أن تعاريف العلماء العرب تحوى على مهام وأدوار العلاقات العامة الحقيقية وما يجب أن تكون عليه مؤسساتنا العربية والإسلامية.
- ضرورة ترقية مفهوم العلاقات العامة في ظل تكنولوجيا الاتصال والمعلومات، والتنبؤات المستقبلية لأيديولوجية العولمة.
- يجب أن تتماشى ثقافتنا التعليمية مع فلسفة العلاقات العامة التي تؤمن بالانتشار ومخاطبة جمهور العالم بلغاته التي يتحدث بها، لذا وجب على ممارسة العلاقات العامة الدولية العربية ممارسة واستخدام اللغات المتعددة خاصة الإنجليزية منها وذلك للدخول في السياسة الأحادية الموجهة نحو عالم معولم وبث أفكارنا ومعتقداتنا وسهولة معرفتها وفهمها بوضوح.

ثالثًا : بالنسبة للإعلام الدبلوماسي ومدى استخدامه في القطاعات الدبلوماسية:

- اقتراح إستراتيجية إعلامية سريعة ومختصرة تشارك فيها وزارات الخارجية والثقافة والإعلام والتعليم العالي والجهات الأخرى ذات العلاقة : لإعادة صياغة الخارطة الإعلامية ومحاولة النهوض بقطاع الإعلام الداخلي والخارجي ضمن نهج إعلامي متوازن ملتزم بالثوابت للحفاظ على الهوية العربية.
- ربط السفارات العربية في الخارج مع وزارات الإعلام والثقافة : لتزويدها بالمادة الإعلامية من مصادرها الداخلية، والاستفادة من وسائل التقنية الحديثة والانترنت لضمان إيصال الرسالة بكل شفافية ودقة، والتنسيق بين تلك الأجهزة الإعلامية الداخلية المختلفة لتوحيد الخطاب الإعلامي الخارجي.

- تعيين ملحقين إعلاميين مؤهلين ومتخصصين في السفارات، يمكنهم الاضطلاع بمهام الربط الطبيعي بين الإعلام المقروء والمسموع والمرئي والعمل الدبلوماسي.

الدبلوماسية الشعبية أو دبلوماسية الإعلام

كانت الدبلوماسية التقليدية تقوم أساساً على التعامل بين الحكومات، أما اليوم فنتيجة لانتشار التعليم والثورة الهائلة في وسائل الإتصال فإن الدول تحاول أن تكون لها علاقات مباشرة مع الشعوب، ويسمى هذا الأسلوب باسم الدبلوماسية الشعبية أو دبلوماسية الإعلام.

والسؤال الذي يثار هنا هو: هل هذا الأسلوب ضمن مهام الممثل الدبلوماسي المعتمد لدى دولة ما؟ في الواقع أن الإجابة على هذا السؤال تختلف باختلاف الدول المعتمد لديها هذا الممثل الدبلوماسي، فبعضها يقبله بل ويحبذه، وبعضها الآخر يعتبره
تدخلاً سافراً في شؤونها الداخلية، ولذلك فإن كثيراً من الدول تتجه تخلصاً من الحرج إلى أن تجعل هذا الأسلوب من اختصاص منظمات غير رسمية كالتنظيمات السياسية والنقابية والاتحادات الطلابية، والمبعوثون إلى الخارج بشتى أشكالهم وألوان ثقافاتهم كرجال العلم والدين ، وبذلك تستطيع السفارة التراجع أمام تصرف مجموعة من المبعوثين التابعين لدولتها مثلاً إذا أثار أزمة ما. ولا شك أن هذا يفرض على الدبلوماسي المعتمد لدى دولة ما أن ينسق عمله مع مثل هذه التنظيمات.
لقد كانت إدارة العلاقات الدولية خلال عصر الدبلوماسية القديمة توكل إلى صفوة من الرجال المختارين التي تتفاوض وتقرر سياسات بلادها وعلاقاتها، الأمر الذي تغير في ظل نظم الحكم الديمقراطية، حيث أصبح الرأي العام ذا تأثير بالغ على صناعة السياسة ومنفذها من خلال وسائل الإعلام والأحزاب والاجتماعات الشعبية والبرلمانات والمظاهرات وصناديق الاقتراع. وهكذا أصبحت الدبلوماسية ذات طابع ديمقراطي وبرز نفوذ وتأثير الأجهزة الشعبية والتمثيلية على العلاقات الخارجية وإدارتها.

إن الدبلوماسية الحديثة اتسع نطاقها وأصبحت تعمل في نطاق العلانية ومتابعة وسائل الإعلام، وكذلك تحت تأثير المؤسسات الديمقراطية ويقظة الرأي العام. وهي يجب أن تعطي دور فعال، ومساهمة واسعة من أجل مساهمة القوى الجماهيرية ومنظماتها في ممارسة الدبلوماسية الشعبية بما يعزز دور القنوات الرسمية على صعيد إدارة العلاقات الخارجية والإفادة من علاقات المنظمات غير

الحكومية والجمعيات الأكاديمية في تطوير الممارسة الدبلوماسية وتشجيع السفراء وأعضاء السلك الدبلوماسي على خلق علاقة إيجابية مع وسائل الإعلام.

أما الدبلوماسية الشعبية غير المباشرة فتستخدم بشكل أساسي الإذاعات المسموعة والمرئية الفضائية منها بشكل خاص حيث أن هذه الأخيرة تقوم بنقل وجهة نظرها حول القضايا المختلفة وتحاول التأثير في الشعوب التي يصل إليها بثها وأحيانا يكون هذا البث بلغة الفئة المتلقية فعلى سبيل المثال قامت إسرائيل بإنشاء قناة فضائية عربية هدفها تضليل الرأي العام العربي عبر بث وجهة نظرها بالأحداث التي تجري في فلسطين أما على الصعيد الإذاعي عبر الراديو فهذه الظاهرة قديمة إذ عمد الغرب وخصوصا بريطانيا إلى إنشاء إذاعات موجهة إلى العديد من بلدان العالم بلغاته المختلفة من خلال هيئة الإذاعة البريطانية BBC وكذلك فعلت الولايات المتحدة من خلال راديو صوت أمريكا ، وروسيا الاتحادية إذاعة السلام والتقدم ...الخ.

دور الإعلام وصناعة الرأي العام في الأزمات الدبلوماسية الشعبية

مفهوم الإعلام وتطور وسائله وتأثيره في المجتمعات والنظرية الانتقالية: تحت هذا العنوان، يأخذ الكتاب القارئ والمهتم والدارسين وكل المعنيين إلى تعريف للإعلام على أنه نشاط إنساني لأنه فكرة ومشاركة وإقناع عن طريق بث المعومات والحقائق والأخبار والأرقام والإحصائيات، وهنا يبرز عنوان آخر مرادف لكلمة الإعلام وهو الاتصال الجماهيري مع وضوح الفرق بين الإعلام الذي يفترض فيهالموضوعية والحياد وبين الدعاية التي تتبع أسلوب الإغراء والإثارة وتحريكالعواطف.

ضرورات وأهمية الإعلام في المجتمعات والتخطيط والتنمية: الإعلام يفترض فيه مواكبة الثقافة والحضارة القائمة والارتقاء بمستوى الرأي العام بيئياً وحضارياً وبناء المعارف وتجسيد التعقيدات.

أهمية وسائل الإعلام لكونه ثورة رابعة لأنه مرتبط بالتطورات العلمية والتكنولوجية المسهمة في توسيع الآفاق وبناء العواطف وشد الجمهور، مع المقارنة بين تأثير التلفزيون والمدرسة والجامعة ببعديه، وتوسيع مجالات الحياة والبعد الاقتصادي لأن أي تدفق إعلامي سيجعل من الناس قادرين على فعل الكثير.

مراحل ممارسة وسائل الإعلام

تعتبر العملية التنموية الإعلامية عبر مراحلها، من التخطيط والتنفيذ والدخول الميداني والمراقبة وتصحيح المسارات، هي إحدى أدوات التقدم الوطني

الذي يجب أن يصل سياسياً إلى صياغة هوية ثقافية جامعة تحفظ سيادة الدولة واستقرارها إضافة إلى سحر التكنولوجيا الفاعل في الوحدة الوطنية على المستوى الرمزي.

التخطيط الإعلامي وضروراته

إنه أمر مطلوب ولاسيما في حل المشكلات كتلافي خطر الأزمات لأنه من غير المجدي ترك الأمور للتجربة أو الخطأ أو الارتجال وعليه فالتخطيط من المرتكزات الأساسية للعملية الإعلامية.

- هندسة الإعلام لإيجاد سياسة إعلامية متكاملة.
- التطور التكنولوجي وأثره في وسائل الإعلام – عولمة- غزو إعلامي- الإنترنت.

أدى التطور التكنولوجي في وسائل الإعلام إلى تغيير كبير في أدوار المؤسسات الإعلامية وخلق آفاق سلوكية جديدة وظهور مصطلحات غريبة شكلت غزواً ثقافياً للمجتمعات.

العولمة والإعلام

حلم العولمة هو عالم بلا حدود، ومحصلة نهائية لعملية تحول تاريخية مستمرة في المجتمع الدولي وهي أداة من أدوات السيطرة، والوجه الآخر للمال والسلطة والسلوك والاستهلاك ولقد تسللت العولمة الإعلامية إلينا بتطور متسارع حيث أصبحنا ضحايا وسائل إعلام المعاصرة ولاسيما التلفزيون الذي يقوم بدور متعاظم في صياغة تصوراتنا عن القيم والأفكار والأشخاص والأشياء وأي قرار لم يعدخافياً على الإعلام. وعندما تستحكم الأزمات يتجه الناس للإعلام ليتعرفوا على مايدور ويجري والإعلام بعد 11 أيلول 2001 طرأت عليه أمور كثيرة منها الإعلام للدول الصناعية حيث اعتبر إعلاماً مركزياً موجهاً وأن الارتباط بين التكنولوجيا والعولمة تحصيل حاصل من أجل تحقيق التقدم وهذا يتبعه للقطب الأقوى وهنا تبرز أهمية معالجة هذا الاندماج، وللحقيقة فإن بعض الإعلام أصبح أداة بطش بالعقول وتجريدها من كل ما يحفظ لها مقوماتها وهنا يتضح وجها الإعلام الأول تعسفي بيد القوي والآخر نضالي بيد الشعوب المستضعفة.

طبيعة وخصائص الأزمات

الصراع بين الإنسان وعناصر الوسط الطبيعي المحيطية غير متكافئ وهو بالتالي يتعرض لأزمات وكوارث سواء من ضعفه أم من فعل الطبيعة وينجم عن ذلك حوادث مؤسفة وخسائر وتخريب والتصدي لذلك يتم بوسائل متاحة منها دور مؤسسة الشرطة في تحمل مسؤولية الإبعاد أو الإقلال من الأضرار بسبب الكوارث والأزمات.

ومفهوم الأزمة العام هو لحظة حرجة وحاسمة ومفاجئة للدولة والمجتمع ترتبط بالصراع والتناقض في المجتمع.

وللأزمة مفهوم غير شامل عبر تمثلها بالأزمات الفردية والعامة وبنيتها السياسية والاقتصادية والثقافية والعلمية والمرتكزة على مفاهيم ثلاثة هي نظرية النظم ومنهج صنع القرار والتفسير الشمولي المتغير للأزمة وهكذا تعددت تعاريف الأزمة من نقطة أو حدث حاسم إلى ظرف انتقالي يتم بعدم التوازن أو خلل مؤسساتي شديد أو نقطة تحول للأفضل أو للأسوأ.

مفهوم الكارثة إنها حدث يسبب دماراً ومعاناة، واصطلاحاً هي حادثة مفجعة أو تحطم موارد مادية أو مشكلات طويلة الأمد وتندمج بمتغيرات منها إصابة للنفس البشرية وتدمير للممتلكات وإرباك للموارد المحلية وتمزق تقنية المجتمع وهي شيء قد يحدث في أي مكان وغالباً ما يكون مفاجئاً.

إدارة الأزمة وفريق التعامل معها

يكون ضمن الحقائق التالية: توافر المعلومات وتجزئة الاختصاصات وتنوع المسؤوليات وفق إدارة الأزمة التنظيمي ويحتاج ذلك إلى مقر إدارة الأزمة وهو غرفة العمليات وموقع الحدث وهو مسرح الأزمة.

وشروط غرفة العمليات تكون في المكان السري، الصعب الاختراق والمجهز بأحدث الوسائل والأدوات، والمناسب سعة وأجهزة والتي تمكن من تحقيق رؤية شاملة ودقيقة للأحداث وتطوراتها لتوسع دائرة الكم المعرفي على حساب تناقص الكم المجهول.

أما موقع الحدث فهو مكان الأزمة وعناصر إدارتها وتحتاج إلى عقل ومنطق بعيد عن العواطف.

ومهارات فريق إدارة الأزمة هو صفاء ذهني وقدرة على صناعة القرار واهتمامات المساهمين والحلفاء والمشاركة في صنع القرار والاتصال الواضح والإجابة الدقيقة والأمانة والقدرة والاستجابة السريعة واستخدام الموارد المتاحة وتحمل ضغوط الوقت والعمل بنظام الفريق بمرونة وتفكير إبداعي ولفريق

إدارةالأزمة شروط هي المهارة ورباطة الجأش والطاعة العمياء والوعي والحرص والتضحية بالذات والولاء.

الإعلام والرأي العام أثناء الأزمات

الرأي العام ظاهرة اجتماعية قديمة نالت الاهتمام والتطور حتى أصبحت علماً له نظرياته وفلسفاته وتقنياته وأساليبه وشروط الرأي العام هي أن يكون رأي الأغلبية وأن تكون الأغلبية مثقفة وواعية وضرورة وجود مشكلة أو قضية وتوافر مناخ من الحرية وللرأي العام مدرستان بورجوازية واشتراكية وأهمية الرأي العام تظهر في الأزمات الكبيرة أو في القضايا ذات الصلة مباشرة بحياة الناس وقواعدالرأي العام في آراء الناس ووجهات نظر متنوعة وأثر في الحياة وحساسية تجاه الأحداث وتأثر بعوامل ثقافية وتربوية وهو ظاهرة فكرية ديناميكية الحركة ونتاج اجتماعي لعملية الاتصال والاتصال المتبادل.

أساليب قياس الرأي العام عبر توافر المتطلبات التالية:

- وسائل إعلام فاعلة مع وجود أحزاب ومنظمات وجمهور واسع وإبراز الاختلاف بين الرأي العام والرأي الاجتماعي.
- استطلاع الرأي العام يتم بالاستفتاء والتحليل والملاحظة وقياس الرأي العام بالأزمات يكون عبر المقابلات مع الجمهور أو مسح أو قياس لمدى فعاليته مع الأزمة وإعداد استمارة تقييم للآراء ومسح كيفية التعامل مع وسائل الإعلام وتخصيص خطوط ساخنة لآراء الجمهور والرقابة وضوابط التعبير.
- أهمية تغير اتجاهات الرأي العام في الأزمات وجوهر ذلك يكون عبر الحوار وهو حق إنساني شامل مع حق الاجتماع والمناقشة والحصول على المعلومة والثقافة والاختيار والخصوصيات ورصد أهم ملامح التطورات المنهجية الحديثةللرأي العام التي تجدد الاستراتيجيات للأزمة دون الوقوع بالخطأ ويتم تقييم ذلكبالإجابة عن التساؤلات التالية: هل هنالك من مشكلة؟ ماذا حدث في نهاية المطاف ومدى تأثير ما حدث في سمعة المنظمة؟ وهل يؤثر في امتداد وتوسع الأزمة؟ وكيف يتم الإعداد للسيناريوهات الأسوأ؟ وكيف ترى الجماهير الأزمة من الخارج؟

أهمية التخطيط الإعلامي في مواجهة الأزمات

إنه التخطيط المعد والمدروس الذي يقسم ويشتت العناصر المسببة وغير الجيدة يساعد في استفحال الأزمات وهو تخطيط فاشل عشوائي.

السياسات الإعلامية في الأزمات ومفهوم الأزمة الإعلامية

تكمن إدارة الأزمات في صميم السياسات الإعلامية المختلفة وتشمل جوانب الحياة العامة كافة بما فيها مفهوم الأمن وعلاقته بالأزمات وصعوبة تعريف الأمن نتيجة الغموض والخصوصية واختلاف الموقع العلمي وانعدام وحدة المفاهيم، ومن هنا برز الارتباط الوثيق بين الأمن والأزمات ومنها الأزمة الأمنية والتي هي خلل مفاجئ أو حالة توتر تؤثر في الكيان.

الأزمة الإعلامية تستدعي تحقيق الأمن الإعلامي عبر إيجاد قدر من الصناعات الإعلامية وتقديم خطاب إعلامي عربي متطور ومقنع مع تعاون عربي عربي مثمر.

الإعلام الحر: هو الانطلاق بحرية في الرأي والكلام والتعبير وهذا يحتاج إلى تطبيق دستوري فاعل للكلمة الحرة وقد سادت مجموعة من الأفكار المضللة للمفاهيم والرأي منها الرأي والرأي الآخر- حرية الإعلام وميثاق الشرف الإعلامي- الصحافة الحرة...) والناس هنا لا يدرون ما وراء هذه الأكمة من كذبوزيف وخداع... ونصل إلى حقيقة مفادها أن الحرية في وسائل الإعلام الغربية هي حرية البعد الواحد أي أن تقول كل شيء في اتجاه واحد محدد وغير مسموح لك التكلم بحرية في مجالات محرمة.

التحيز الإعلامي بأشكال متعددة منها تفضيل وجهة نظر معينة مع أدلة صحتها أو عرض الحقائق المقصودة دون بيان أو وجهة النظر الأخرى أو استخدام لغة معينة تؤدي إلى تكوين الحقائق.

الوعي الأمني: هو أساس كل عملية فكرية تربط الإنسان بالعالم الخارجي وهو إدراك عميق لقيمة الأمن، والتوعية الأمنية تستمد أهميتها من أهمية الأمن في حياة الشعوب واتساع نطاق الأمن الشامل ودور المجتمع في توفير الأمن وحمايته وخطوة الجهل بأهمية الأمن وحيويته ودور الأجهزة الأمنية والتوعية القائمة على قاعدتين الأولى تنمية الوعي للحماية الذاتية ضد الجريمة والثانية الإسهام فيمكافحة الجريمة التي تصب في مصلحة المواطن.

حرية الإعلام وضبابية الحدود بين الدبلوماسية والتجسس

شكلت تسريبات "ويكيليكس" أحد أهم أحداث عام 2010، وربما كانت صحيفة "لوموند الفرنسية" على حق، باختيارها مؤسس الموقع "جوليان آسيان" شخصية عام 2010، والحقيقة أنه لو لم تكن الوثائق التي سربها "ويكيليكس" تخص الولايات المتحدة، لما أحدثت هذا الزلزال الدبلوماسي وتداعياته على مستوى العالم، وذلك يؤكد النفوذ الأخطبوطي للسياسة الأمريكية، وتأثيرها الطاغي في القضايا الدولية، وهذه ميزة تسجل للدبلوماسية الأمريكية، ومن هنا يكمن حجم الأذى الذي ألحقه "ويكيليكس" بهيبة الدولة الأعظم، بنشر غسيل دبلوماسيتها وما سببه لها من إحراج أمام أصدقائها وحلفائها!. وكشفت التسريبات في أحد جوانبها خفايا الدور التجسسي للدبلوماسيين الأمريكيين، واعتبرت صحيفة "نيويورك تايمز" في مقال كتبه مارك مازيتي بتاريخ 28 تشرين الثاني (نوفمبر) الماضي، "أن واشنطن وسعت دور دبلوماسييها في جمع المعلومات الاستخبارية في الخارج وفي الأمم المتحدة "، إذ كشفت التسريبات، أن موظفي الخارجية أمروا بجمع المعلومات عن أرقام البطاقات الائتمانية وسجل الرحلات الجوية المتكررة، وبرامج العمل والمعلومات الخاصة عن الشخصيات الأجنبية المهمة، وتقديم تفصيلات عن شبكات الاتصالات السلكية واللاسلكية، التي تدعم الجيوش ووكالات الاستخبارات الأجنبية."

وللمسألة وجه آخر مثير للجدل، فما يعتبره البعض تورط الدبلوماسيين بأعمال تجسسية، يعتبره آخرون في صلب العمل الدبلوماسي، حيث تشكل البرقيات والرسائل التي يبعثها هؤلاء الدبلوماسيون جزءا من خدمة المصالح العليا لبلدهم، فيحرصون على نقل كل صغيرة وكبيرة إلى وزارة الخارجية، سواء من خلال مهمات التجسس أو عبر ما يسمعونه من قادة وسياسيين في الدول الأخرى في جلسات مغلقة!. وحسبما كشفت برقيات وزارة الخارجية فإن هذه التوجيهات "تبدو وكأنها تجعل الحدود التقليدية بين رجال الدولة والجواسيس ضبابية وغير واضحة المعالم."

بدت الحملة الأمريكية لملاحقة جوليان أسانج، وكأنها نسخة أخرى "مصغرة" عن الحملة التي أطلقتها إدارة بوش، منذ بداية القرن الحالي لملاحقة زعيم تنظيم القاعدة أسامة بن لادن، في إطار الحرب الأمريكية على "الإرهاب"، وبدا ذلك من تصريحات المسؤولين الأمريكيين، فقد وصف نائب الرئيس جون بايدن في حديث لشبكة "إن بي سي - 19 كانون الأول (ديسمبر) الماضي" أسانج " بأنه "إرهابي يستخدم التكنولوجيا الحديثة وقام بأمور عرضت للخطر أرواح ومهن مئات الأشخاص في العالم، وجعل تسيير أعمالنا أكثر تعقيدا مع حلفائنا وأصدقائنا."

كما اعتبرت بعض وسائل الإعلام أن أنشطة أسانج هي إرهابية، وطالبت سارة بالين حاكمة ولاية آلاسكا بمعاملته أسوة بأسامة بن لادن. وطالب مساعد رئيس الوزراء الكندي باغتياله.!

لكن رغم الاختلاف الجوهري بين طبيعة الضربات التي وجهها كل من بن لادن وأسانج، حيث تبنى تنظيم القاعدة هجمات 11 أيلول (سبتمبر) الدموية، فيما نشر "ويكيليكس" غسيل الدبلوماسية الأمريكية، ففي كلتا الحالتين تلقت هيبة الدولة الأعظم في العالم ضربة موجعة، وفقدت الكثير من مصداقيتها أمام حلفائها وأصدقائها، واعتبرت تعليقات بعض السياسيين والمحللين تسريبات "ويكيليكس" الأخيرة بمثابة" 11 أيلول (سبتمبر) الدبلوماسية الأمريكية!"

من جهة أخرى، فقد طرحت التسريبات إشكالية الشفافية في نشر المعلومات وحرية الإعلام، التي تعتبر مصانة وفق الدستور الأمريكي، وفي سياق ردود الفعل العاصفة التي أثارتها التسريبات، ذهب اثنان من عملاء مكتب التحقيقات الفيدرالي الأمريكي هما كولين راولي وبودجان دزاكوفيك في مقال نشراه أواخر تشرين الأول (أكتوبر) الماضي، إلى اعتبار "ويكيليكس" "صمام أمان ضد الإرهاب، وانه لو كان موجودا عام 2001، لربما لم تقع هجمات 11 أيلول (سبتمبر)"، وحجتهما في ذلك أنهما قبيل الهجمات "التقطوا إشارات مزعجة عن شيء ما خطير يدبر في الخفاء ويستهدف الأمن العام في أمريكا"، ويضيفان "مع الأسف كنا نعمل في إطار مؤسسات أمنية متحجرة، وغير قادرة على اتخاذ قرارات سريعة والتصرف بفاعلية!"

لم يكتشف "ويكيليكس" معجزة، لكنه التقط زمام المبادرة واستثمر الفضاء الواسع الذي أتاحته شبكة الإنترنت، فهو في الحقيقة لم يقم بتحقيق صحافي استقصائي أو انفراد بنشر خبر أو ملاحقة قصة صحفية عبر مراسلين محترفين، وحتى لم يقم بتحرير الوثائق ونشرها كما هي، ولم يكن بوسع الموقع اكتساب مثل هذه الشهرة السريعة وترويج الوثائق وأحداث هذه الضجة الهائلة، لولا اتفاقه مع صحف كبرى على نشرها، مثل "نيويورك تايمز" الأمريكية، "الجارديان" البريطانية و"لوموند" الفرنسية، ولا شك أنه تصرف بذكاء، في الوقت الذي ربما كانت العديد من وسائل الإعلام الأمريكية الكبرى، قادرة على الوصول إلى الوثائق والمعلومات، لكن كان لها حساباتها في النشر، وبين ذلك الوقوف عند "الخطوط الحمر" المتعلقة بالأمن القومي، وفي هذا الصدد تستشهد صحيفة الـ "واشنطن بوست" في مقال بعنوان "ويكيليكيس ومعضلة الشفافية" بقلم ريتشارد كوهين " 6 كانون الأول (ديسمبر) الماضي"، بالفضيحة الجنسية للرئيس الأمريكي الأسبق بيل كلينتون مع المتدربة في البيت الأبيض "لوينسكي"، حيث تشير إلى أن المعلومات

كانت متوافرة لدى مجلة "نيوزويك"، والـ "واشنطن بوست" في 17 كانون الثاني (يناير) 1998، لكن وسائل الإعلام الرئيسة ترددت بالنشر، وتطلب الأمر مرور أربعة أيام أخرى فنشرت "واشنطن بوست" القصة وأكدت الأمر كله، ومثل هذا التأخير في نشر قصة مثيرة كهذه، يضع وسائل الإعلام في موقف حرج، وكما تقول الـ "واشنطن بوست" كم كان ذلك متأخرا، وكم كان قمينا بالرثاء" وبطبيعة الحال لو كان ويكيليكس أو الإعلام الإلكتروني موجودا في ذل الوقت، لانتشرت القصة بسرعة النار في الهشيم.

"آسيان" في نظر الإدارة الأمريكية متهم بانتهاك قانون التجسس، وتعريض حياة أمريكيين للخطر، وحسب نائب الرئيس بايدن "لقد تآمر مع عسكري أمريكي لوضع اليد على هذه الوثائق السرية، فالأمر مختلف بشكل كبير عن صحافي نسلمه إياها"، ولأن قانون مكافحة التجسس الصادر عام 1917 يشمل وسائل الإعلام التقليدية، فهو لا يطول الإعلام الإلكتروني الحديث، ولذلك فإن وزارة العدل الأمريكية تسعى إلى جمع أدلة على أن ويكيليكس "تامر" عبر تشجيع أو حتى مساعدة العسكري الأمريكي برادلي مانينغ الذي يشتبه أنه سرب آلاف الوثائق إلى الموقع "واتهامه بالتآمر يتيح للإدارة الأمريكية اعتبار أسانج مشمولا بمبدأ حرية التعبير التي يحميها الدستور."

ربما يذهب الخيال بالبعض إلى نظرية المؤامرة، والظن أن جهات أمريكية رسمية قد تقف وراء هذه التسريبات لحسابات داخلية! لكن التفسير المنطقي هو أن أي صحافي يخلص لمهنته ويسعى لكشف الحقيقة، يحلم بالوصول إلى معلومات ووثائق سرية ونشرها، والأهم أن يمتلك الصحافي أو وسيلة الإعلام الجرأة في النشر والتخلص من الحسابات المصلحية ومقاومة الضغوط.

والحقيقة أن "ويكيليكس" لم يسط على الوثائق الأمريكية في الخارجية أو البنتاجون، أو حتى عبر القيام بعمليات قرصنة إلكترونية، وكما سرب العسكري "برادلي" وثائق حربي العراق وأفغانستان، فبالتأكيد أن من سرب وثائق الدبلوماسية، هم سفراء ودبلوماسيون وموظفون سابقون أو حاليون في الإدارة! وليس بالضرورة أن يكون هؤلاء يسعون لكشف الحقيقة، فربما يكون هناك أهداف كيدية أو بتأثير صراعات وتنافس داخل أروقة الدبلوماسية الأمريكية، وقد يكون بعضهم من بقايا عهد بوش أرادوا من ذلك الإساءة لإدارة أوباما وإظهارها بموقف ضعيف وعدم القدرة على حماية الأمن القومي الأمريكي، وأيا كانت الدوافع وقنوات تسريب الوثائق فإن النتيجة هي لمصلحة الرأي العام!

وتسريبات ويكيليكس لا تتناقض جوهريا مع الشعارات التي تروج لها الولايات المتحدة وتضعها ضمن أولويات أجندتها، على مستوى العالم حول حرية التعبير والشفافية وحقوق الإنسان وحق الشعوب في معرفة الحقيقة.

وفي الجوهر لم تكشف الوثائق المسربة أسرارا خارقة، فكثير منها أشبه بمحاضر اجتماعات سرية عقدت بين دبلوماسيين أمريكيين ومسؤولين أجانب، وبعضها يتضمن تقييمات وآراء واجتهادات وتحليلات ليس بالضرورة أن تكون صائبة بل ربما يكون بعضها مفبركا، تتعلق بالشأن الداخلي في الدول التي يعملون فيها، والعديد من تلك التقييمات يتضمن نقدا لاذعا أو نظرة ازدراء لمسؤولين في بعض الدول، إضافة إلى نقل "معلومات تجسسية"، فمعظم ما تضمنته الوثائق تعكسه السياسة الخارجية الأمريكية، وهي معروفة للرأي العام، لكن الأمر المثير هو إحراج الأصدقاء والحلفاء، والتسبب بضعف الثقة والمصداقية، حيث سيتعامل هؤلاء الساسة والمسؤولون الأجانب بالشك، خلال لقاءاتهم مع الدبلوماسيين الأمريكيين في المستقبل!

ومن هنا يقرأ تحذير الناطق باسم الخارجية الأمريكية كراولي من خطورة تأثير فحوى الوثائق على مصداقية واشنطن كشريك دبلوماسي، والتسبب في توتر بين الدبلوماسيين الأمريكيين والأصدقاء عبر العالم

والحديث عن حرية الإعلام، لا ينسينا حقيقة أن الدول تحتفظ بأسرار في إدارة شؤونها وعلاقاتها، وهي تلجأ لذلك عبر القنوات الدبلوماسية وتجنيد الجواسيس، وإبرام التحالفات والاتفاقات السرية، فلا يعقل أن يتم الكشف عن كل صغيرة وكبيرة في علاقات الدول.

لعل الأكثر إثارة للسخرية في حملة مطاردة أسانج، التهمة التي تم فبركتها له باغتصاب سيدتين سويديتين، واللافت أن إصدار مذكرة الاعتقال الدولية بحقه تزامن مع نشر الموقع الوثائق الأمريكية، والمؤسف أن السلطات السويدية بدت متواطئة في افتعال هذه القضية، وحتى تهمة الاغتصاب وفقا لملف القضية تبدو بالغة الهشاشة، إذ إن السيدتين اللتين ادعتا ضد "آسيان" وافقتا على إقامة علاقة جنسية معه، خلال زيارته للسويد في الصيف الماضي، لكنه حسب زعمهما رفض استخدام الواقي الذكري، فهل أكثر غرابة من هذه القصة في المجتمعات الغربية المتاحة فيها الحرية الجنسية بلا حدود؟ وهل ثمة عاقل تجاهل الربط بين غضب واشنطن ومطالبتها بـ "رأس" آسيان، وتهمة الاغتصاب التي يتحدثون عنها؟

تسريبات ويكيليكس فتحت صفحة جديدة في الميديا العالمية، في ظل عالم افتراضي لا تقيده حدود، وتقف الدول وفي مقدمتها الدولة الأعظم بكل أجهزتها ومؤسساتها عاجزة أمامه، وحتى بعد إيقاف السلطات البريطانية أسانج واصل زملاؤه في الموقع نشر الوثائق الأمريكية، وشن أنصاره حرب معلومات إلكترونية، ردا على محاولات عرقلة الوصول إلى الموقع، وتم تعطيل موقعي شركتي بطاقات الائتمان العملاقتين ماستركارد وفيزا وأمازون، بسبب قرارها عدم

التعامل مع ويكيليكس تحت ضغوط أمريكية، وفي حرب إلكترونية كهذه لا تنفع معها الترسانة الأمريكية من الأسلحة "الذكية!"

البعض لاحظ أن إسرائيل هي الرابح الأكبر من التسريبات، ولا يظن أحد أن ثمة مؤامرة تقف خلف التسريبات، والسبب الجوهري أن السياسة الإسرائيلية لها وجه واحد، وما تخطط له بالسر يترجم إلى خطط عمل وسياسات عنصرية يدفع الفلسطينيون ثمنها يوميا، وهو نهج خارج سياق الحياة السياسية العربية البعيدة عن الشفافية.

الفصل الثاني
الإعلام وسيكولوجية الخطاب السياسي

المقدمة:

يشكل الإعلام اليوم أحد أهم دعامات الثورة التكنولوجية الحديثة في الاتصالات، وانعكس ذلك على كل إنسان معاصر نظراً للتغييرات المستحدثة في آلياته والمستجدات في نمط حياة الإنسان مقارنة مع ما كانت عليه في العهود السابقة، حيث أحدث الإعلام انقلاباً شبه جذري في كل مجالات الحياة المعاصرة وسلوكيات أفراد المجتمع؛ وطالت التغيرات الأعراف والقواعد والقيم الاجتماعية، هذا فضلاً عن ما تعرضه وسائله المتعددة في الأجواء العالمية، بعدما حولت العالم إلى قرية صغيرة... وقد نجحت السياسة بكل مقوماتها وأساليبها في توجيه دفة الإعلام نحو أهدافها الاستراتيجية المرسومة رغم تناقض أقوالها مع أفعالها، وتعريض البشرية لحروب وأزمات مفتعلة تارة وحقيقية تارة أخرى. فتوجيه العالم نحو أهداف السياسة بات من مهام الإعلام ووسائله المؤثرة، والأهم من كل ذلك يكمن في الوقت نفسه في التأكيدات المستمرة والملحة في وسائل الإعلام وخطابه السياسي على مفاهيم كالحرية والديمقراطية والتحرر ودعوة الشعوب إلى نبذ الخلافات وبناء مجتمعات قائمة على الاختيار وإبداء الرأي.. ولكن أين تكمن الحقيقة، هل في الخطاب المعسول لوسائل الإعلام أم في الاستراتيجيات بعيدة المدى، وتغيير اتجاهات الشعوب نحو قضية معينة كالعولمة مثلاً أم اقتصاديات السوق الحرة، أم مفاهيم مبطنة تدعو إلى رفض القهر والاستغلال وتحطيم القيود الاجتماعية واعادة التنشئة على وفق مفاهيم وتربية جديدة في السلوك الاجتماعي وإقامة العلاقات؟ يؤكد لنا التاريخ مرة أخرى أن الإعلام هو القوة الأكثر تأثيراً في مسار حياة الشعوب واتجاهاتها وقيمها، ويعمل بنفس قوة السلاح، والإعلام بحد ذاته أداة إذا أحسن استخدامها استطاعت أن تؤثر كما تؤثر الأسلحة الفتاكة الأخرى وربما أكثر، إذا ما وجهت نحو قضية أو شعب ما، فإنه يحدث بأسلحته المختلفة الكثير من الآثار والنتائج.. وهكذا أصبح زمننا زمن قوة تأثير الإعلام في إدارة حياة الشعوب وخلق معاناتها أو سعادتها...

وظيفة الإعلام في العصر الحديث..

على الرغم من معارك التحرير التي خاضتها دولنا ضد كل أشكال الاستعمار والتبعية، فقد كان الوعي يقظاً بالقدر الذي يفرق فيه بين مقاومة الاستعمار والتبعية من جهة، وبين تقدير تراثه الإنساني العظيم من جهة مقابلة(1-3) إلا أن الأداة الكبرى التي تستطيع أن تبين للعالم أحقية قضيتنا في الدفاع والوجود والمحافظة على تراثنا غير فاعلة، تكاد تكون معطلة تماماً، وهي الإعلام الذي يعد بحد ذاته سلاحاً أقوى فتكاً من أي أداة أخرى، سواء لإظهار قضية ما أو الرد على قضية أخرى.. فالإعلام في عصرنا الحديث بات من ضرورات الحياة المعاصرة، وأن استخدامه في الدفاع عن الرأي والمعتقد وقضية الوجود هو أمر لا مفر منه. وان تخلفت هذه الأداة، فإن الكثير من الحقوق تتشوه صورها أو تفقد أحقيتها وربما تتحول إلى صورة أخرى غير الصورة الحقيقية، كما هي صورة الإرهاب التي ألصقتها وسائل الإعلام بجماعات دون غيرها خلال عقد التسعينات من القرن الماضي. أو تحويل حركات التحرر والمدافعين عن حقوق شعوبهم إلى إرهابيين، كما حدث للقضية الفلسطينية ولرجالاتها خلال العقد الماضي.

فالإعلام هو أداة للسياسة، وهو القادر على التأثير على عقول الناس واتجاهاتها حيث قال (ماك كويل) عالم الاجتماع المتخصص في الاتصالات الإعلامية: (نحن نستطيع تقصي بعض الظواهر على عدة مستويات -خصوصاً- الرأي والمعتقد واللذين قد يكونان من أمور الرأي الفردي والتعبير الجماعي للمؤسسات والمجتمعات كذلك، ومن ناحية أخرى تتطلب منا دراسة تأثير وسائط الإعلام على الطريقة التي تعمل بها المؤسسات أن ننظر في العلاقات بين الناس الذين يقومون بأدوار مختلفة وفي تركيب تلك الأدوار ومضمونها، والسياسة مثال مناسب، حيث ربما أثرت وسائط الإعلام ليس على الآراء السياسية للفرد فحسب بل وعلى الطريقة التي تدار بها السياسة وعلى طريقة تنظيم نشاطاتها الرئيسية. وربما تغيرت الأدوار السياسية)لذا فإن الإعلام أصبح في عالمنا اليوم أداة قوية للتأثير على عقول وسلوك الناس كأفراد أو مجموعات، سياسيين أو ناس عاديين، وأيضاً أداة للتغيير عن بعد، وخاصة فيما يتعلق بالسياسة العامة لتلك الدولة بوساطة الإيحاءات الإعلامية باستخدام اللغة والبلاغة في الحديث أو التأويل الكلامي.

إن الرسالة التي تحملها وسائل الإعلام اليوم عبر قنواتها المتعددة والمختلفة الاتجاهات (إذاعة، تلفزيون، فضائيات، سينما، مسرح، صحافة، إنترنت..) تتضمن أبعاداً غير محسوسة وغير مباشرة لا يمكن تجاهل البعيدة وحتى القريبة (الآنية) أو التقليل من شأن هذه الوسائل، أو الابتعاد عنها، فهي أصبحت شراً لا بد منه يدخل بيوتنا دون استئذان.

التضليل الإعلامي وسيكولوجية الإنكار والتبرير:

لكي يؤدي التضليل الإعلامي دوره بفعالية أكبر، لا بد من إخفاء شواهد وجوده، أي إن التضليل يكون ناجحاً عندما يشعر المضللون بأن الأشياء هي على ما هي عليه من الوجهة الطبيعية والحتمية، بإيجاز شديد نقول: (إن التضليل الإعلامي يقتضي واقعاً زائفا هو الإنكار المستمر لوجوده أصلاً) ، ولو تأملنا جدياً في فكرة التضليل الإعلامي لوجدناها قائمة أساساً على فكرة نفسية بالدرجة الأولى تستمد تطبيقاتها العملية من استخدام آليات الدفاع اللاشعورية عند الإنسان وبالتحديد ميكانزمي الإنكار والتبرير، وهما آليتان دفاعيتان يلجأ إليهما الفرد في مواقف يحتاجها لاعادة توازنه النفسي والشخصي، ولكن حولت هذه الفكرة وطُبقت تطبيقاً واسعاً على الإعلام والتضليل الإعلامي. ويقوم عمل آليات (ميكانيزمات) الدفاع أساساً لدى الفرد لغرض تشويه وتزييف الواقع من خلال خلط الأفكار والخبرات والدوافع والصراعات التي تمثل تهديداً له، ويقوم مبدأ الإنكار على فكرة مؤداها أن الأفراد ينكرون الواقع ويتجاهلونه، أو يرفضون الاعتراف بوجود الخبرات غير السارة والتي يدركونها تماماً وذلك لحماية أنفسهم، وتدخل دائماً في عملية خداع الذات، الأفكار المختلفة غالباً، وتعد استراتيجية الإنكار استراتيجية شائعة لدى الإنسان، ونشاهدها بكثرة لدى الأطفال عندما يصر بعضهم على القيام بعمل غير مرغوب فيه، ويخافون عقاب آبائهم.

أما آلية التبرير (ميكانيزم دفاعي) أيضاً، وهي عملية إعطاء أسباب مقبولة اجتماعياً للسلوك بغرض إخفاء الحقيقة عن الذات، فمثلاً يقول الولد لنفسه: (كان بإمكاني أن اجتاز هذا الامتحان لولا أن المدرس وضع تلك الأسئلة الصعبة) بدلاً من الاعتراف بتقصيره في الاستعداد للامتحان. ويحدث التبرير أيضاً حينما يخدع الناس أنفسهم بالتظاهر بأن الموقف السيئ في الحقيقة موقف جيد، أو أن الموقف الجيد في الحقيقة سيئ، وكما يعتقد الشخص الفقير بأن الفقر نعمة وأن الثروة تجعل الإنسان بائساً ، وينطبق ذلك تماماً على المثل الشعبي الشائع (الماينوش العنب يقول مر).

فالإعلام عندما يستخدم التضليل، إنما يلجأ إلى آليات نفسية في التأثير على عقول الناس وقلب الحقائق كما هو الحال بإعطاء الفرضية التبريرية التي ترى أن الأفراد العدوانيين يرغبون في مشاهدة أفلام العنف؛ وذلك لأنهم يستطيعون اتخاذها كذريعة لتبرير سلوكهم العدواني بكونه سلوكاً سوياً بالمماثلة، وهذا الأمر يماثل عملية تبدل الموقف ولكن باتجاه معاكس.

إن حقيقة وسائل الإعلام (الصحافة، الدوريات، الإذاعة، والتلفزيون، الفضائيات، الانترنت) هي جميعاً وبلا استثناء تخضع لسياسات دول أو شركات تتلقى دخولها وتمويلها من مؤسسات متخصصة، توجهها نحو سياسة معينة،

تستهدف الدول الأخرى تارة والمؤسسات الاجتماعية تارة أخرى، أو سياسة عالمية نحو قضية ما تتعلق بالوضع الدولي واستراتيجيات تلك الدول والمؤسسات، فهي لن تكون محايدة أو موضوعية إطلاقاً، وان ادعت بشكلها الظاهري هذا الادعاء، ولكنها في الحقيقة على العكس تماماً مما تدعي، فالنقد الموجه لسياسة دولة ما، إنما ينطوي بداخله على أبعاد ليست مرئية للعيان لدى الأفراد العاديين أو بالإمكان ملاحظة تلك الأبعاد بشكل مباشر، كما هو الحال عندما يزعم المضللون أن نظام التعليم بدءاً من مرحلته الابتدائية وحتى مستوى الجامعة، يخلو تماماً من أي غرض آيديولوجي مقصود، ومع ذلك فلا بد من أن يعكس الناتج النهائي للعملية التعليمية ما تم تعلمه ولكن في الحقيقة ليس المقصود في هذا النقد هو التعليم، بقدر ما هو أبعد من ذلك أي السياسة الموجهة نحو بلد بعينه. فاستهداف أية ظاهرة وتضليلها إنما المقصود من ذلك بعداً استراتيجياً في السياسة.

الإعلام وتغيير الاتجاهات..

يعرف الاتجاه Attitude بأنه دافع مكتسب يتضح في استعداد وجداني، به درجة ما من الثبات يحدد شعور الفرد ويلون سلوكه بالنسبة لموضوعات معينة من حيث تفضيلها؛ فإذا بالفرد يحبها ويميل إليها (إن كان اتجاهه نحوها ايجابياً) أو يكرهها وينفر منها (إن كان اتجاهه نحوها سلبياً).

أما موضوع الاتجاه فقد يكون شخصاً معيناً (صديقاً ما أو عدواً ما) أو جماعة ما أو شعب ما، أو مدينة ما، أو مادة علمية ما، أو مذهباً ايديولوجياً ما، أو فكرة ما (كالاتجاه نحو عمل المرأة أو تعلمها أو تشغيلها في القضاء) ، فالاتجاهات تعد سلوكيات لأفراد المجتمع، وترتبط بالقيم والمعايير والأعراف والتقاليد السائدة في ذلك المجتمع، وهي من الثوابت التي تستند عليها المجتمعات في بنائها، فلو تساءلنا إزاء هذه الثوابت في السلوك ومدى ارتباطها عند الإنسان في أي مجتمع، لوجدناها صلبة ومن الصعب زحزحة تكوينها، ولكن استطاع الإعلام بكل وسائله المتاحة أن يهز هذه الاتجاهات ويغيرها نحو موضوع معين أو قضية وطنية أو قومية أو دينية.. وقد نجحت تلك الوسائل في خلق الاهتزازات القيمية في السلوك لدى المجتمعات الثابتة نسبياً؛ لذلك تجد أن الإعلام يغير الأهمية الاجتماعية والمعنى السياسي للأوصاف التقليدية وبعض الرموز الرئيسية في المجتمع، فضلاً عن قدرة الإعلام في توجيه عقول الناس نحو الموضة في الملابس - مثلاً - والمنتجات التجارية ومحاولة تشتيت الانتباه نحو قضية ساخنة أخرى لغرض تقليل أهمية موضوع أو قضية تثير الرأي العام.. وقد أثبتت الدراسات أن الإعلام نجح في ذلك عندما استخدم استراتيجية الإعلام الدعائي، وهو شكل من أشكال الفن الذي يصعب تحديد إطار لهويته نظراً للتطور المستمر الذي يبديه من أجل مواكبة

المزاج العام، كما يخلو هذا الفن من أي إجماع على ما يمكن اعتباره سلوكاً صحيحاً أو خاطئاً أو تكتيكاً فعالاً أو غير فعال.. وعلى كل حال يمكن الحديث عن استراتيجيتين أساسيتين تهدف كلتاهما إلى اجتذاب عدد أكبر من الناس، وهاتان الاستراتيجيتان هما:

1. بث رسائل حول موضوع أو قضية معينة أو شخص ما.
2. بث رسائل سلبية عن موضوع مناقض أو شخص منافس له ، ويعالج الإمام الشيرازي موضوع تأثير الإعلام والدعاية على عقول الناس واتجاهاتهم حول رأي ما أو قضية تهمهم تتحدد من خلال استخدام الطرق والوسائل الكثيرة في التأثير، بقوله: (كُتبتْ في هذا الشأن كتب سخرت لها أقلام اجتماعية ونفسية وتربوية ، ومن الأساليب التي يتبعها أصحاب الدعايات الباطلة هي:
   - o استغلال مواضع الضعف عند الإنسان.
   - o استغلال ضعاف الشخصية لأجل قبول الدعاية.
   - o تسخير الألسنة المقبولة مثل خطيب أو مدرس أو مذيع.
   - o التأثير في المجتمع بسبب أقلام الأدباء.
   - o تحري الجماعات لأجل نشر دعايتهم، مثل جمعية خيرية، أو جمعية الرفق بالحيوان، خصوصاً إذا كان للجمعية عنوان براق.
   - o تحري الحق النصفي؛ أي ذكر بعض الحقائق والسكوت عن بعضها الآخر.
   - o تأويل الحق باطلاً، أو الباطل حقاً.
   - o خلط الباطل بالصحيح؛ حتى ينخدع السامع والقارئ والناظر بالصحيح الموجود، فيظن أن كل ما يرى ويسمع صحيحاً.. إلى غير ذلك من الأساليب)). ويقول الله سبحانه وتعالى في ذلك: (يحرفون الكلِم عن مواضعه) (سورة النساء: 46).

الإعلامي.. واللغة.. وسيكولوجية المتلقي..

يعد الإعلام الوسيلة السهلة في التأثير على المتلقي، وباللغة التي تتناسب مع قوة ذلك التأثير على عقله، وكيفية اختراقه، ولا سيما أن تعدد الوسائل الإعلامية أتاح للقائمين على الإعلام حرية الحركة وتحقيق الأهداف؛ لذا نستطيع تشخيص تأثيرات وسائط الإعلام على ثلاث مراحل رئيسية وخلال فترات زمنية:

في المرحلة الأولى: يقوم على تشكيل الرأي والاتجاه ثم المعتقد وهي محاولة لتغيير عادات الحياة، ومن ثم قولبة السلوك بفاعلية وفرض الأنظمة السياسية حتى ضد المقاومة المحتملة.

في المرحلة الثانية: لقد تشكلت إلى حد كبير بفعل أبحاث من خلال وضع تقاليد احترمت، وهذه الأبحاث والدراسات اختصت في البحث النفسي - الاجتماعي

لدراسة تأثيرات الأفلام ووسائط أخرى تتناول الجريمة والعدوان والمواقف العنصرية.

في المرحلة الثالثة: النظر في بنى المعتقدات والآراء والسلوك الاجتماعي، والتأكيد على المضمون.

وعند معرفة الأساليب المستخدمة في عملية التأثير الإعلامي على المتلقين، لا بد من الأخذ بنظر الاعتبار أهمية لغة التواصل ولغة الحوار مع المتلقي عن بعد، وإزاء ذلك يقول (جاك لاكان) عالم النفس، عن قوة تأثير اللغة على الإنسان.. (إنها الظاهرة التي تجعل من الكائن البشري كائناً متكلماً)، ونستطيع بذلك أن نحد الإنسان بكونه (المتكلم) لا بكونه كائناً تكون إحدى صفاته التكلم، وهذا يقودنا إلى التساؤل عن ماهية المتكلم جسدياً وذاتياً، إذ يقول (لا كان) أيضاً: (إن تحديد الإنسان بالمتكلم يستقي قوته من ظاهرة أن كائنين بشريين لا يستطيعان أن يتصلا (يقترنا) أحدهما بالآخر، إلا إذا تكلما. إذاً اللفظة تأخذ دلالتها من عملية تجعل منها رغم انفصالها ووحدتها، ممكناً من الممكنات التي يتألف منها النظام الكلي للغة، أي إن الكلمة الواحدة عندما يتلفظ بها تكون كل الكلمات الأخرى موجودة بالقوة) .

وعليه فإن لغة التواصل تقوم على أساس الأبعاد النفسية "السيكولوجية" في قوة التأثير وبفعل وسائل الإعلام المجندة لهذا التأثير، ويكملها الضلع الآخر للمثلث وهو المتلقي باعتباره الهدف والغاية في النتيجة، حتى قيل إن أحد مقاييس فقدان أمة ما لسيطرتها على وسائل إعلامها يتمثل في درجة اختراق وكالات الإعلان الأجنبية لميكانيزمات التسويق في تلك الدول . وهذا يحقق واقعاً فعلياً في التأثير على أفراد ذلك الشعب وتعرضه للاختراق وتحييده على الأقل عن قضاياه الوطنية أو القومية، ويميز مثل هذا الاختراق أو التغلغل أيضاً تغيرات أساسية في البيئة الثقافية للبلاد فضلاً عن بنية الاتصال التي تنقل وتعزز على نحو متزايد مواقف تتوافق مع متطلباتذلك الشعب أو تلك الأمة، وما هي درجة المقاومة المتوقعة إزاء هذا الاختراق أو التأثير عن بعد، وفي هذا المضمار يتحدث (ريتشارد نيكسون) الرئيس الأمريكي الأسبق عن قوة تأثير الإعلام عن بعد وتوجيه العقول في السيطرة السياسية المباشرة بقوله: (من السمات الأساسية لأسلوبنا في الحياة إيماننا بأنه عندما يعمد الحكام إلى الاستئثار المنظم بالمعلومات التي هي حق خالص لجمهور الشعب، فإن أفراد الشعب سرعان ما يصبحون في وضع يجهلون معه كل ما يتعلق بشؤونهم الخاصة، كما سيفتقدون الثقة في هؤلاء الذين يسّيرون أمورهم، وسيفتقدون في نهاية الأمر إلى القدرة على تحديد مصائرهم الخاصة) ، ويقول الإمام الشيرازي في هذا الصدد: (ليس الاستقرار بالادعاء، والكلمات الفارغة، والخطب التي تلقى من على منبر الإذاعة والتلفزيون وإنما الفعل الذي يؤدي إلى

تحريك الشعوب باتجاه أهدافها واستخدام وسائلها الناجحة في تحقيق تلك الأهداف، وإلا فستتحول الشعوب لحقول تجارب من قبل وسائل الإعلام المُسيِّرة لسياسات مؤثرة وكبيرة).. وهذا ما هو موجود فعلاً في الواقع، من خلال اللغة التي تتحدث بها وسائل الإعلام وتؤثر على مسامع أو مرأى المتلقين من الناس.

نفوذ الدعاية والإعلام وتأثيراتهما..

الدعاية في جوهرها عملية إقناع منظمة، وهي تنقضّ على العقل، وهي نفسية ، وقد وظفت الدعاية في شتى الميادين الحربية لغرض إنهاك الجيوش المتقاتلة والتأثير على المعنويات، وفي التجارة، حيث كانت عاملاً مساعداً في النشر والإعلان عن تسويق منتوج معين، وفي التأثير على الناس من خلال السينما والمسرح والتلفزيون وتوجيه عقولهم نحو برنامج اجتماعي أو التأثير على عادات الشعوب وابراز ظاهرة معينة لشعب من الشعوب و(التأكيد على أهمية القوة والعنف كوسيلة لبناء المجتمع) أو التأكيد على إغراق الشعوب الأوروبية بالمخدرات بأنواعها بشكل غير مباشر.. وهكذا لا يوجد حصر لعدد الطرق التي يمكن بواسطتها تقديم المقولات الترويجية أو الهجومية عبر عملية الدعاية أو الإعلام، ولكن هناك بعض الأساليب التي تحظى بأفضلية خاصة ومن تلك الأساليب الإيجابية:

1. إظهار قصة نجاح شخصية معينة أو دواء (عقار) معين أو أسلوب معين في الحياة.
2. التحدث عن شركة تجارية أو برنامج اجتماعي أو حدث مؤثر في نفوس الناس.
3. شهادة: إعطاء شهادة من أفراد حول قضية معينة أو شخص معين أو إجراء لقاءات مع نساء أو رجال مرموقين في المجتمع.

ومن الأساليب السلبية:

- سجل سيئ: إعطاء الصورة السيئة أو المأساوية لما قامت به شركة ما رغم تحذيرات الصحة أو المنظمات الاجتماعية على ما تتداوله هذه الشركة، أو ما يفعله شخص ما مهم ذو نفوذ في المجتمع، مما يؤدي إلى إسقاطه شعبياً.
- المتقلبة: تتميز هذه الشخصية بالأمزجة المتقلبة، أو نشر دعاية سيئة عن شركة لها تورطات في قضايا ضد الشعوب في العالم الثالث مما أدى إلى

وضعها غير المستقر تجاه قضايا الإنسانية، أدت إلى تغيير اتجاهات الناس ضد هذه الشركة.

- o إنه الشيطان: إظهار صورة شخصية معينة أو محددة لها مستقبل سياسي أو من المؤمل أن يكون لها دور فعال في الحياة السياسية أو الحياة التجارية، وإظهار بعض العيوب السابقة وتجسيمها واعتبارها أخطاء لا يمكن السكوت عنها، واعتباره الشيطان بعينه.

ومن خلال ما تقدم يمكننا أن نستنتج أن لأساليب الدعاية والإعلام تأثيراً كبيراً على عقول المتلقين وتغيير اتجاهاتهم عن موضوع ما، وإيجاد التبريرات الملائمة لهذه القضية، حيث يقول الإمام الشيرازي: (إن القلم واللسان هما اللذان يسببان تحرك الناس نحو الجهاد ونحو التغيير أو قبول الجديد أو رفضه).

إن الأزمة الحالية التي تسود العالم اليوم في قوة تأثير مجموعة وكالات عالمية لا يتجاوز عددها أصابع اليد الواحدة، تفرض نفسها على كل وكالات الأنباء العالمية التي تجاوزت المئات، ولكن فاعليتها ظلت بسيطة من حيث التأثير الإعلامي أو قوة إدارة الأخبار أو البرامج سواء في الوكالات بنقل الأخبار أو غير ذلك، وبعد هذا صرنا أمام ذلك التناغم الجبار بين تكنولوجيا الاتصال والمعلومات، ولم تكن هذه التحولات مجرد مستحدثات وابتكارات لجعل العالم أكثر سعادة بل قادت إلى نمط استهلاكي محموم يسعى (للاندماج) في الجديد والتعطش واللهاث وراءه في نظرة كلية قوامها تخليق نمط (للتلقي) مبني وبإحكام على ركائز نفسية - اجتماعية- فكرية.

الإعلام وبناء استراتيجيات جديدة..

إن أهمية الإعلام لا تخفى على أحد، والصحافة باعتبارها من أبرز وسائل الإعلام أخذت حيزاً مهماً في حياة المجتمع العصري؛ وذلك أن الإعلام له دور كبير وفاعل في مختلف المجالات منها:

- توعية الناس وتوجيههم، بإعطائهم الأفكار الجاهزة والمعلنة والمقترنة بأساليب الإقناع.
- فضح الممارسات الخاطئة للحكام وتسليط الأضواء على مواطن الخطأ والغلط في تصرفاتهم.
- وسيلة مهمة في الدعاية الانتخابية، حيث تكون منبراً للمرشحين لبيان أفكارهم وآرائهم ووعودهم وغير ذلك وعليه فإن الإعلام لكي ينجح، لا بد له من وضع استراتيجيات واضحة المعالم ومساقات مبنية على أسس علمية وتقوم هذه المساقات على مقاصد أربعة وهي:
- دعاية الدول للإعلام بكل أنواعه ودعمه.

- العمل بجدية على ضخ المعلومات.
- التدخل في بعض المنافذ الإعلامية الأخرى كالمسرح والصحافة والتلفزيون وبرامج التنمية الأخرى، دون توجيهها على وفق سياستها.
- تغيير السياقات القديمة بأخرى تماشي التطور التكنولوجي في الاتصالات.

وإذا ما استطاعت الدولة بمركزيتها أو المؤسسات الإعلامية الخاصة غير الخاضعة لسلطان الدولة أن تضع لمؤسساتها استراتيجيات تتماشى مع القفزات النوعية السريعة التي اخترقت حاجز الصوت في تكنولوجيا المعلومات والاتصالات فإنها من المحتمل أن تلحق ولو بعد حين بهذه الثورة المعلوماتية.

إن قوة فعل وسائط الإعلام لا يمكن قياس تأثيراتها، ولا يعني ذلك عدم وجود أجهزة قياس خاصة تقيس قوة التأثير أو ضعف أداة القياس، بل إنما الأمر يتعلق بشدة فاعلية هذه الوسائط التي فاقت التصور العقلي في الوقت الحاضر ومدركات الإنسان الحية في استيعاب هذا التأثير. حتى أن دراسة أجريت في أمريكا لقياس الثقة بالمؤسسات الإعلامية من حيث قوة تأثيرها على المتلقين وجدت أن الإيمان بشرعية النظام الإعلامي كان قوياً دائماً، وأن حرية المعلومات تعد مهمة بشكل رئيسي، إلا أن ناشري وسائط الإعلام يصيبون نجاحاً أقل، وربما كانت أكثر النتائج مدعاة للدهشة أن الأمريكيين يثقون في مؤسساتهم أكثر مما يثق الأوربيون في مؤسساتهم هم، وينطبق هذا على وسائط الإعلام بقدر ما ينطبق على المؤسسات الأخرى، فالأغلبيات في ثلاثة أقطار: ألمانيا، بريطانيا، إسبانيا لا تثق بوسائط الإعلام، أو تثق بها قليلاً، بينما 69% من الأمريكيين لهم ثقة كاملة أو بعض الثقة بها، وفي فرنسا ينقسم الرأي، إذ يقول 48% إن لديهم على الأقل بعض الثقة بوسائط الإعلام، ويقول 49% انهم يثقون قليلاً أو لا يثقون بوسائط الإعلام، و باستثناء إسبانيا فإن وسائط الإعلام تمثل مركزاً قريباً من اسفل قائمة جميع المؤسسات ، إن الأمر إذاً منحصر في إقامة بناء إعلامي بكل فنونه قائم على تنوع الاتجاهات في التعبير الملتزم والقائم على استراتيجيات بعيدة. ويكفينا الاستشهاد بحديث الرسول الأكرم(ص) في هذا الصدد حيث قال: (مداد العلماء أفضل من دماء الشهداء) .

دور الإعلام في الاتصال السياسي وأثره على الجمهور

مفهوم الاتصال السياسي : هو النشاط السياسي الذي يقوم به الساسة و الاعلاميون وافراد المجتمع الذي يعكس أهداف سياسية محددة تتعلق بقضايا البيئة السياسية وتؤثر في الرأي العام والحياة الخاصة للافراد والشعوب من خلال وسائل الاتصال المتنوعة, وهو ما يعكسه نشاط الساسة داخل الحكومة وخارجها الذين يتخذون من وسائل الاعلام منبرا لايصال اصواتهم للشعب , أو نشاط الاعلاميون الذين يشاركون السلطة في صناعة القرار وفي العملية السياسية , وقد يشارك افراد المجتمع في العملية السياسية من خلال مشاركتهم بوسائل الاعلام والاتصال المختلفة, في حالة الاعلام كوسيلة اتصال بين الحكومة والجماهير لعرض همومهم ومشاكلهم التي تشغل الكثير من الجماهير لاهميتها القصوى.

والاتصال السياسي يرفع حالى الوعي السياسي للافراد في الدول الديمقراطية والمتطور , بينما في المجتمعات النامية والتي تمارس الدكتاتوريات يهدف الهيمنة والتحكم في سلوك الافراد والجماعات .

البيئة السياسية : تعتبر البيئة السياسية هي احدى وسائل الاتصال السياسي من خلال التاثير المعرفي على الاتصال الشخصي وأنعكاسه على السلوك السياسي للفرد. والاحداث والازمات السياسية تخلق بيئة سياسية فاعلة ومؤثرة على ممارسة وسلوك الافراد وتساعدهم على المشاركة السياسية مع الاحداث والازمات نتيجة متابعتهم للاخبار والاحداث والتحليلات عبر وسائل الاعلام المتنوعة. وكذلك الناخبين يكتسبون معلوماتهم السياسية من بيئتهم المحيطة بهم في الحملات الانتخابية من خلال الاتصال السياسي عن طريق اختيار الرسائل الاعلامية التي تلبي رغباته الذاتية , وان جمهور الاتصال السياسي هو جمهور مسؤول عن أختيار ما يناسبه من وسائل الاعلام المتنافسة على مصادر الاشباع المعلوماتية التي تحقق له اكبر قدر ممكن من الاشباع الذاتي.

دور الاعلام : الاعلام هو دور الوسيط في الاتصال السياسي ويساهم في صياغة وتشكيل الحقيقة السياسية في المجتمعات الديمقراطية التي تمنح وسائل الاعلام حرية التعبير عن القضايا التي تشغل جماهير المجتمع , وتعتبر وسائل الاعلام مرآة المجتمع العاكسة لأهم القضايا التي تثير الساسة وصناع القرار. و لوسائل الاعلام قدرة في ترتيب أوليات الجماهير, فهناك نوعين من الجمهور يتناولهم الاعلام السياسي في طرح القضايا السياسية والاراء "جمهور نخبوي" تتأثر به وبطبيعة القضايا المهمة التي تشغله "وجمهور عام" يسهل التأثير عليه

وأغلب تلك الجماهير ليست لها ولاءات سياسية وغير مهتمة بمواضيع السياسة ولا بالمشاركة السياسية .

وهناك نمطين من وسائل الاعلام نمط " أعلام حر ومستقل " وهذا الاعلام أكثر حرية في تسليط الاضواء على المشاكل السياسية والاقتصادية والامنية التي تهم كل الجماهير ويواجه نقد من قبل الجمهور اذا أهملت قضاياه المهمة في المجتمع. ونمط آخر " أعلام مملوك " وهو مايسمى بالاعلام الرسمي في المجتمعات النامية وهو يعتمد على جمهور النخبة ويتجاهل أرادة الجماهير على الرغم من وعي افراد المجتمع بالنشاط السياسي , حيث تضيق الحريات في تلك المجتمعات رغم معرفتهم بالامور والاحداث, الا ان حرية التعبير مفقودة والنقد ممنوع رغم ما يشهده العالم من ثورة الاتصالات والتكنلوجية التي تجاوزت سياسات الاحتكار.

الوسيلة والهدف للاتصال السياسي : وكون الاتصال السياسي محدد باهداف مقصودة وغايات مرسومة , فالسياسي يتحدث الى الجمهور من خلال وسائل الاعلام لغرض ايصال رسالة محدودة المقاصد الى الجمهور, والاعلامي الذي يراقب اعمال الحكومة وأساليب ممارسة السلطة, وكذلك الافراد الذين يشاركون في العملية السياسية من خلال وسائل الاعلام من اجل التعبير عن ارائهم اتجاه قضاياهم. وأن تدفق المعلومات من وسائل الاعلام الى قادة الرأي في المجتمع هي الوسيلة المثلى للاتصال السياسي, وينقلون تلك المعلومات التي تبثها وسائل الاعلام بطريقة التحليل والتفسير للجمهور وتقديم وجهات نظرهم المختلفة لتلك المعلومات والرسائل الاعلامية.

وفي الازمات السياسية والاقتصادية والعسكرية الغير طبيعية التي تمر بها المجتمعات تلجأ النخب السياسية الى التعامل المكثف مع وسائل الاعلام لابراز وجهات نظرهم وأرائهم للتاثير على الرأي العام, وقد تكون تلك النخب تمثل المعارضة أو الحكومة . وهنا دور الاعلام يكون دور الوسيلة حيث تنقل وجهات النظر السياسية المختلفة , وكذلك الناس في تلك الازمات تهرع الى وسائل الاعلام كمصدر اساسي لاستقاء المعلوملت حول تلك الاحداث والازمات وهذه الاحداث تعطي فرصة التنافس الاعلامي في تقديم المعلومات والاخبار التي ترقى الى مستوى الحدث, وقد يطلق اصطلاح الاعلام السياسي في تلك الازمات " اعلام الازمات السياسية" وهنا يكون الاتصال السياسي حقق هدفه الاساسي من خلال ايصال رسالته المقصودة الى الجمهور.

الإعلام والسياسة

نعت الصحافة البريطانية، هذا الأسبوع، إحدى أشهر صحف التابلويد، أو قل: صحف الفضائح، «نيوز أوف ذي وورلد»، بسطر واحد، قالت فيه: «وفاة صحيفة الفضائح الجنسية»، لكن القصة أكبر من إغلاق صحيفة عمرها 168 عاما بالطبع.

فوفاة صحيفة الفضائح كانت إيذانا أيضا بنهاية، أو إعادة تعريف، العلاقة بين السياسي والإعلامي في بريطانيا، التي ابتدأتها رئيسة الوزراء البريطانية السابقة، مارغريت ثاتشر، من أجل أن تضمن دعم الصحافة لها في معاركها السياسية. ويقول لي صديق يُعتبر مرجعا في التاريخ البريطاني السياسي إن القصة أكبر من قصة إغلاق إحدى صحف إمبراطورية روبرت مردوخ الإعلامية، التي مكنته من لعب أدوار سياسية مذهلة، فالقصة هي قصة إعادة تعريف العلاقة بين الإعلام والسياسة. وهذا ما أقره رئيس الوزراء البريطاني نفسه، أول من أمس، عندما قال إن قادة الأحزاب ببريطانيا تجاهلوا أخطار علاقة الإعلام بالسياسة، بسبب التنافس من أجل كسب تأييد الصحف.

وبالطبع، فإن الدروس المستفادة من فضيحة صحيفة الفضائح التي أقدمت على التجسس على قرابة 4 آلاف شخص ببريطانيا؛ من الأسرة المالكة، إلى ضحايا الجرائم، والمشاهير، وأسر ضحايا الجيش البريطاني، تعتبر دروسا كبيرة، فالصحافة البريطانية نفسها باتت اليوم مرشحة لإعادة النظر في كثير من معاييرها تحت ضغط اجتماعي كبير، فهناك مطالبات بسن قوانين صارمة إضافية على الصحافة تفوق ما هو موجود، فبريطانيا تعد إحدى أشرس الدول بقوانينها ضد الصحافة، على الرغم من كل الحرية المتاحة فيها. إلا أن صحافة الفضائح قد نجحت في لي ذراع الساسة، خصوصا أن تلك الصحف، ومنها «نيوز أوف ذي وورلد»، تركز دائما على الفضائح الجنسية، على عكس الصحافة الفرنسية مثلا، التي تلتزم بعرف يقول إن المال هو الفضيحة، وليس الجنس.

وبالنسبة لعلاقة السياسة بالإعلام، فإن الدرس المستفاد هو أن سيطرة السياسي على الإعلامي قد تؤدي إلى حجب الحقائق، لكن سيطرة الإعلامي على السياسي قد تؤدي إلى الفساد، بكل أنواعه. وكما قال لي صديقي النابه، فإن ما ستمر به بريطانيا اليوم هو إعادة تعريف العلاقة بين السياسي والإعلامي، هذا إذا لم تصبح قصة صحيفة الفضائح أمرا أشبه بووتر غيت الأميركية، إلا أن الواضح اليوم، وكما قال لي الصديق النابه، أن الصحافة بات عليها القيام بدورها النقدي، بينما على السياسي أن يقوم بإقناع الرأي العام بالوسائل المتبعة في التعامل مع

الصحافة، سواء الحوارات، أو التسريبات، وهكذا، وهو أمر يبدع فيه السياسي الأميركي كثيرا، فالأمر أشبه بفن له شروط، وليس اجتهادات وحسب.

هذه جملة دروس من قصة إغلاق صحيفة الفضائح البريطانية، ومنها بالطبع أن من كشف فضيحة تلك الصحيفة كان الصحف البريطانية الرصينة نفسها، وكم كان لافتا ما كتبته صحيفة «فاينانشيال تايمز» في أحد تقاريرها عن إغلاق صحيفة «نيوز أوف ذي وورلد»؛ حيث قالت إن وفاة صحيفة الفضائح «بالنسبة للمعنيين في صناعة الصحافة، كان خبرا مذهلا، أشبه بالاغتيال، لكنه أقرب إلى اغتيال أسامة بن لادن.. وليس اغتيال جون كينيدي»!، ولذا تظل الصحف الرصينة أكثر تأثيرا من غيرها.

الإعلام والسياسة ...أية علاقة ؟!

إن ما استحدث من وسائل الإعلام و الاتصال كان له اثر عميق في الحياة الإنسانية فكانت الطباعة و الصحافة في أول الأمر وسيلتين أساسيتين في تصريف و بث الأفكار وصناعة الرأي العام و الآن أضحت الصحافة المرئية و المسموعة و ما يليها في موكب الثورة الإعلامية (الانترنيت، الأقمار الاصطناعية ...) مؤثرات حاسمة في حياة الإنسان. و بالتالي فهي – وسائل الإعلام و الاتصال- كالكأس الفارغ يختار صاحبه إما يملؤه عسلا أو سما و بالتالي فهي محايدة بطبيعتها . هي فعلا و سائل محايدة حين تستعمل في بلاد الديموقراطيات لتنظم الصراع السياسي ، أما في بلاد الاستبداد و الفقر الديمقراطي تحتكر الدولة و النظام تلك الوسائل لتفرض الرأي الواحد وتصوغ الذهنية الموحدة و كأننا أمام ديكتاتورية إعلامية.

كما هو معلوم فان كل مؤسسة إعلامية عمومية/حكومية أو خاصة /حرة، تجتهد لتستحوذ على ألباب القراء و المستمعين و المشاهدين، فتتفنن بذلك في صناعة المادة الإعلامية السياسة و الخبر السياسي و الحدث السياسي والشخصية السياسية ، هذه المادة التي يتلقاها المستهلك الإعلامي دون أن يدرك أهي صادقة أم أنها تروم التمويه والكذب على الذقون عبر نقل موثق منسق يدس السم في الدسم.

إن ظهور الساسة في الإعلام البصري السمعي في الوقت المناسب و بالشكل المناسب و نبرة الصوت المناسبة و الخطاب السياسي المناسب ،قد صار أمرا له مهندسوه و مخرجوه و خبراءه و مستشاروه ممن يزينون الصورة و يحسنون الواجهة السياسية و يلمعونها.

فقد كانت الخطابة المباشرة على مر العصور هي الوسيلة الأولى للإقناع لدى الزعيم السياسي و أداة لاتصاله، أما الآن فيكفي للسياسي أن يتقدم لصناع

الصورة ليستنسخوا منه شخصية إعلامية جذابة و لو كان اخرق لا يفق شيئا، هذا في بلاد الديمقراطيات !!!! أما في بلاد الفقر الديمقراطي و الاستبداد التي يصل فيها الحاكم إلي حكمه بالانقلاب العسكري و الخداع السياسي، فهو ينقض على وسائل الإعلام لترفعه إلى قمة الزعامة، بحيث لا يبقى أمامه إلا أن يرفع صوته .! و بهذا لا زالت جماهير من المستهلكين للمادة الإعلامية المسيسة ضحية لمؤثرات وسائل الإعلام التي تملا السمع و البصر فتسد على الفكر و الرأي الحر المنافذ و تفتح الباب للانفعال و الهياج.

هنا ياتي سؤال ما العمل؟

في ظل ما عرضناه لعلاقة الإعلام و السياسة من وجهة نظر لا نجزم بكمالها المعرفي المطلق نقول انه مادامت وسائل الإعلام و الاتصال مجرد وسيلة توظفها الآلة السياسية إما إيجابا أو سلبا أمام غياب الوعي الفاعل للإنسان المستهلك للمادة الإعلامية ، فان حياد الإعلام سيخدش و الكاس ستفيض سما بدل العسل ...

الإعلام و السياسة بين المطالب الواهية و غياب الرؤى العالية

يكثر الحديث عن الإعلام منذ أسابيع عبر عديد البرامج الحوارية و التفاعلية على شاشات القنوات التلفزيونية و أثير المحطات الإذاعية في شكله ومضمونه و سبل تمويله و عن مكانته بغير ما تحديد منطقي وموضوعي رصين من ناحية لدواعي هذه المطالب الجامدة التي لا تدفعها - بما تنضح به مجريات النقاشات و الأحاديث - عوامل عملية و "غيرة محاربة" بأظافر و مخالب الحق للحصول على "المستحق" من جملة هذه المطالب البعيدة عن التقنين ، و بالاعتراف من ناحية أخرى كما تقتضي و تملي و تلزم "الشجاعة الأدبية" بما هو حاصل من إخلال و تعارض مع توجه و روح و منهج و أدبيات و مبتغيات الحقل الإعلامي - على أهميته المحورية في كيان الدولة - و سمو أهدافه علما، من جهة نظر المنطق المجرد، بأن زمن "أحادية حمله رسالة الإخبار والتوجيه" قد ولت في أغلب أوجه حالات و تأويلات الإعلام بمفهومه التقليدي، حيث لم يعد يختلف في أي شيء عن باقي حقول و ميادين العطاء و الإبداع والإصلاح والبناء ودعم "الحكامة الرشيدة" و نشر قيم العدالة و المساواة و ثقافة الديمقراطية.

إن الإعلام من حيث قيمته المعنوية التي تشكل مبدئيا "السياج الأول" الذي يجب، أخلاقيا و مهنيا، أن يضرب ذاتيا حول نفسه، على ضرورة أدائه القصوى، ليس مطالبا بأن يذهب إلى حد الاعتقاد "الطوباوي" بقدسية تقصي من وجود لـ"للشوائب" و "الانحرافات" في نسيجه العام، علما و اعتبارا للاختلاف و الجدل القائمين حول تأويلات الشوائب التي تعتري الإعلام في "مخرجاته" شكلا و مضمونا و الانحرافات التي تحدث في خطوطه التحريرية و توجهاته المهنية و مواقفه المبدئية التي تمليها الظروف المتغيرة و الصروف الزمنية المتقلبة، من منطق العصر و ما أفرز من مرونته مع تباينات الناس و اختلافاتهم حول ما يطلبون و ينتظرون من الإعلام المشتت على ذلك حول همومهم و قضاياهم.

و إنه بقدر ما تتفاوت أنواع و أداءات و عطاءات و مقاصد قطاعات الجيش و المدارس و الجامعات و المعاهد و الصناعات و الفنون في أشكالها و الفرق الفنية على أنواعها و اختلاف أحوالها و مقاصدها و المطاعم و وجباتها و ما إلى غير ذلك لا يحصى، فإن عطاء وسائل الإعلام المرئي و المكتوب و الإذاعي و الالكتروني يتفاوت هو كذلك من حيث هذه القيم و الأهداف والنتائج و الأداء بحسب التوجهات المختلفة و القدرات المتباينة والمقاصد المرسومة والمخططات المعدة دون أن لا يظل إعلاما فيه الغث والسمين والملتزم والمتحرر والنخبوي و الارتجالي و المقلد والساخر و الشعبي

من هنا لا بد، في إطار ما أصبحت تمليه بل و تفرضه حرية التعبير و المنافسة في دائرة الحد الأدنى من احترام الخطوط الحمراء التي يلعب في سياقها المعتقد و منظومة الأخلاق الاجتماعية دور "صمام أمان" المجتمع ضمن دائرة البلد حصرا و الانتماءين العربي و الإفريقي ثانيا و العالمي تباعا، أن تكيف العقلية التي من المفروض أن تنفتح بأقل تقدير ملزم على القواسم و المشتركات الدولية الجديدة التي كرستها المنظمة الأممية و مواثيق أخرى اصطلح عليها و اعتمدتها هي الأخرى منظمات عالمية وجهات مختصة ولدت من رحم التحولات الهائلة في القرية الكونية الصغيرة.

و لكي يتم تجاوز هذه المرحلة "المبصومة" بطابع الانفصام ما بين صوت جهوري يطالب، بعيدا عن دوره الذي من المفروض أنه وجد لأجله، بالحصول على نصيب من كعكة الدولة، التي يتقاسمها المفسدون و الطفيليون المرجفون و الحربائيون و الوصوليون و السياسيون و ذوو النفوس التائهة، مطالبة "الأفراد" دون "المؤسسات"، و ما بين الأداء المائع المشتت بين الأهواء السياسية الضعيفة الخالية من الحس الوطني و بين الاسترخاء في أجواء رجعية الماضي و غياب المهنية المنتظمة في سياقات جامعة مانعة تدفع إلى الاستقلالية و أداء الدور المنوط بالاعلام

وعلى نفس موائد هذه الندوات الحوارية يجتمع ممثلون عن صحف و مواقع الكترونية و محطات تلفزيونية و إذاعية و عن تجمعات للصحف و للمواقع و عن الروابط و النقابات ثم يكررون أنفسهن و هم لا يشعرون... يتحدثون عن حقل لا قواسم مشتركة بين أطرافه و هم يعلمون و يتفقون حول مطالب ذات قاسم "يتيم" يرمي إلى استئصال أموال عمومية من خزينة الدولة دون ضمان المقابل و يرضون في نهاية المطاف بما يقدم... و لمن؟

للأصلح و من هو؟

للأبقى و في أي قالب قانوني مضبوط؟

للأقرب و من ماذا أو من من؟

و كأن المطالب كانت واهية على الرغم من الإلحاحية المجمع عليها... يطيلون النقاشات خلال الندوات و يفرغ الكل جعبته و لا يلحظ أي اختلاف فكأنما كل شيء في عمومه من مشكاة واحدة. فهم متفقون حول النظريات التشخيصية و الإستخلاصية و الإجماع على رمي الإخفاق على بعض الجهات دون أن يعترفوا أنها في الواقع هي مسؤولية كل الجهات ثم يتوصلون بإيقاعات شطر السيمفونيات الموحدة إلى استنتاجات تخمد النيران للتو لتترك الأحوال على ما كانت عليه إلى أجل غير مسمى.

ومع كل ذلك فإن حقل الإعلام حي و تأبى روحه بفضل دمائه الفتية و الحيوية إلا أن تنبض فوق كل ما يقولون و هو نشيط على "الطريقة الموريتانية" إذ كيف له أن يخرج عليها؛ فالصحف الرديئة الشكل تصدر كيف ما تشاء بالأسود الذي لم يعد كذلك و على متن صفحاتها القاتمة إنتاج جيد و غزير تسطره أنامل شباب قدراتهم بادية و توجهاتهم وطموحاتهم الإعلامية طافحة و المحطات التلفزيونية و الإذاعية على قدم و ساق تبث من إنتاجهم كذلك ما هو جيد في منافسة شديدة مع البرامج الغنائية و الشعرية المترفة التي زادت عن حد اللزوم حتى باتت قيمتها الثقافية و الفنية مهددة بالخفوت و التراثية بالاندثار.

ولا يترك أهل الحقل السياسي بكل ألوان طيفه نصيبهم من "الطريقة الموريتانية" في معالجة الأمور و استدرار المنافع من خزينة الدولة للتسيير و إعداد المشاركات في الاستحقاقات التي حولها ألف استفهام. فالمواقف المتباينة حول كل القضايا الشائكة لا تحكمها الضوابط المعهودة في العالم من حولنا، و الحراك موسمي يهدف في إصرار "سيزيفيي" إلى فرض "الأنا" دون الاختفاء المحمود وراء نبل المقاصد. و لا أدل على ذلك من غياب أية مسطرة هموم و أولويات وطنية تكرس من حولها رغبة تلقائية في تلاقي و وفاق كل التشكيلات المرخصة و أن تعدوها لا تحصوها... كل فارس يصارع بمفرده جميع "طواحين" الأمة من حوله بعيدا حتى عن روح "الدونكيشوتية" التي هي دون عماها سامية المقاصد. كما أن الأزمات المتكررة و ما تسببه من تشتيت أذهان أفراد الشعب حول متطلبات الخروج من بين مخالب التخلف و الجهل و الفقر و الغبن، لا تنسي هذه التشكيلات نصيبها من خزينة الدولة التي قال زعيم أحد الأحزاب في رد على سؤال حول وجهة الأموال التي يتلقاها الحزب من الخزينة العمومية "نتقاضى منها رواتبنا و نسير مكاتبنا و نصرف على بعض مهرجاناتنا"... فحسب... و طبعا لم يتضمن الرد أي شيء عن حملات نفعية من أي نوع كانت لفائدة المناضلين و المنخرطين في الحزب و عامة الشعب الذي هو المستهدف عند كل استحقاق... أو ليس هذا مؤشرا مهما على غياب الرؤى السياسية العالية؟

الإعلام والسياسة والاقتصاد ... والعرب

الصحافة كائن غريب... على الأقل كما أصبحت اليوم مع تعدد وسائل الاتصالات وتنوعها.

من المنظور الاقتصادي، تتميز الصحافة الحديثة بأن أغلبها ينتج شيئاً ويبيع شيئاً آخر، ما تنتجه صور وصوت وكتابات، حول أخبار وتحقيقات. أما ما تبيعه فمعظمه إعلانات، تعتمد على قدرة الوسيلة الصحفية في الوصول إلى أوسع جمهور ممكن، ولكن دون علاقة مباشرة بمضمون الإنتاج، ما له علاقة بالمضمون، هو وسيلة الصحافة الأخرى (وأحياناً الكبرى) للحصول على مردود، وهو تمويل الحكومات أو مجموعات النفوذ، هذا واضح في حالة الصحافة المرئية التي تبث على الأقمار الصنعية، لكنه ربما يكون أقل وضوحاً في حالة الصحافة

المطبوعة، لكن في الحقيقة، معظم هذه المطبوعات لا يجلب فعلاً مردوداً من البيع في الأكشاك، بل عن طرق الإعلان (أو التمويل الحكومي أو الخاص).

من المنظور الاجتماعي والسياسي ينظر إلى الصحافة على أنها السلطة الرابعة، والوحيدة القادرة على ضمان حق المواطنين في الحصول على المعلومة (المضمون في شرعه حقوق الإنسان) والتي يمكن بفضلها الحكم على شفافية أعمال السلطات الثلاث الأخرى، التنفيذية والتشريعية والقضائية، بل وأيضاً على القطاع الاقتصادي والمالي، هذه مسؤولية اجتماعية وسياسية، وكذلك مسؤولية مهنية.

والتوفيق (أو التموضع) بين هذين المنظورين للصحافة، الاقتصادي والاجتماعي- السياسي. معادلة ليس لها حلول سهلة. وإنما يجري في كل مرحلة من مراحل التاريخ تجاوز الأمر عبر ظهور وسائل اتصالات حديثة، وفتح آفاق جديدة، اقتصادياً واجتماعياً، هكذا أتى المذياع بجديد عندما كسر حواجز التوزيع التي عانت منها الصحافة المكتوبة، وكذا فعل التلفاز، خاصة عندما اجتا ز البلاد عبر الفضاء، وهذا ما جاءت به الإنترنت في الماضي القريب، خاصة وأنها كسرت حاجز الكلفة الى المالية للوصول إلى أوسع الجماهير، فأضحى كل منّا قادرًا على الوصولإلى سكان الأرض كافة.

ويأخذ الأمر بُعداً أخطر من ذلك عندما نرى أن الصحافة صارت تصنع الرأي العام، وتسوِّق الحرب والسلم، وتجمل أكثر السياسات سوءا.

مع كل هذه الخلفيات حضرت في الشهر الماضي منتدى قناة الجزيرة الثالث حول الإعلام والشرق الأوسط، الذي أقيم تحت شعار "ما وراء العناوين" وهنالك وجدت نفسي مناصراً لمواقف قناة الجزيرة حول القضية الفلسطينية والاحتلال الأمريكي للعراق وغيرها، ومتضامناً معها في وجه العوائق التي توضع في طريق محطتها باللغة الإنكليزية، التي تسعى لأن توزِّع عبر شبكات البث الأمريكية لتصل إلى كل البيوت في الولايات المتحدة، كما وجدت نفسي مناصراً لها في وجه التهديدات والملاحقات - التضحيات- التي يتعرض لها مراسلوها في بعض الدول، العربية والأجنبية على السواء، لكني بقيت متحفظاً وناقداً أمام صمت هذه القناة عن الأمور الاجتماعية والسياسية في قطر وبعض الدول الأخرى المنتقاة (والعدول عن هذا الصمت برأيي شرط أسياسي لكي يكون لها مصداقية أكبر أمام المواطنين العرب)، وأمام مسايرتها الكبيرة لحركات الإسلام السياسي، وكذلك أمام غلبة الطابع الإخباري الدعائي لما تبثه هذه القناة عن الاقتصاد والأعمال، (وكأن هذين المجالين بعيدان عن السياسة في المنطقة العربية). مع ذلك فقد صنعت هذه القناة

نموذجاً دفع بجميع المحطات الفضائية العربية إلى التسابق والتنافس للحاق به، وهو ما أدى إلى بعض من التعددية.

كذلك جرى هناك حديثٌ شيّق حول كيفية سيطرة بعض مجموعات الأعمال على الإعلام الغربي على نحو أصبح شديد التركيز، وكيف استُخدم ذلك في توسيع الفجوة بين الحضارات، وكيف تتجه كثير من الحكومات الأجنبية إلى إطلاق قنوات إجبارية باللغة العربية، وما يعنيه ذلك من محاولات لبث فكر معين، لكن لم يكن هناك حديث حقيقي حول طرق تمويل المحطات العربية، ولا تحليلات عن كيفية مقارعتها للأحداث حسب موقع جهات التمويل تلك، وفي الحقيقة أنا أفضل أن تعلن هذه القناة أو تلك التزامها بخط معين، من أن تدّعي الاستقلالية والشفافية، ولكن ربما يكون هذا هو الممكن في زمن تقوم فيه بلدان عربية أخرى بترخيص محطة فضائية لنائب في البرلمان ثم تعود وتغلقها، لأنها ببساطة لم تُعجب بالطريقة التي ستعالج فيها الأخبار.

ووجدت نفسي مع الكثيرين من أهل الصحافة المطبوعة أدافع عن المدونات على الإنترنت في مواجهة أساطين الإذاعة والتلفزة (ومنهم الغربيون، الذين يحاجون بأنه من الصعب التفريق بين الصالح والطالح على الإنترنت) فمع كل محاذيرها، تبقى الفضاء الذي يتمتع بأكبر قدر من الحرية، طالما أن معظم المواضيع الشائكة لا تجري معالجتها في وسائل الصحافة والاتصالات الأخرى، ثم تساءلت لماذا يأتي معظم المدافعين عن المدونات من الصحافة المطبوعة؟ وأفضل جواب وجدته في حنين أهل هذه الصحافة في البلاد العربية خاصة إلى زمن كان فيه عدد الصحف المنشورة أكبر بكثير مما هو عليه اليوم. في مصر في سورية (نعم كان عدد الصحف في العهد الفيصلي أكبر من عددها في سورية اليوم)، وفي لبنان كذلك نعم! ففي بلد "حرية الصحافة" العربية العريق، يُمنع صدور أي صحيفة سياسية جديدة بقانون صدر في أوائل الخمسينات والسبيل الوحيد لإصدار صحيفة سياسية هو شراء رخصة قديمة لصحيفة توقفت عن الصدور.

مناقشة وضعية "السلطة الرابعة" في البلدان العربية نسبة إلى السياسة والاقتصاد والمجتمع هو موضوع في منتهى الأهمية، والسبب الرئيس لذلك هو أن هذه البلدان تمر في مرحلة تحول في علاقتها مع الإعلام، وكما شرح الأستاذ في جامعة ستانفورد لورانس ليسيغ، ما زال هنالك اختلاف جوهري في طريقة تعاطي المواطنين مع الإعلام، بين الدول الغربية والعرب، فالغربيون يصدقون أغلب ما يقال لهم في وسائل الإعلام، أما العرب (وذلك نتيجة لطول سيطرة حكوماتهم على

هذه الوسائل) فهم في الأساس حذرون من أي معلومة تأتيهم منها، وفي هذا التصرف الأخير أساس الحرية، حرية الاختيار.

التحولات التي تجري في الإعلام العربي ما زالت في بداياتها ويمكنها كما في الغرب، أن تتجه نحو التمركز بيد مجموعات معدودة. ولا ينقذها اليوم سوى خلافات الدول العربية بعضها مع بعض، وشيء مما بقي في حب المعارضة والمشاكسة النابعة من الخضوع للكذب المفضوح طيلة سنوات عديدة, هذه التحولات ستجري متسارعة لا لشيء إلا للسبب نفسه الذي يدفع الإعلام الأجنبي (والقوات الأجنبية أيضاً) إلى الاهتمام بالعالم العربي. إذ أن فيها ما هو أكثر قيمة من النفط، فيها مواطنون ما زالوا مقتنعين بأن التاريخ لم ينته، وأن هناك مستقبلاً أفضل يجب صنعه. شغف لا تملؤة الصحافة العربية اليوم.

الإعلام والسياسة والقوة والثروة مفردات في الأصل تعُود للشعب اليمن والإعلام والسياسة والقوة والثروة,مفردات في الأصل تعود للشعب,غير أنها في الواقع اليمني لا تزال معادلة مختطفة بيد السياسيين ومراكز قوى بعينها بتمثيل صراعات وتحالفات وزعم خصومة,وذلك بغاية الاستحواذ على السلطة والثروة وتوجيهها باتجاه المراوحة في تنمية الاستبداد وإعادة إنتاجه بصورة شمولية ربما أكثر فداحة .

يحتاج الإعلام في اليمن إلى صيغ وأساليب جديدة ومحدثة لخطابه ونمطية رسالته وصيغ الأخبار وتغطية أحداثه برسم سياسات وتشريعات مرنة تنتظم إطاراً إعلامياً بأفق حر وجديد ومفتوح بمحددات أخلاقية لا تقيد مسألة التنوع الطبيعي كمعطى للإختلاف وركيزة للمواطنة والتناغم الإيجابي الذي تتأسس عليه بنية الدولة الطبيعية في صورة تعايشها الحضاري, بحيث تعمل على مراعاة حالة التنوع كقيمة للتعدد المنظم لتفتح عبره أفقاً لآراء واختلافات تصنع الحرية والتوازنات وتتجاوز عتمة التنميط الإعلامي الحاصل,كما ستحسن الصحف الرسمية صنعاً لو أنها تلتقط اللحظة اليمنية في سياق جديد ومختلف لتتجاور بشكل أكبر مع هوية الهم الإجتماعي للمواطنين وعلى غير ما تنمطت به صورة خطابها من انحياز أحادي في ذهنية العام,ولا يزال بعضها بعيداً عن التعاطي بذكاء مهني وجدية في ملامسة هموم "المفرد بصيغة الجمع ."

وبضوء استمرارية ثبات المعادلة الشمولية في علاقة الإعلام بالسياسة بقيت اليمن - ولا تزال - تمر بمراحل انتقالية متتالية منذ أكثر من نصف قرن,وكان لذلك تأثير سلبي أيضاً على استقرار الدولة حتى في الجنوب وحتى في فترات ما قبل الوحدة السياسية في 90م,مثلما بقيت الصورة النمطية لمشهد الإعلام اليمني إجمالاً ولا تزال أنماطها تمثل التشابه لا الاختلاف وبخاصة في منظومة الإعلام

الحكومي,وإن تفاوت مستواها,غير أن الاختلاف بدأ يكسر طابع النمطية المعتادة كما أخذت صحيفة الجمهورية تعكس وبدأب أن "الجمهورية" والتي أبدت منذ سنوات مرونة في استيعاب اختلافات وآراء هي اليوم تثبت قابليتها للتحول الإيجابي بالعمل على تحديث خطابها أو شكلها البصري كما أفردت وتفرد مساحة للرأي بأوجهه وبخاصة بعد الثورة الشبابية الشعبية.

اللحظة تستدعي مزيد كسر حواجز الخوف المفروضة على بعض الوسائل من داخل مؤسساتها,كسر الحواجز أعني بذكاء ومهنية في التعاطي بمواءمة الرسالة بأولويات القضايا الأساسية للشعب نحو تحقيق خطوات وأفكار جديدة وسلوك طرائق جديدة لإعلام حر يواكب لحظات تحول ينشدها أفراد المجتمع, وهذه الصحيفة أخذت ربما تنظر أن الثورة الأولى التي قامت في عام 1962م نهضت فكرتها من أجل الجمهورية والنظام الجمهوري وفكرة الدولة التي لم تتحقق في سياقه حتى اللحظة,وأجد من خلال متابعتي أن الجمهورية الصحيفة تدرك على الأقل أحسن من غيرها ضرورة البحث عن صيغ جديدة للتميز,وقد كان تبنيها لأفكار ثقافية وإصدارات تواكب فكرة إسناد الفعل الثقافي والتنوير في بعض سماته ، كما سبق وأن نفذت فكرة نشر«كتاب الجمهورية» اليومي في رمضان الفائت وشمل فوائد في الفكر والفن والفلسفة .. وغيرها ومعارف ومفاهيم علمية ودراسات نوعية عبر إتاحتها للناس رفقة العدد.

الصحيفة اليوم خلقت انطباعاً لدى القراء بتميزها في التنافس وبخاصة في حال المقارنة بصحف رسمية أخرى ، إذ أنها عملت وتعمل حالة من توازن أو مواءمة تتوسم أن تعطى مساحة حرية أوسع في التعبير وربما لو أن ذلك تم في شكل سيستم جديد لتغيير وتطوير وتشريع السياسة الإعلامية بالمعنى الوطني في أفقه الرسمي سيتم تغذية الوسائط بسياسات تنافس بقيم مدنية جديدة تفتح نوافذ للناس على مفاهيم الديمقراطية والمواطنة وقيم التعايش المدني وتعمل على تقديم حجم ونوعية المعلومة الجديدة وتوطين أفكار جديدة وشراكة فاعلة بينها وبين المجتمع،لأن البقاء في الأخذ بإرث ومعيار فترة العمل السري سيبقي ذلك الجمود في الإعلام وصيغته الشمولية التي اعتاد عليها كـ«جنان لوزي"منذ السبعينيات,وذلك النمط في الحقيقة لم يعد صالحاً اليوم لخلق حالة تناغم أو تفاعل مجتمعي من أي نوع ، لأنه سيصطدم بخيارات وبدائل تبقي الإعلام الرسمي محل سخرية إن هو لم يطور نفسه,كما في شكل توازن علاقته المواطنون وجهات تعمل على تدبير شئونهم السياسية,وإجمالاً فإن الحاجة تبقى ملحة واستراتيجية إلى رؤية إنقاذ وطني للإعلام اليمني في مختلف الاتجاهات ووضع ميثاق شرف لمراعاة أولويات الإنسان وقضاياه ومستقبل أجياله قبل أولويات أشخاص بعينهم وذلك من أجل تلافي سقوط الوسائل في مزيد من السخرية والتدجين لخطابها وحتى تدرأ عن

نفسها تهمة التجيير لمصالح بعينها بما يستجر ويصنع طبائع الاستبداد الفردي لمن قد يجدون أنفسهم على رأس مراكز نفوذ هنا أو هناك .

والواقع أن الناس قد ملت كهنوت النظرة السياسية إلى قضايا الشعب والوطن اليمني كأرضية مباحة بالفتوى,أو الدعوية وشرطة المتنفذين بجهوياتها المختلفة ومناشير تحزبها ورطاناتها وتقعر خطابها,وعلى المشاركين من أعضاء مؤتمر الحوار الوطني الذي يدخل اليوم يومه الثامن، عليهم تحمل مسئوليتهم في نقاش القضايا الأساسية للشعب والوطن ، وبخاصة ما يتعلق منها بما غدا محور تأييد الإجماع الوطني كالقضية الجنوبية مثلاً وقضية صعدة,ويجدر بالشباب والنخب الحقوقية والناشطين والناشطات من أعضاء الحوار من القوى المدنية وممن لا يمثلون ثقلاً معتمداً لجهوية ما أو فرزة مصالح بعينها, أن يتفردوا بجرأة الرأي في طرح القضايا العالقة ووضع استراتيجية حلول جذرية لها,حتى يتحقق شرط الدولة الناجحة في التوافق الوطني لا التوافق على مصالح ضيقة تبقي على صناعة الاستبداد,وعليهم أن يملأوا بكلمات مكثفة وعميقة الحضور الحيز المتاح لهم في جلسات مؤتمر الحوار طوال فترة انعقاده لكي يوصلوا رسائل قوية تمثل جوهر الاصطفاف بمفارقات طرحهم للحديث بقوة ووضوح وشفافية عما تريده إرادة ملايين من الشعب اليمني من استقرار مفهوم الدولة ورسوه على بر خيارات الشعب لا النخبة الساسية في الوظيفة العامة,وقد لا يستطيع الناس إيصال رسالتهم ربما بالشكل الذي تطمح إليه أحلامهم بالرغم من تضحيات جسام ومعاناة قدموها وجرحى وشهداء تؤرخ لتضحياتهم كل ميادين التضحية وكل مفردة نظيفة لم تتلوث بوحل المصالح الشخصية أو كل ذرة تراب وبحر وشاطئ وجزيرة وزاوية في جغرافيا اليمن ونضالات شعبه ، كما تشهد ذاكرة الزمن والأمكنة والسياقات التاريخية ومكابدات الشعب بمرارة اغترابه واستلابه في الداخل والخارج والعيش طويلاً بعناء وصبر في ظل غياب العدل ومتوالية الاستبداد وأدواته من صناع الحروب والأزمات والصراعات وحلفاء الغنيمة.

العلاقة بين الاعلام والسياسة الخارجية

تعد عملية فهم طبيعة العلاقة بين الاعلام والسياسة الخارجية احدى مدخلات المتغيرات الايديولوجية لتتابع التطور المعاصر الذي اصاب العمل السياسي في نطاق الاسرة الدولية، وكيف اضحى ينبع من خصائص ومقومات تختلف اختلافا كليا عن التقاليد التي ظلت سائدة حتى عدة قرون واجمالا حتى انفجار الحرب العالمية الثانية.
هذه الصورة الجديدة للعمل الايديولوجي أبرزت ثلاث حقائق هي: اولاً: ضرورة التمييز في السياسة الخارجية بين مستويات ثلاث: اعداد السياسة الخارجية من جانب ثم عملية صنع القرار السياسي من جانب آخر ثم عملية تنفيذ القرار السياسي في جانب ثالث. ثانياً: نقل اساليب العمل السياسي الداخلي الذي اساسه التعانق الديمقراطي بين القوى الى النطاق الدولي و الخارجي وبصفة خاصة من خلال المنظمات الدولية. ثالثاً: تعدد ادوات تنفيذ السياسة الخارجية والنظر الى الاعلام على انه اداة من ادوات تنفيذ السياسة الخارجية تربط بين العمل الداخلي والعمل الخارجي من جانب وتستند الى ادوات اخرى مكملة من جانب آخر. متابعة هذه النواحي سوف يسمح لنا بابراز اهمية العلاقة بين السياسة الخارجية والعمل الاعلامي. ان اول ما يلاحظ في العمل السياسي الخارجي هو ضرورة التمييز بين مستويات العمل السياسي الخارجي كحركة سياسية بحتة، وهو بهذا المعنى يخضع لجميع القواعد التي يفرضها مفهوم الحركة لكنه حركة لا يمكن ان تكون صادرة الاّ من الدولة او توابعها، وبعبارة اخرى هي حركة حكومية وهذا يفرض على العمل السياسي الخارجي اول خصائصه انه نشاط للاداة الحكومية في نطاق الاسرة الدولية. وحيث ان الاسرة الدولية لا تزال تخضع لشريعة الغاب لانها لا تزال لم تملك بعد ذلك التنظيم الذي يسمح بالجزاء لمخالفة قواعده فإن العمل السياسي الخارجي لابد ان يعكس هذه الحقيقة، انه في جوهره ليس الاّ سعي نحو السيطرة والاستحواذ انه من حيث طبيعته ليس الاّ انتزاع لمكاسب او حماية من عدوان متوقع وهكذا من تفاعل هذين المتغيرين تتحدد خصائص ومستويات العمل السياسي الخارجي. يمكننا ان نميّز بين مستويات ثلاث من مستويات الحركة في نطاق العمل الخارجي كل منها له خصائصه وله مقتضياته، وهذه المستويات هي وضع او صياغة السياسة الخارجية, عملية القرار السياسي الخارجي, عملية تنفيذ السياسة الخارجية. كل هذه المستويات ترتبط رغم ذلك بالمستويات الاخرى فصنع القرار السياسي يجب ان يندرج في وضع او صياغة السياسة الخارجية واسلوب تنفيذ السياسة الخارجية ينبع من طبيعة وخصائص النظام السياسي الخارجي رغم ذلك ورغم ان تعرّضنا لهذه النواحي فقط من تلك الحدود التي تفرضها علينا مشكلة

العلاقة بين العمل الاعلامي والسياسة الخارجية لابراز كيف ان الاعلام بدوره احد عناصر الموقف الذي نعيشه من التخطيط وعدم الاتزان. لذلك فان الدعاية والاعلام تمثّل خط الهجوم الاول وخط الدفاع الاخير. هذا التحليل يسمح بأن نفهم لماذا نرفض بعض الحالات الاخيرة التي تقوم على اساس التمييز بين اربعة ادوات لتنفيذ السياسة الخارجية: الاداة الاقتصادية ثم الاداة العسكرية والواقع ان الاداة الايديولوجية لا موضع لها في ذاتها في نطاق العلاقات الدولية حيث تنصهر في العمل الدعائي والاعلامي. والادوات الاخرى مكملة او ممهدة وليست لها وظيفة مستقلة من حيث عملية تنفيذ السياسة الخارجية والواقع ان مردّ ذلك الخلط هو ضرورة التمييز بين عملية تنفيذ السياسة الخارجية وعملية استخدام اداة معينة من جانب الطبقة الحاكمة تعني تحديد للعناصر المشاركة تحديد للاتجاه الذي نتحرك في نطاقه من حيث المصب الذي تتجه اليه الاداة تحديد للاهداف التي يسعى اليها المخطّط للسياسة الخارجية ثم اخيراً تحديد للموقف الذي يرتبط به التعامل بتلك الاداة، وهكذا نجد ان مستوى السياسة الخارجية بدوره يفترض مستويات اخرى تابعة كل منها له ابعاده وله خصائصه ونستطيع ان نلخص الاطار العام لمستويات العمل السياسي الخارجي في القواعد التالية: القاعدة الاولى: انه يجب ان نفصل دائماً أقل الادوات تكلفة, فالاعتداء على سفير لا يمكن ان يواجه بحرب مسلّحة وهنا ان اقل الادوات تكلفة بصفة عامة هي الاداة الاعلامية. القاعدة الثانية: هي قاعدة التنسيق بين ادوات السياسة الخارجية ومعنى ذلك انه يجب ان توجد علاقة ترابط بين هذه الادوات بحيث تصير عملية السياسة الخارجية منسجمة ومنسقة بشكل كامل، وهذا يفترض التخطيط المرن الذي اساسه وضوح الرؤية القاعدة الثالثة: ومفادها ان رغم تعدّد ادوات السياسة الخارجية فجوهر العمل الخارجي يظل دائما عملية التفاوض. فالسياسة الخارجية لا تعدو ان تكون تطويع ارادة لارادة اخرى وهكذا حتى العمل العسكري ليس سوى اداة الغرض منها اكراه الخصم على الاستسلام لشروط معينة ما كان يسلم بها لو لم تحدث الهزيمة العسكرية، وهكذا فان السياسة الخارجية تنجح لا عندما يقدّر لها ان تنتصر في معركة انما فقط عندما تفرض على الخصم الاستسلام لطلباتها ان نجاح تنفيذ أية سياسة خارجية يجب ان يفرض على مخطّط تلك السياسة ان يتحرك وهو يستند الى اعمدة ثلاث: دبلوماسية نشطة, دعاية اعلامية فعالة, قوة عسكرية متطورة ويقظة.

الإعلام والسياسة الخارجية

تعد عملية فهم طبيعة العلاقة بين الاعلام والسياسة الخارجية احدى مدخلات المتغيرات الايديولوجية لتتابع التطور المعاصر الذي اصاب العمل السياسي في

نطاق الاسرة الدولية و كيف اضحى ينبع من خصائص و مقومات تختلف اختلافا كليا عن التقاليد التي ظلت سائدة حتى عدة قرون و اجمالا حتى انفجار الحرب العالمية الثانية:

هذه الصورة الجديدة للعمل الايديولوجي أبرزت ثلاث حقائق هي:

اولاً: ضرورة التمييز في السياسة الخارجية بين مستويات ثلاث : اعداد السياسة الخارجية من جانب ثم عملية صنع القرار السياسي من جانب آخر ثم عملية تنفيذ القرار السياسي في جانب ثالث.

ثانياً : نقل اساليب العمل السياسي الداخلي الذي اساسه التعانق الديمقراطي بين القوى الى النطاق الدولي و الخارجي و بصفة خاصة من خلال المنظمات الدولية.
ثالثاً : تعدد ادوات تنفيذ السياسة الخارجية و النظر الى الاعلام على انه اداة من ادوات تنفيذ السياسة الخارجية تربط بين العمل الداخلي و العمل الخارجي من جانب و تستند الى ادوات اخرى مكملة من جانب آخر .متابعة هذه النواحي سوف يسمح لنا بابراز اهمية العلاقة بين السياسة الخارجية و العمل الاعلامي

ان اول ما يلاحظ في العمل السياسي الخارجي هو ضرورة التمييز بين مستويات العمل السياسي الخارجي كحركة سياسية بحتة و هو بهذا المعنى يخضع لجميع القواعد التي يفرضها مفهوم الحركة و لكنه حركة لا يمكن ان تكون صادرة الاّ من الدولة او توابعها و بعبارة اخرى هي حركة حكومية و هذا يفرض على العمل السياسي الخارجي اول خصائصه انه نشاط للاداة الحكومية في نطاق الاسرة الدولية.

و حيث ان الاسرة الدولية لاتزال تخضع لشريعة الغاب لانها لاتزال لم تملك بعد ذلك التنظيم الذي يسمح بالجزاء لمخالفة قواعده فأن العمل السياسي الخارجي لابد و ان يعكس هذه الحقيقة انه في جوهره ليس الاّ سعي نحو السيطرة و الاستحواذ انه من حيث طبيعته ليس الاّ انتزاع لمكاسب او حماية من عدوان متوقع و هكذا من تفاعل هذين المتغيرين تتحدد خصائص و مستويات العمل السياسي الخارجي.

يمكننا ان نميّز بين مستويات ثلاث من مستويات الحركة في نطاق العمل الخارجي كل منها له خصائصه و له مقتضياته و هذه المستويات هي وضع او صياغة السياسة الخارجية , عملية القرار السياسي الخارجي , عملية تنفيذ السياسة الخارجية.
كل هذه المستويات ترتبط رغم ذلك بالمستويات الاخرى فصنع القرار السياسي

يجب ان يندرج في وضع او صياغة السياسة الخارجية و اسلوب تنفيذ السياسة الخارجية ينبع من طبيعة و خصائص النظام السياسي الخارجي رغم ذلك و رغم ان تعرّضنا لهذه النواحي فقط من تلك الحدود التي تفرضها علينا مشكلة العلاقة بين العمل الاعلامي و السياسة الخارجية لابراز كيف ان الاعلام بدوره احد عناصر الموقف الذي نعيشه من التخطيط و عدم الاتزان.

لذلك فان الدعاية والاعلام تمثّل خط الهجوم الاول و خط الدفاع الاخير 0 هذا التحليل يسمح بأن نفهم لماذا نرفض بعض الحالات الاخيرة التي تقوم على اساس التمييز بين اربعة ادوات لتنفيذ السياسة الخارجية: الاداة الاقتصادية ثم الاداة العسكرية و الواقع ان الاداة الايديولوجية لا موضع لها في ذاتها في نطاق العلاقات الدولية حيث تنصهر في العمل الدعائي و الاعلامي0 و الادوات الاخرى مكملة او ممهدة و ليست لها وظيفة مستقلة من حيث عملية تنفيذ السياسة الخارجية و الواقع ان مردّ ذلك الخلط هو ضرورة التمييز بين عملية تنفيذ السياسة الخارجية و عملية استخدام اداة معينة من جانب الطبقة الحاكمة تعني تحديد للعناصر المشاركة تحديد للاتجاه الذي نتحرك في نطاقه من حيث المصب الذي تتجه اليه الاداة تحديد للاهداف التي يسعى اليها المخطّط للسياسة الخارجية ثم اخيراً تحديد للموقف الذي يرتبط به التعامل بتلك الاداة و هكذا نجد ان مستوى السياسة الخارجية بدوره يفترض مستويات اخرى تابعة كل منها له ابعاده و له خصائصه و نستطيع ان نلخص الاطار العام لمستويات العمل السياسي الخارجي في القواعد التالية:

القاعدة الاولى : انه يجب ان نفصل دائماً أقل الادوات تكلفة, فالاعتداء على سفير لا يمكن ان يواجه بحرب مسلّحة و هنا ان اقل الادوات تكلفة بصفة عامة هي الاداة الاعلامية.

القاعدة الثانية : هي قاعدة التنسيق بين ادوات السياسة الخارجية و معنى ذلك انه يجب ان توجد علاقة ترابط بين هذه الادوات بحيث تصير عملية السياسة الخارجية منسجمة و منسقة بشكل كامل و هذا يفترض التخطيط المرن الذي اساسه وضوح الرؤية القاعدة الثالثة : و مفادها ان رغم تعدّد ادوات السياسة الخارجية فجوهر العمل الخارجي يظل دائما عملية التفاوض0 فالسياسة الخارجية لا تعدو ان تكون تطويع ارادة لارادة اخرى و هكذا حتى العمل العسكري ليس سوى اداة الغرض منها اكراه الخصم على الاستسلام لشروط معينة ما كان يسلم بها لو لم تحدث الهزيمة العسكرية و هكذا فان السياسة الخارجية تنجح لا عندما يقدّر لها ان تنتصر في معركة و انما فقط عندما تفرض على الخصم الاستسلام لطلباتها ان نجاح تنفيذ أي سياسة خارجية يجب ان يفرض على مخطّط تلك السياسة ان يتحرك

و هو يستند الى اعمدة ثلاث :
دبلوماسية نشطة , دعاية اعلامية فعالة , قوة عسكرية متطورة و يقظة
الإعلام الدولي والسياسة الخارجية

تقوم مؤسسات الإعلام عادة بنشر المبادئ والأفكار والمواقف والأخبار بواسطة وسائل الاتصال الجماهيرية المتنوعة بغرض الإقناع والتأثير على الأفراد والجماعات محلياً داخل المجتمع، وخارجاًبعد أن تخرج عن نطاق المحلية وتجتاز الحدود الجغرافية والسياسية للدولة، لنقل المبادئ والأفكار والمواقف والأخبار لمواطني الدول الأخرى، من أجل خلق نوع من التأثير أولاً، ومن أجل تحقيق نوع من الحوار الثقافي ثانياً متجاوزة الحواجز اللغوية، والسياسية، والجغرافية، لتتحول المؤسسات الإعلامية ووسائل اتصالها الجماهيرية إلى مؤسسات إعلامية دولية.

ويعتبر الإعلام الدولي جزء لا يتجزأ من السياسة الخارجية للدول المستقلة المتمتعة بالسيادة الوطنية الكاملة، ووسيلة فاعلة من وسائل تحقيق بعض أهدافها السياسية الخارجية داخل المجتمع الدولي.

ويخدم الإعلام الدولي المصلحة الوطنية العليا للدولة، وفقاً للحجم والوزن والدور الذي تتمتع به هذه الدولة أو تلك في المعادلات الدولية القائمة، وتأثيرها وتأثرها في الأحداث العالمية المستجدة كل يوم. وخاصة عند نشوب أزمات سياسية أو اقتصادية أو عسكرية أو اضطرابات اجتماعية تطال تلك الدولة، أو الدول المجاورة لها، أو تطال مناطق المصالح الحيوية للدول الكبرى في أنحاء مختلفة من العالم، أو في حال حدوث كوارث طبيعية أو أوبئة وأخطار بيئية تهدد الحياة على كوكب الأرض، ككارثة الانحباس الحراري الذي يهدد البشرية اليوم.

وللإعلام الدولي دوافع متعددة، تعتمد على المصالح السياسية، والاقتصادية، والعسكرية، والاجتماعية، والعلمية، والثقافية، والإنسانية، بما يتفق والسياسة الخارجية للدولة المعنية، وتنبع كلها من المصالح الوطنية العليا للدولة، وقد يعمل الإعلام من خلال هذا المنظور على تعزيز التفاهم الدولي والحوار بين الأمم، ليؤدي إلى خلق تصور واضح للدول بعضها عن بعض، مفاده التحول من النظام الثقافي القومي التقليدي المغلق، إلى نظام ثقافي منفتح يعزز التفاهم الدولي ويعمل على تطويره أو إلى نظام ثقافي شمولي تديره جهات معينة من وراء الحدود للوصول إلى أهداف معينة تخدم مصالحها الخاصة.

وكان للإعلام الدولي دوراً أساسياً في هذا التحول بعد التطور الهائل الذي حدث في تقنيات الاتصال خلال القرن العشرين، وساعد على إحداث تغيرات ثقافية واجتماعية واضحة، رغم تضارب المصالح الاقتصادية والسياسية والصراعات

الإيديولوجية المؤثرة على القرار السياسي اللازم لأي تقارب أو حوار دولي هادف بين مختلف دول العالم.

وظائف الإعلام الدولي

ومن الأمور التي تميز البشر عن غيرهم من المخلوقات الحية أنهم قادرون على التواصل وإعلام بعضهم البعض. وكانوا منذ القدم بحاجة دائمة لمراقبة وفهم الظروف المحيطة بهم، ونشر الآراء والحقائق التي تساعد الجماعات الإنسانية على اتخاذ القرارات المناسبة في الوقت المناسب، ونشر تلك القرارات على نطاق واسع دون تأخير، ونقل تراث الأجداد وبلورة التطلعات السائدة في المجتمع ووضعها في خدمة الأجيال الصاعدة، والترفيه عن أفراد المجتمع.

ولم تزل مهام الإعلام في المجتمعات القديمة وحتى يومنا هذا كما كانت قائمة عليه، ولكن بفارق أصبحت معه تطال قطاعات جماهيرية واسعة جداً، وبأساليب وتقنيات حديثة متطورة بعيدة المدى تحيط بالكرة الأرضية برمتها وبامتداد يشمل الفضاء الكوني لإشباع حاجات الأفراد والجماعات لمعلومات عن الظروف المحيطة بهم، وتصلهم بسرعة فائقة ودقة كبيرة عن طريق وسائل الاتصال الجماهيرية، وأجهزة الاستشعار عن بعد التي باتت تستخدم أحدث المعدات الإلكترونية والتجهيزات المتطورة باهظة التكاليف، وتساعد على اتخاذ القرارات وتنفيذها في الوقت المناسب.

وهكذا نرى أن مهام الإعلام التي وجدت في المجتمعات القديمة هي نفسها الموجودة اليوم من حيث المبدأ في المجتمعات الحديثة، والفارق الوحيد أنها أصبحت متعددة ومتشعبة وأكثر دقة بفضل وسائل الاتصال الحديثة المتطورة التي لم تكن معروفة من قبل. وأصبحت الدول أكثر من ذي قبل تشارك عن طريق ممثليها في التأثير على مجرى الحياة الاجتماعية في الداخل والخارج من خلال سياساتها الداخلية والخارجية مستعينة بوسائل الاتصال الجماهيرية، وأصبحت المصالح الوطنية العليا للدولةأكثر تأثيراً في عملية اتخاذ القرارات على الصعيدين الداخلي والخارجي. بعد أن دخلت وسائل الإعلام والاتصال الجماهيرية القرية والمدينة والتجمعات السكانية أينما كانت، وتحولت إلى نظام مفتوح أمام قوى التغيير الآتية من الداخل والخارج، ومعنى هذا أن الوظائف القديمة للإعلام اختلفت من حيث درجتها وحجمها فقط وليس في نوعها، والسؤال المطروح اليوم لماذا كل هذا الاهتمام بوسائل الإعلام الجماهيرية ؟

والجواب أن تلك الوسائل أصبحت تصل اليوم إلى جمهور واسع متعدد الشرائح والقيم والانتماءات، ووسائل الاتصال والإعلام الجماهيرية التي كانت يوماً ما تصل إلى جمهور محدود وبتأثير محدود، أصبحت اليوم تصل إلى شرائح سكانية كبيرة منتشرة في أنحاء متباعدة من العالم، وأصبحت تؤثر على آراء الناس

وتصرفاتهم وأسلوب حياتهم، فالصحيفة والمجلة والكتاب الذي كان يقرؤه في الماضي عدد محدود من الأفراد، يقرؤه اليوم ملايين البشر، مطبوعاً أم منقولاً عبر شبكات الحاسب الآلي المتطورة "الانترنيت". والبرنامج الإذاعي الذي كان يسمع ضمن دائرة محدودة أصبحت تسمعه ملايين البشر موزعين في مناطق متباعدة من العالم، والبرنامج التلفزيوني الذي كان حكراً على منطقة جغرافية محدودة أصبح اليوم في متناول المشاهد في قارات العالم. وتقنيات البريد الإلكتروني والفاكس أخذت تحل مكان التلكس والمبرقات التلغرافية القديمة، مما جعل الناس يؤمنون بأن تلك الوسائل تؤثر في المجتمعات وتعمل على تغييرها بشكل كبير وليس على الصعيد المحلي وحسب، بل وعلى صعيد العالم برمته وبرز الإعلام الدولي الذي عزز من مكانته وتأثيراته ووظائفه .

وللإعلام الدولي دوافعه ووظائفه المحددة يؤديها تنفيذاً للدور الذي تفرده له السياسة الخارجية للدولة أو الهيئة التي يتبع لها، وهي:

1 - الاتصال بالأفراد والشرائح الاجتماعية والجماعات والكتل السياسية والمنظمات داخل الدولة الخاضع لقوانينها أو التابع لها وتتمثل بالحوار مع القوى المؤثرة على عملية اتخاذ القرار السياسي من شخصيات وتجمعات وأحزاب وكتل برلمانية، سواء أكانت في السلطة أم في المعارضة على السواء، للوصول إلى الحد الأقصى من الفاعلية التي تخدم سياستها الخارجية.

وتخضع عملية الاتصال هذه عادة لمعطيات هامة من حيث المواقف والقضايا المطروحة قيد الحوار ومواقف السلطة والمعارضة منها والخط السياسي الرسمي للدولة حيالها. وتتراوح هذه المواقف عادة مابين المؤيد التام، والمؤيد، والحياد التام، والحياد، والمعارضة التامة، والمعارضة، والعداء التام، والعداوة، ولهذا كان لابد من تحديد دقيق للموقف السياسي للدولة، ومقارنته بالمواقف الأخرى، للعمل على كسب التأييد اللازم لصالح القضايا المطروحة للنقاش، والعمل على زحزحة المواقف السياسية المعلنة للدولة، لصالح تلك القضايا. أو محاولة خلق مناخ ملائم للحوار الإيجابي حولها على الأقل.

ويجب الأخذ بعين الاعتبار طبيعة النظام السياسي السائد في تلك الدولة، ومستوى ديمقراطية هذا النظام، وطرق اتخاذ القرارات السياسية في ظل النظام السياسي القائم، ومدى المشاركة الفعلية لكل القوى السياسية المشاركة في اتخاذ تلك القرارات.

لأن الاتصال بالجماهير الشعبية في أي دولة من دول العالم يتم من خلال تلك القوى التي تمثل النخبة المؤثرة، وهي أولاً: أصحاب الحق باتخاذ القرارات؛

وثانياً: الجماهير الشعبية، التي هي بمثابة قوة ضاغطة على أصحاب حق اتخاذ القرار.
ومن هنا نفهم مدى أهمية إلمام خبراء الإعلام والمخططين للحملات الإعلامية الدولية بالنظم السياسية للبلدان المستهدفة والقوى المؤثرة فيها سواء أكانت تلك القوى في السلطة أم في المعارضة، ودور تلك القوى في اتخاذ القرارات.
لاستخدامها في تخطيط الحملات الإعلامية المؤيدة، أم المضادة وأن نأخذ بعين الاعتبار الحقائق الاجتماعية والثقافية التي تساعد على نجاح الحملات الإعلامية الدولية.

2 - الاتصال المباشر بالجماهير الشعبية، عن طريق النشرات الإعلامية، والمؤتمرات الصحفية، والمقالات، والبرامج الإذاعية والتلفزيونية، والعروض السينمائية والمسرحية، وأفلام الفيديو، وإقامة المعارض الإعلامية، وتشجيع السياحة وتبادل الزيارات، وغيرها من الوسائل التي تتيح أكبر قدر ممكن من الصلات المباشرة مع الجماهير، للوصول إلى تأثير إعلامي أفضل وأكثر فاعلية.

وتأخذ بعض الدول لتحقيق سياستها الخارجية أسلوب مخاطبة الجماعات المؤثرة فقط، توفيراً للنفقات التي تترتب من جراء استخدام أسلوب الاتصال المباشر بالجماهير الشعبية العريضة، وتوفيراً للوقت الذي يستغرق مدة أطول من الوقت اللازم عند مخاطبة قطاعات وشرائح اجتماعية متباينة من حيث المصالح والتطلعات، ومستوى التعليم، والثقافة، والاتجاه الفكري ومزاجية تلك الجماهير العريضة في متابعة القضايا المطروحة، والمحصورة في بوتقة اهتمامات شريحة اجتماعية معينة فقط، لأن أسلوب الاتصال الفعال بالجماهير الشعبية يحتاج أيضاً لإمكانيات كبيرة ووسائل متعددة، تفتقر إليها الدول الفقيرة والنامية بينما نراها متوفرة لدى الدول المتقدمة والغنية والقادرة من حيث الإمكانيات المادية والتقنية والخبرات الإعلامية، وتمكنها من استخدام الأسلوبين في آن معاً.

3 - يمثل الإعلام الدولي الدولة أو الجهة التي ينتمي إليها، سواء أكانت محلية أم إقليمية أم دولية أم متخصصة أم تجارية، كمكاتب الأمم المتحدة ومؤسساتها المتخصصة في العديد من دول العالم، ومكاتب جامعة الدول العربية، ومنظمة الوحدة الإفريقية، والجامعة العربية، ومنظمة الأوبك، والسوق الأوربية المشتركة، ومنظمة المؤتمر الإسلامي، ومجلس التعاون لدول الخليج العربية، ورابطة الدول المستقلة، ورابطة أوروآسيا الاقتصادية، ومنظمة شنغهاي للتعاون، ومنظمة جنوب شرق آسيا، وغيرها من المنظمات الدولية والإقليمية.

ونحن عندما ننظر اليوم إلى الطريقة التي تستخدم فيها الدول الغنية كل تقنيات وسائل الاتصال الحديثة في خدمة حملاتها الإعلامية الدولية، عبر أبسط صورها المتمثلة بالقنوات التلفزيونية الفضائية، بعد انتشار استعمال الدوائر المغلقة بالكابلات، وهوائيات استقبال البث التلفزيوني عن طريق الأقمار الصناعية في المنازل. وشيوع استخدام شبكات الحاسب الآلي واسعة الانتشار، ومن أهمها، شبكة الـ "إنترنيت" العالمية التي انطلقت من الولايات المتحدة الأمريكية، وتعمل دون منافس يذكر حتى الآن، وموجات البث الإذاعي الوطنية الـ FM المؤجرة للغير. في الوقت الذي نرى فيه الدول النامية تتخبط بمشاكلها الإعلامية، وتعاني من الآثار المترتبة عن التطور التكنولوجي الحديث، والخلل الفاحش في التدفق الإعلامي الدولي أحادي الجانب والتوجه والتأثير.

مشاكل يعاني منها الإعلام الدولي في الدول النامية

ورغم الجهود الحثيثة التي بذلتها وتبذلها الدول النامية والفقيرة حتى اليوم، للخروج من المأزق الإعلامي الذي تعاني منه، نراها تتخبط بمشاكلها الإعلامية التي تزداد تشعباً وتعقيداً كل يوم، بسبب التطور العلمي والتكنولوجي الهائل في ميدان وسائل الاتصال الحديثة، ووسائل الإعلام الجماهيرية حتى على الصعيد الوطني، ومن أهم تلك المشاكل:

الخلط بين الوظيفة الإعلامية المحلية، والوظيفة الإعلامية الإقليمية، والوظيفة الإعلامية الدولية، ومتطلبات كل من تلك الوظائف وخصائصها المتميزة؛ والخلط بين السياسات الداخلية والإقليمية والخارجية للدولة عند التخطيط للحملات الإعلامية الدولية، والارتباك في تحديد الأولويات؛ وضعف أجهزة وتقنيات المؤسسات الإعلامية الوطنية، وافتقارها للمعدات والتجهيزات المتطورة، والإمكانيات المالية اللازمة للحملات الإعلامية الدولية، أو استخدامها للإعتمادات المالية المتاحة بشكل سيء، أو بشكل غير فعال لتحقيق الأغراض المطلوبة، إضافة لسطحية المساعدات الخارجية التي تحصل عليها تلك الدول من الدول الغنية، والمنظمات الدولية المتخصصة؛ والنقص الفاضح في الكوادر الإعلامية المتخصصة بالإعلام المحلي والإقليمي والدولي، وندرة أصحاب التخصص الأكاديمي بينهم، مما يؤدي إلى :
اختيار كوادر غير كفوءة للعمل الإعلامي الدولي، لاعتبارات سياسية في أكثر الأحيان، وهذا بدوره يؤدي إلى:

غياب التنسيق بين المخطط، والمنفذ، وأجهزة متابعة الحملات الإعلامية الدولية؛ وضعف الإلمام بخصائص الجمهور الإعلامي الأجنبي، وعدم إتباع

أسلوب إعلامي منطقي ملائم ومتطور قادر علىإيصال مضمون الرسالة الإعلامية للقطاعات المستهدفة من الحملة الإعلامية الدولية؛ وغياب التعاون وحتى التنسيق بين المؤسسات الإعلامية، ومؤسسات التعليم العالي المتخصصة، ومؤسسات البحث العلمي، فيما يخص إعداد الكوادر الإعلامية الوطنية والبحوث العلمية التطبيقية، وخاصة فيما يتعلق بدراسة راجع الصدى الإعلامي وتأثير المادة الإعلامية، وفاعلية الخطط الإعلامية، والاكتفاء بالبحوث النظرية البحتة التي تتناول الجوانب الوصفية والتاريخية فقط، بابتعاد عن الدراسات التي تتناول جوهر التخطيط، وتحليل مضمون الرسائل الإعلامية، وتقدير راجع الصدى الإعلامي المخطط له وراجع الصدى الفعلي للمواد الإعلامية وقدرات الوسيلة الإعلامية المستخدمة.

الإعلام الدولي والصراعات الدولية

يعاني عالم اليوم كما في الماضي من صراعات سياسية ومنازعات عسكرية عديدة، وتبقى في مقدمتها اليوم القضية الفلسطينية التي مازالت تهدد الأمن والاستقرار في منطقة الشرق الأوسط والعالم منذ مدة تجاوزت النصف قرن وأدت إلى عدة حروب مدمرة منذ قيام دولة إسرائيل بموجب قرار الأمم المتحدة رقم 181 لعام 1947 الذي قضى بإنشاء دولتين عربية وعبرية على أرض فلسطين التي كانت آنذاك تحت الانتداب البريطاني بتجاهل لمصالح الشعب الفلسطيني، وبدأت تلك الحروب بالحرب العربية الإسرائيلية الأولى عام 1948م وانتهت باحتلال إسرائيل لقسم من الأراضي المخصصة للدولة العربية في فلسطين وإعلان الهدنة، التي استمرت حتى العدوان الثلاثي الإنكليزي الفرنسي الإسرائيلي على مصر عام 1956 وانتهى بانسحاب القوات المعتدية من الأراضي المصرية المحتلة، ثم العدوان الإسرائيلي على مصر والأردن وسورية عام 1967 الذي انتهى باحتلال الجيش الإسرائيلي لشبه جزيرة سيناء المصرية وقطاع غزة الفلسطيني الذي كان تحت الإدارة المصرية آنذاك، وكامل الضفة الغربية لنهر الأردن الفلسطينية والتي كانت آنذاك تحت الإدارة الأردنية، وهضبة الجولان السورية بعد إعلان وقف إطلاق النار.

والحرب العربية الإسرائيلية عام 1973 التي خاضتها مصر وسورية مدعومة من بعض جيوش الدول العربية لتحرير الأراضي العربية من الاحتلال الإسرائيلي وانتهت باحتلال إسرائيل لمزيد من الأراضي المصرية والسورية. لتعقبها المعركة السياسية من أجل تحقيق السلام في الشرق الأوسط، والتي تكللت بتوقيع أول معاهدة سلام بين إسرائيل والعرب، وهي المعاهدة الإسرائيلية

المصرية المعروفة بمعاهدة كمب ديفيد، التي صمدت رغم الاجتياح الإسرائيلي للأراضي اللبنانية عام 1982 وعدوانها المستمر عليه، واحتلالها المستمر لجزء من أراضيه. لتبدأ عام 1991 المسيرة السلمية الشاملة في الشرق الأوسط بانعقاد مؤتمر مدريد الدولي لحل قضية الشرق الأوسط بمشاركة جميع الأطراف المعنية، وأطراف دولية أخرى برعاية الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا، وما أعقبها من اتفاقيات سلام بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل، ومعاهدة السلام الأردنية الإسرائيلية. لتعود وتصطدم الجهود السلمية مرة أخرى بالعدوان والتعنت الإسرائيلي المستمر والذي يحظى بمساندة الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها دون قيد أو شرط، التعنت الذي يحول دون التوصل لسلام عادل ودائم في الشرق الأوسط يقضي بالانسحاب الكامل للقوات الإسرائيلية من الأراضي العربية المحتلة، بما فيها هضبة الجولان السورية المحتلة، وقيام الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس الشريف.

ومن بؤر الصراع الخطيرة الأخرى في العالم، الصراع الباكستاني الهندي على مقاطعة كشمير الحدودية المتنازع عليها بين الطرفين والتي تهدد بالانفجار في أي وقت كان خاصة بعد سلسلة التجارب النووية التي نفذتها الدولتين في أيار/ مايو 1998، معلنة عن مرحلة جديدة في إطار سباق التسلح الجاري في القارة الآسيوية.
والحرب الأهلية الدامية والمدمرة في أفغانستان، التي بدأت عام 1979 ضد التدخل العسكري السوفييتي في الشؤون الداخلية لأفغانستان، وتحولها بعد ذلك إلى حرب عرقية ودينية إثر انسحاب القوات السوفييتية من أفغانستان، تلك الحرب التي هددت أمن واستقرار الدول المجاورة لها، وخاصة دول آسيا المركزية المستقلة حديثاً بعد انهيار الإتحاد السوفييتي السابق، أوزبكستان، وطاجيكستان،وتركمانستان ولها حدوداً مشتركة معها. واستمرار الخطر رغم قيام التحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية بغزو الأراضي الأفغانية والقضاء على حكومة طاليبان فيها بذريعة الهجمات الإرهابية التي تمت عام 2001 في الولايات المتحدة الأمريكية .
إضافة إلى مناطق التوتر الكثيرة التي ظهرت بعد انهيار الإتحاد السوفييتي والمنظومة الاشتراكية، كالصراع في قره باغ الأذربيجانية، والصراع في الشيشان بين روسيا الاتحادية والمطالبين باستقلال جمهورية إشكيريا، والصراع في أبخازيا المطالبة بالاستقلال عن جورجيا، والحرب الأهلية التي هدأت نسبياً في طاجيكستان، والصراع بين البوسنيين، والصرب، والكروات وألبان كوسوفو، فيما كان يعرف سابقاً بيوغسلافيا الاتحادية، والوضع الشاذ في ألبانيا التي انهارت وبكل سهولة، أجهزة وبنى الدولة العسكرية والسياسية خلال تسعينات القرن العشرين.

والصراعات الكامنة الأخرى بين الكوريتين الشمالية والجنوبية، والحرب الأهلية في الصومال والسودان، والمغرب العربي، والخلافات الحدودية الإريترية اليمنية، والإريترية الإثيوبية، والوضع المتوتر في منطقة الخليج العربي بسبب الحرب العراقية الإيرانية المدمرة، والغزو العراقي للكويت وقيام التحالف الدولي بتحرير وطرد القوات العراقية من الكويت، ومن ثم غزو قوات التحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية العراق واحتلاله وإسقاط نظام الحكم القائم فيه حتى دون قرار من مجلس الأمن التابع لمنظمة الأمم المتحدة، وتحول العراق بسبب الاحتلال إلى ساحة للصراعات العقائدية والطائفية والعرقية التي لا يحمد عقباها، وتهدد وحدة ترابه وثرواته الوطنية، وغيرها من بؤر التوتر الكثيرة في آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية، وهي بمعظمها من التركة الثقيلة للاستعمار الأوروبي الطويل في تلك المناطق.

وقد بينت السوابق التاريخية أن لكل صراع أبعاده الداخلية، والإقليمية، والدولية، وعناصر قوى يجب مراعاة التفاعلات الجارية بينها، وتأثير هذا التفاعل على تطور الصراع بشكل عام، بقصد التعامل مع هذا الصراع ومعالجته بالشكل المناسب، وهذا لا يمنع وجود عناصر مشتركة بين الصراعات المختلفة، ويمكن الاستفادة منها عند معالجة تلك الصراعات أو التعامل معها إعلامياً.

وتعتمد النتائج النهائية لأي صراع من الصراعات، على عناصر القوة المتوفرة لدى كل طرف منأطرافه، وتضم هذه العناصر القوى المعلوماتية، والعسكرية، والتكنولوجية، والإمكانيات الاقتصادية، والسياسية، والبشرية، والحالة المعنوية للقوى البشرية. وتعتمد كلها على مسائل أخرى كعنصر المفاجأة، وتطور استخدام الإستراتيجية والتكتيك، واللجوء إلى أساليب جديدة غير معروفة من قبل، مما تجعل عملية التنبؤ بنتائج الصراع صعبة جداً، وفي بعض الأحيان غير مجدية، إضافة للإمكانيات الذاتية للأشخاص القائمين على إدارة الصراع، ومدى توفر المعلومات لديهم، والتقنيات والأدوات الحديثة التي يستخدمونها في الصراع، فصانع القرار في أي صراع يبني قراره على معطيات ملموسة أولاً، وعناصر غير ملموسة تشمل الخصائص النفسية والحالة المعنوية للخصم ثانياً.

وتقتضي معالجة الصراع الاعتماد على العقلانية وبعد النظر، واستبعاد العواطف والانفعالات، لأن عملية معالجة أي صراع هي عملية معقدة وشاقة، ونابعة أساساً من عناصر القوى المشاركة فعلاً في الصراع من الجانبين أو من قبل الأطراف المتصارعة، أو المعنية بالصراع، مبنية على الحسابات الدقيقة والخطط الموضوعة والمستخدمة فعلاً من قبل طرفي أو أطراف الصراع.

وتتنوع أدوات الصراع، عندما تقتضي ظروف الصراع اللجوء إلى القوة العسكرية تارة، وإلى القوة الاقتصادية تارة أخرى، أو إلى العمل السياسي والدبلوماسية الهادئة في حالات أخرى، أو قد يلجأ الجانبان المتصارعان إلى استخدام القوة العسكرية، والاقتصادية، والسياسية، والدبلوماسية في آن معاً، مستخدمين المرونة في تكتيك إدارة الصراع وفقاً لطبيعة الظروف المتبدلة محلياً وإقليمياً ودولياً .

ويبقى دور الإعلام الجماهيري في عملية الصراع متمثلاً بتعبئة الرأي العام المحلي والإقليمي والدولي حول وجهة النظر الرسمية للدولة من الصراع الدائر وشرحها وتغطية أخبار أهم أحداثها تباعاً. وشرحوتحليل أبعاد هذا الصراع وأسبابه، مع مراعاة أن يأخذ خبراء الاتصال والإعلام والصحفيين بعين الاعتبار، خصائص الجمهور الإعلامي المخاطب ثقافياً وسياسياً وتاريخياً، ومدى تعاطفه مع وجهة النظر الرسمية للدولة المعنية في هذا الصراع، واختيار اللغة المناسبة للرسائل الإعلامية لتصل إلى أقصى حد ممكن من التأثير والفاعلية، لأن السلاح الإعلامي في أي صراع كان ولم يزل لا يقل أهمية عن القوة العسكرية والاقتصادية، لأنه الوسيلة الناجعة لرفع معنويات القوى البشرية في الدول المعنية، وتحطيم الروح المعنوية للخصوم في الصراعات الدائرة، مع التأكيد على أن الإعلام الناجح هو السند القوي في الكفاح على الجبهة السياسية والعمل الدبلوماسي الهادئ والرصين والمنطقي.

الإعلام الدولي يسير في فلك السياسة الخارجية

حينما نبدأ القول بـ «الإعلام الدولي والسياسة الخارجية» فإنه يدلل للوهلة الأولى على أنهما موضوعان منفصلان قائمان بذاتهما، ولكن دراسات الاعلام الدولي تشير إلى غير ذلك، وتبين بوضوح أن الإعلام الدولي يسير في فلك السياسة الخارجية التي تتبناها الدولة وهو إحدى وسائل تنفيذها.

والإعلام الدولي باعتباره المحرك والمغير لكثير من السياسات والنظم على الساحة الدولية هو موضع دراسة وبحث لدى الكثير من الباحثين الذين يحاولون إيجاد تصور شامل وعميق لهذا المفهوم، وتفسيره وربطه بالمستجدات والوقائع التي تحدث على المستوى الدولي ومدى تأثيره على العلاقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية بين الدول.

ويمكن تعريف الإعلام الدولي بأنه الإعلام الموجه والمقصود الذي تبثه دولة ما ليتخطى الحدود الدولية ويصل إلى الجمهور الخارجي ويهدف إلى توفير مناخ عام لدى الرأي العام الأجنبي مساند للدولة التي تقوم بالإعلام الخارجي في مواقفها وتعريف شعوب العالم بالواقع الثقافي والفكري والحضاري لهذه الدولة لتفسير

وجهات نظرها السياسية بالنسبة إلى المشكلات والقضايا الدولية والاقليمية والمحلية ومساندة سياسيتها الخارجية. ومن هنا فإن الإعلام الدولي مرتبط بشكل مباشر ووثيق بطبيعة السياسات الخارجية التي تتبناها الدول، وهو يتشكل ويأخذ حجمه وثقله وأبعاده وممارسته على ضوء ما يتسع لأفق السياسة الخارجية من نهج ورؤية سليمة يكون فيها الإعلام الدولي هو أحد وسائل تنفيذ السياسة الخارجية من بين عدة وسائل أخرى حيوية تلعب دورا مهما في بناء العلاقات الدولية داخل المجتمع الدولي.

ولقد وعي الساسة الكبار بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية الدور الخطير الذي يمكن أن يؤديه الإعلام الدولي لصالح الكيانات السياسية ونجحوا في توجيه العمل الإعلامي نحو تمرير المخططات السياسية العالمية عبر شن الحروب النفسية ضد مناوئيهم ولعل أبرز مثال على ذلك الحرب الباردة بين الكتلتين الشرقية والغربية، وما يسمى اليوم بـ «الحرب العالمية ضد الارهاب» التي تقودها الولايات المتحدة الأميركية.

ونحاول عبر هذه المقالة العلمية المكثفة التعرف عن قرب موضوع الإعلام الدولي والسياسة الخارجية وتقديم شرح واف لطبيعة العلاقة بينهما والأطر والعوامل التي تؤثر فيهما وتحكمهما، وتأثير ذلك على السياسات الدولية في ضوء الحوادث العالمية الكبرى التي تعصف بالعالم بين الحين والآخر، وهي بالتأكيد أحد افرازاتهما ونتاج مخاضهما على المدى القريب.

تظهر الكثير من القراءات الإعلامية أن مجال الإعلام الدولي وثيق الصلة بالسياسات الخارجية وهو مجال خصب تطور مع وسائل الاتصال الجماهيري بداية القرن الماضي، وظهور وكالات الأنباء العالمية التي تقوم بدور كبير في هذا المجال. وتناول الممارسات الاعلامية الدولية في اطارها المرتبط والمتصل بالسياسات الخارجية يكشف لنا الكثير في هذا الجانب الحيوي والخطير والمؤثر في رسم الخريطة الدولية.

وما يتبعه العدو الإسرائيلي من ممارسات إعلامية دولية موجهة ضد الفلسطينيين من تشويه للحقائق ورسم صورة زائفة للحوادث والوقائع على الأراضي الفلسطينية وما يمارسه من انتهاكات انسانية يظهر من خلالها المواطن الإسرائيلي للمجتمع الدولي بأنه مسلوب الحق ويمارس ضده العنف والارهاب.

وأشار التقرير الذي أعده الباحث فايز أبورزق من المركز الصحافي الدولي في الهيئة العامة للاستعلامات بغزة إلى ان المراسلين الاسرائيليين يعتبرون في تقاريرهم عمليات الاجتياح للمدن الفلسطينية من قبل الجيش الاسرائيلي أنها

«نشاطات عسكرية» لمكافحة ما أسموه «الإرهاب الفلسطيني»، فأصبح من العسير على المتابع للتقارير الإخبارية الإسرائيلية أن يعرف الفرق بين عبارات المراسل وبين عبارات الناطق العسكري. وتطرق التقرير الى تناول الاعلام الاسرائيلي بشكل مبرمج خطط السلام المزعومة لجنرالات الحرب الإسرائيليين. ونبه التقرير إلى أن التلفزيون الإسرائيلي باستخدامه تقنية الصورة، بث الرعب والإحباط وخلق نوع من البلبلة وتداول الاشاعات لسكان محافظات غزة من خلال بثه صورا متكررة لعشرات الدبابات الإسرائيلية، ومئات الجنود الإسرائيليين وهم يجهزون عدتهم وعتادهم بغرض اجتياح غزة. وهي واحدة من ضمن مئات الأساليب التي يستخدمها الإعلام الاسرائيلي الموجه للساحة الدولية وهو تنفيذ للسياسات الخارجية التي يتبناها الكيان الصهيوني.

واستخدم الإعلام الدولي في أغراض سياسية أدت إلى أزمات سياسية، إذ يعرض على سبيل المثال فيليب جايلين في مؤلفة (الإعلام والسياسة الخارجية) أمثلة كثيرة شهدتها أميركا في إطار الحرب الإعلامية، ويذكر أن مصادر متنوعة أوردت بأن هناك أسطورة تقول: «إن أصحاب الصحف من تجار الحروب قد ألهبوا مشاعر الجمهور ودفعوا الولايات المتحدة إلى الحرب الأميركية الإسبانية». ويضيف جايلين أن السجلات المؤرخة لتلك الحرب تكشف أن تيودور روزفلت نفسه قد حرض أصحاب الصحف خدمة لأغراضه الخاصة فيما يتعلق بغرق البارحة (مين) في ميناء هافانا في ظروف كانت بعيدة في قدرة الصحف على التحقق منها في ذلك الحين. ويذكر أيضا حوادث خليج تونكين الشهيرة التي استغلها الرئيس الأسبق ليندون جونسون بصورة مماثلة لينتزع من الكونغرس قرارا يمنحه سلطة جارفة لتوريط الأمة الأميركية في حرب فيتنام.

ونرى أيضا في حرب الخليج الثانية كيف أن السياسة الخارجية الأميركية استخدمت الإعلام الدولي بشكل فعال لحشد الرأي العام العالمي ضد العراق وروجت لقرار الحرب عبر استخدام الدعاية الصريحة والدعاية الرمادية التي كانت بارزة في هذه الحرب ومنها حملات التلويث الإعلامية التي صاغتها مؤسسات الدعاية المملوكة من قبل اليهود بشكل عام.

ولا يخفى على أحد أن الإعلام الدولي يقوم بدور كبير في تشكيل الرأي العام الأميركي والعالمي بشأن مفجري الحوادث في 11 سبتمبر/ أيلول مثلما ساعد في رسم صورة العدو وساحة المعركة. والسياسة الخارجية الأميركية كمثال لأقوى دولة في العلم نجد أن ما تمارسه من عمليات اعلامية يروج لفكرة انهيار الأبراج الأميركية على أنها تراجيديا إنسانية عالمية قام بتنفيذها بعض الارهابيين الذين ينتمون إلى الدين الاسلامي، ثم استغلت أجهزة الإعلام الأميركية هذا بشكل واسع

النطاق لتشن حملة ضد الإسلام والمسلمين بهدف تشويه واضعاف موقفهم. ووجد أن للتقارير الإخبارية المتلفزة وغيرها من النشرات الإعلامية آثارا كثيرة في نظرة الناس ومواقفهم تجاه ما يحدث حولهم.

ونشير إلى أن وكالة الإعلام الأميركية التي أنشئت بعد الحرب العالمية الثانية كمركز أعلامي للتواصل مع الشأن الداخلي والعالم الخارجي عن طريق اتصالات وأنشطة هذه الوكالة التي قامت بإعداد بحوث كثيرة كشفتها مصادر عدة أهمها ما نشرته احدى الصحف سنة 1986 نقلا عن برلماني ألماني أنها (وكالة لصنع قصص تلويث الرؤساء والدول وأردفت هذا الكشف بـ 150 مؤسسة إعلامية وغيرها مرتبطة بها) مشيرة إلى أن هذه الوكالة كانت مستقلة حتى جاء ريجان وربطها به بشكل ما، إلا أنها بقيت مستقلة عن المخابرات والكونغرس الذي يمولها. ومن ضمن ما ورد في هذه الكشوف أيضا أن وكالة الأسيوشيتد برس وصندوق النقد الدولي ومركز دراسات الشرق الأوسط في دولة عربية وصندوق النقد الآسيوي وصوت أميركا وغيرها مما هو أخطر.

الإعلام الدولي هو إحدى الوسائل الفعالة لتنفيذ السياسة الخارجية للدول، والاحاطة بأبعاده هو قيمته ومدى قوته أو ضعفه يعكس الحالة التي المستوى الذي وصلت إليه الدول من تقدم أو تأخر حضاري. واستيعاب العمل الاعلامي على الصعيد الدولي لا يتحقق إلا عن طريق الدراسة المتأنية للأوضاع الدولية والممارسة الإعلامية التي تربط بين توجهات الدول ومساعيها في السياسية الخارجية والقدرة على التأثير في الرأي العالمي عن طريق وسائل متعددة يكون بينها الاعلام الدولي الأكثر تأثيرا

الأثر الإعلامي واستراتيجـيات القرار السياسي

تعريف

هذه الدراسة تسلط الضوء على أهمية الإعلام بالنسبة للتأثير في الرأي العام، وما يعنيه الشأن من اتخاذه سلاحاً مضاف إلى عتاد الحرب، التي تستخدمها الولايات المتحدة الأمريكية في حروبها العديدة، إلا أن هذه الدراسة قد تمحور حديثها حول الفعل الإعلامي وردود الفعل لحادثة 11 سبتمبر 2001م. بما يفسح المجال لإدراك مدى العلاقة المطّردة ما بين القرار السياسي والدور الإعلامي، وما تلعبه طبيعة هذه العلاقة من أدوار مزدوجة في صناعة الأحداث والمشاهد، ولو أدى لاتخاذ أساليب الخديعة والتضليل امتثالاً للقرارات السياسية والعسكرية.

إذ ليس من الجديد ما تطرقت إليه هذه الدراسة إزاء قياس مدى التجاذب الإيجابي والسلبي معًا بين السياسة من جهة والإعلام من جهة أخرى، إن لم تكن

هذه الأخيرة قد انزلقت عن موضوعيتها وحياديتها عند نقل الحدث وأثناء تبادل المعلومة إلى صناعة الخديعة والتضليل وتزييف الحقائق، لتكون أداةً طيّعة للأجندة السياسية، وهذا ما تشير إليه الأحداث الواقعة عندما أعلن بوش الابن الحرب على أفغانستان والعراق، كردة فعل على حادثة 11 سبتمبر، بعد أن أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاؤها برنامج «الحرب على الإرهاب»الذي تحوّل إلى عصًا غليظة يتم إشهارها في وجه كل من يُفكر في استعداء الإمبراطورية الأمريكية!، إذ يصبح الإعلام هو المؤشر للنوايا السياسية والتعاطي بأي كيفية مع الأزمات؛ كلٌّ حسب طبيعتها وخصوصيتها، والدراسة هذه حاولت أن تؤسس إلى فكرة أن الإعلام لم يكن رافعة الحروب الأمريكية فحسب، بل أيضًا كان ملازمًا للدبلوماسيّة وإدارة الصراعات، بل وكان العامل المساعد دومًا قبل وبعد أي خطوة تنوي الإدارة الأمريكية القيام بها .

وقد أولت هذه الدراسة اهتمامًا بالغًا للأخذ بعناصر البحث العلمي في مجال التخصص نفسه، فلا مندوحة إن شهد مسار هذا البحث ما يؤسس إلى نظرة خاصة بالإعلام بوصفه حجر الزاوية للبحث ومدى علاقته بالسياسة؛ للخوض في تخصيص كل ما يتعلق بالجهة التي تدير مثل هذه اللعبة السياسية الإعلاميّة، سواء على الصعيد الداخلي الأمريكي أو الخارجي منه، لتضع يدها على أهم الوثائق والتصريحات الصحافيّة التي بإمكانها البناء عليها ومعرفة من يقف وراء العديد من القرارات السياسية للإدارة الأمريكية. بعد أن تغلغل «اللوبي الصهيوني» في الوسط الاجتماعي الأمريكي، واستحوذ على أبزر نقاط التأثير من خلال منظومة علاقات واسعة مع الجهات المتنفذة على كافة المستويات، الدينية والسياسية والاقتصادية والدبلوماسية والإعلامية، فالكنائس ليست وحدها محل استهداف!؛ بل كل المواقع التي بإمكانها أن تصنع رأيًا مؤثرًا أو قرارًا سياسيًّا.

في حين أن الدراسة أشارت إلى أبرز البرامج والخطط المؤثرة في قرار الكونغرس الأمريكي، من خلال جماعات الضغط اليهودية التي تمتلك معظم الرساميل المالية لأهم الشركات ذات الاهتمامات الحيوية المتعددة، والتي بإمكانها التأثير في الاقتصاد الأمريكي فضلاً عن العالمي، ناهيك عن سيطرة مثل هذه الجماعات الضاغطة على أبرز وسائل الإعلام المرئية والمقروءة والمسموعة، لتؤكد اصطفافها إلى كل ما يخطط إليه «اللوبي الصهيوني» على الصعيدين الداخلي والخارجي للسياسية الأمريكية. وقد تطرّقت الدراسة إلى الأدوار التي لبعتها الميديا الأمريكية في الحربين اللتين خاضتهما أمريكا تجاه أفغانستان والعراق، مع عدم إغفال الحراك الإعلامي الموجّه الذي سبق هاتين الحربين أيضًا، الأمر الذي ساهم بل سهّل تبرير حدوثهما، بعد عمليات مكثفة؛ ضُخ عبرها

الكثير مما يشير إلى تعبئة الرأي على المستويين الخاص والعام، وبالتالي صناعة القرار السياسي حسب المخطط له.

وبالإشارة إلى ما بالإمكان أن يلعبه اللوبي الصهيوني أفرد الباحث فصلًا خاصًا فيما يتعلق بهذا المجال، مُسلطًا الضوء على أهم الأوراق الضاغطة التي بالإمكان استخدامها في حماية المشروع الإسرائيلي في الشرق الأوسط، الأمر الذي يستدعي اللاعب المهم في مثل هذه الممارسات. وهنا تجدر الإشارة إلى مدى ما يُشكله المحافظون الجدد من ممارسات ضاغطة تصب في خدمة المشروع الإسرائيلي وأطماعه في المنطقة. وإسرائيل لم يكن احتلالها لفلسطين أو بعض الأراضي كافياً لإشباع نهمها، بل إن ذلك يعتبر خطوة أولى من خطوات ما تزال مكتوبة من جملة قائمة مخططاتها، الأمر الذي لا يُخرج الحراك الدبلوماسي أو السياسي أو حتى العسكري عن كل تلك البرامج والمخططات!. وهذا ما أكده البحث: بأن إسرائيل كان لها اليد الطولى في ممارسة الضغط للتعجيل بقرار الحرب الأمريكية على العراق، بل لا وجه للمبالغة إن ثبت ما يدينها في الاشتراك جنباً إلى جنب مع قوات التحالف الغربية !.
كما جاءت الدراسة بطرح العديد من التساؤلات التي تتعلق بالاحتكارية للإعلام من قبل الغرب، على الرغم من تعدد ميادين العمل بالنسبة للمنظومة الإعلاميةّ، كذلك الأسئلة المتعلقة بمدى التلازم ما بين الرؤى الاستراتيجية والإعلام كمنظومة أداء وعمل، مما استتبعت الدراسة سؤالًا نراه جديرًا بالأهمية حول تصحيح مسيرة الإعلام العربي وتأهيله بحيث يكون منافسًا ومناجزًا للإعلام الغربي، كما اقتطعت الدراسة جزءًا يسيرًا من التجربة العربية للإعلام إبَّان الحرب الأخيرة في العراق؛ حتى أصبح الإعلام الغربي يستمد بعض أخباره ومواده الإعلامية من خلال بعض القنوات العربية.!

وقد تبين من خلال هذه الدراسة أن ما تم تحقيقه من خلال محاولات عديدة قام بها الإعلام الغربي في دعمه للأجندة السياسية، وبالرغم من حجم النجاح الذي أثبته في الحربين على أفغانستان والعراق، إلا أن البحث رصد حالات عديدة من الإخفاق المستتبع بالإخفاق العسكري، وقد لامسنا ذلك عندما أشارت الدراسة لما يشي بالتورط الأمريكي في العراق، فضلاً عن أفغانستان مع الفارق، بل إن ثمة ما يشير إلى لوازم الانسحاب من العراق لولا الخشية من العواقب الاستراتيجية، فضلًا عن العجز من عدم تحقيق الأهداف المرجوّة، إضافة للهزيمة العسكرية المذلة التي مُني بها الجيش الإسرائيلي في لبنان ودور الإعلام المقاوم في فضح الممارسات الإسرائيلية فيما يتعلق بلبنان أو فلسطين على حد سواء.

واللوبي الصهيوني ما كان له أن يحقق نجاحات معينة لولا ارتكازه أساسًا على قاعدة حيوية متكاملة تتمتع بقدر كبير النفوذ المستند إلى الاستقرار الاقتصادي والسياسي والاجتماعي، فضلًا عن تأمين كل ما من شأنه أن يوفر الحماية بشكل دائم أمام الاهتزازات المفاجئة، وقد أولت الدراسة اهتمامًا للدور الإعلامي الذي ولاشك عزز من عوامل البحث عن طرائق وسبل تساهم في إيجاد فرص عديدة للتأرجح على أحبال النجاح، بمعنى أنه مهما كان حجم الانتكاسات السياسية أو العسكرية تظل في حالة بحث عن مهام تعويضيّة إن لم تكن بالحجم الذي يجعلها صامدة فلا شك في أن ذلك يجعلها محافظة على صورتها وهيبتها .

ولا غرو في المقابل الإشارة لشيء من حالات الإرباك أو الإخفاق للتجربة الإعلامية العربية حين اتصالها بالحدث والمشهد اليومي، والذي يعود لأسباب عديدة من أبرزها عدم الاستقرار السياسي الذي ينعكس على تخبط اقتصادي وربما اجتماعي، فلا غرابة إن رسم الإعلام العربي لنفسه خطًّا مغايرًا لما هو عليه المنهج السياسي العام.

مشكلة البحث

تكمن مشكلة البحث في مدى قدرة الآلة الإعلامية الأمريكية على اختطاف الحقيقة بكل تفاصيلها، وليس هذا فحسب، بل والمباشرة في ضخ التشويشات وتعمية الحقائق، وكل ذلك وتكون الشعوب ضحيّة لموجات من الأخاديع والأضاليل، يحدث هذا في ظلِّ عجز إعلاميٍّ عربيٍّ على الرغم من الامتيازات اللافتة للاهتمام التي أحدثها الإعلام العربي مع مطلع القرن الواحد والعشرين، لا سيما أنه أثبت الشيء الكثير من المنافسة أو المناجزة في الحرب الأمريكيّة على العراق، بيد أنه لم يصل الأمر به إلى مكانة تجعله في أفق مجارٍ لمنظومة الصناعة الإعلامية الغربية، وهنا يكمن الفارق في التأثير والتحكم في صناعة القرار السياسي، ومن هنا يأتي البحث ليدفع باتجاه العمل بمزدوجين اثنين: المنظومة الإعلامية الأمريكية المؤثرة في مقابل الإعلام العربي الهش والهلامي والذي ما يزال فاقدًا لأبسط الأمور المناعيّة إزاء تحديات العولمة .

وقد اتخذ البحث محاور عدة جاءت ترجمتها في محاولة الإجابة عن تساؤلات جدُّ مهمة استطاع البحث من خلالها التزام مسار الأهداف التي وضعت من أجله، ومن أبرز هذه الأسئلة:

السؤال الأول: ما هو الأثر الاستراتيجي للصناعة الإعلامية الأمريكية؟

السؤال الثاني: ما هو دور نظريات التأثير الإعلامي التي يعتمدها الإعلامي الأمريكي لتضليل وخداع شعوب العالم العربي والإسلامي؟

السؤال الثالث: ما هي الطرق والأساليب التي يعتمدها الإعلام الأمريكي لتمرير كل مخططاته ومشاريعه؟

السؤال الرابع: ماذا يعني تجاذب الإعلام والسياسة والعكس وما وجه التماهي ما بين الإعلام العربي والمشروع الأمريكي؟

السؤال الخامس: كيف يُناجز الإعلام العربي الإعلام الأمريكي من حيث التأثير، وأين يجد نفسه قبال الإعلام المعولم؟
معالجات وتصورات

وأعتقد بأن البحث بذل ما في الوسع للإجابة عن هذه الأسئلة؛ ولو أنه قد تناول جملة من الأفكار التي ولاشك إن لم تجب بشكل مباشرة عنها إلا أنها ساهمت في بلورة رؤى عديدة ومختلفة من شأنها وضع حلول ربما تساعد على إيجاد إجابات دقيقة ومحددة، ومن جملة ما تطرقت إليه من محاور: (الإعلام الأمريكي وتداعيات 11سبتمبر 2001م)، أيضًا (أثر اللوبي الصهيوني في صناعة الإعلام)، كذلك (الإعلام والسياسية.. من يقود الآخر)، وهناك أيضًا (التضليل الإعلامي وأثره في التعتيم على الحقيقة)، ثم أخيراً سيكون المحور الأخير عن (الحرب الأمريكية على الإرهاب.. العراق نموذجًا). وتداعيات أخرى لها تمام الصلة بواقع الحال في العراق المحتل أمريكيًّا.

وإذ يهدف البحث إلى بناء تصور موضوعي تجاه المنظومة الإعلامية - الأمريكية على وجه التحديد- ومدى تساوقها واستراتيجية القرار بعد حادثة 11 سيتمر، ومحاولة تبيان الأثر الناجم عن طبيعة العلاقة بينهما، وذلك بالاعتماد على الأبرز من حيث التجاذب الإعلامي تناوله الإعلام بوسائله المتعددة، حيث يكشف البحث النقاب عن الوسائل والطرق التي يسلكها الإعلام الأمريكي ومدى تكييفه حسب الاستراتيجية المتبعة من قبل البيت الأبيض، ويتتبع البحث الفترة التي أعقبت حادثة نيويورك 2001م سواء فيما يُعنى بالمخطط الإعلامي أو بالقرارات الاستراتيجية ومدى تلازمهما كمسارين مهمين في الحروب التي خاضتها الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاؤها في أفغانستان أو العراق، إذ لا يستثني البحث عملية الإحصاء لحجم الدعم المادي والمعنوي المستمرين للكيان الصهيوني سواء فيما يتعلق بالملف الفلسطيني أو سائر الملفات المشتعلة الأخرى في لبنان أو سوريا. ومن جهة أخرى حاول البحث أن يضع النقاط على الحروف تجاه اللوبي الصهيوني وتنفذه في الواقع الأمريكي بل وإحكام قبضته على السياسة الخارجية لأمريكا خاصة فيما يعنى بمنطقة الشرق الأوسط، بذلك يحاول البحث رصد الأثر الإعلامي قبل وأثناء وبعد المخطط الاستراتيجي وانبثاقاته المتعددة على مختلف الأصعدة العسكرية أو السياسية أو الدبلوماسية والاقتصادية.

أهميّة البحث

وتكمن أهمية البحث في تسليط الضوء على الصناعة الإعلامية الغربية المضللة ومدى تطويعها وفق المصالح الاستراتيجية للمنظومة الغربية والأمريكية بالذات ومدى تأثيرها في الواقع العربي والإسلامي وكافة دول العالم الثالث، ولا شك في أن مثل هذه السياسات الازدواجية تأتي في الوقت الذي لا يتم الاعتراف إلا بالهيمنة والسيطرة أيضاً لا تقر بالضعفاء للانضواء لعالمها المهووس بالبروغماتية، فلا جدال إن جاءت مخرجاتها ومخططاتها متلونة حسب مقتضياتها بالتالي تتعدد الأقنعة التنفيذية من قُطرِ إلى آخر، ومن فضاء جيوسياسي إلى آخر. فهي لا تستهدف معنىً واحدًا بل معانيَ تتشابك فيها العناوين العديدة سواء التي تتصل بالتمييع أو التضليل، ولو أن أهميّة البحث تتمحور فيما يتلق بالتضليل الإعلامي الذي بات يُستخدم أداةً للقهر كما عبّر بذلك «هربرت شيللر»، وأردف بالقول بأنه –التضليل الإعلامي– «عملية إخضاع للجماهير العريضة لرأي الأقلية التي تحكم وتحرك خيوط الرأي العام باتجاه ما تشاء وحين تشاء.

قد اقتضت طبيعة هذا البحث أن يتساوق والمنهج الوصفي للأحداث فضلاً عن استجابته للمنهج التأريخي في أحيان كثيرة، وقد تجلّى ذلك في عناوينه المتعددة الأبعاد. ففي الفصل الأول (مدخل تأسيسي إلى طبيعة الإعلام الأمريكي بعد أحداث 11 سبتمبر)، ويندرج منه أربعة مباحث، الأول: الإعلام الأمريكي وأحداث 11 سبتمبر. والثاني: الإعلام الحر بين التضليل والمصداقيّة. والثالث: مركزيّة الإعلام الغربي وقولبة المفاهيم. والرابع: المؤثر السياسي والأثر الإعلامي. أما عن الفصل الثاني الذي يُعنى بـ(اللوبي الصهيوني وصناعة الإعلام السياسي)، ويندرج منه خمسة مباحث، الأول: اللوبي الصهيوني والنفوذ الإعلامي. والثاني: اللوبي الصهيوني وصناعة الرأي العام. والثالث: اللوبي الصهيوني بين الدبلوماسيّة والقوة. والرّابع: المحافظون الجدد والمشروع الإسرائيلي. والخامس: الأثر الإعلامي في صناعة قرار الكونغرس الأمريكي. أما عن الفصل الثالث والأخير فقد خُصص لـ(الحرب الأمريكيّة على الإرهاب.. العراق نموذجًا) وعلى الرغم من أن البحث ينحو باتجاه المنهج الكيفي غير المهمل للمنهجية الكمية في الوقت نفسه، إلَّا أنه حاول أن يرسم خطوات حثيثة باتجاه الطابع الوصفي -كما هو الحال لمعظم البحوث التي تتناول مثل هذه المواضيع الخاصة- في أحيان كثيرة بالإضافة للطابع التأريخي خاصة إذا ما تعلق الأمر وارتبط بالرؤى المتعددة؛ السياسية والعسكرية والاقتصادية، وليس ثمة من تزكية إذا ما تضمن بعض الحيثيات حالات من الانتقائية المقصودة حسب ما تقتضيه أهداف هذه الدراسة، ولو تجلى ذلك في مشاهد أشبه ما تكون باللقطات المصورة. الأمر الذي يدعونا ألَّا نساهم في صناعة

الصور المتقطعة، بقدر ما هو المقصد في رسم تصور شامل يجمع أزمنة الحدث (تداعيات حادثة منهاتن نيويورك). أما بالنسبة للاعتبار الزمني فالبحث يجبرنا للأخذ بالزمن الأحادي الذي أشبه ما يكون بلقطة فوتوغرافية يطبعها البحث ويبدأ في توصيفها وتحليلها، وأعتقد بأن البحث قد أرتكز على الفترة التي أعقبت أحداث سبتمبر 2001م.

وبصراحة شديدة ورد في البحث العديد من المصطلحات التي تسترعي الوقوف عندها بالتعريف والتوضيح، وهذا ما كان محل رهان إلى أبعد الحدود، مع ذلك اقتفى البحث أثر المستحق منها، خاصة والبحث ما يزال حديث الساعة لما له من تلازم مع الواقع في احتلال قوات التحالف للعراق، بالتالي تستمر الأحداث بتطور الأمور على الواقع، إضافة لذلك المشاريع الاستراتيجية الكبرى التي وإن تغايرت مع سيناريوهات السياسية القصيرة المدى فإنها بالتأكيد تبقى كما المرويات الكبرى التي هي رهان مستمرة بل ومؤبدة!

1. الصناعة الإعلامية: يقصد بذلك تسخير كل الوسائل الإعلامية من (إذاعة، تلفزيون، فضائيات، سينما، مسرح، صحافة، إنترنت..) لغرض احتكار المعلومة والسيطرة عليها بل وتوجيهها حسب مواد إعلامية مفبركة تتساوق مع التضليل والخداع، ولا غرو أن ورد في الاعتبار العلمي صيرورة هذه الأدوات الإعلامية ووسائل الاتصال شرًّا يقتحمنا -أفراداً وجماعات- بشراسة دون استئذان. وهي ولا شك تحمل في مضامينها أبعادًا غير محسوسة وغير مباشرة إذ من غير الممكن التقليل من شأنها أبدًا.
2. التضليل الإعلامي (=الفبركة): التضليل Manipulation يعني التأثير في شخص أو جماعة أو هيئة أو أمة بطريقة تنطوي على التمويه والخداع والتلاعب. إذ الخطورة تكمن في تغييب الصورة الذهنية لدى المخدوعين بالتضليل إلى درجة شعورهم بأن الواقع المضلل هو الواقع الحقيقي، وقد عبر عن ذلك هربرت شيللر (إن التضليل الإعلامي يقتضي واقعاً زائفاً هو الإنكار المستمر لوجوده أصلاً.
3. التمرير الإعلامي لأجندة السياسية الأمريكية (=مشاريع الهيمنة الأمريكية على العالم العربي): هي عبارة عن مبادرات متوالية وتسويقها لدى الشعوب تحمل طابعًا يغلب عليه لغة الهيمنة سواء عبر أجندة استراتيجية عسكرية أو ضربًا من الفروض العقابية المختلفة فضلاً عن صور التدخل المباشر وغير المباشر.

4. وهناك العديد من المصطلحات يتطلبها البحث، سيكون محلها الهامش للبحث نظرًا لكثرتها فضلاً عمّا تتضمنه من أهميّة إعلاميّة كبرى؛ لذا أصبحت محل نظر وأهمية بالنسبة لهذا البحث.

التوظيف الإعلامي وأبرز المشاريع الإمبريالية الأمريكية

أ- مشاريع الثنائية الدولية أي ما قبل تفكك الاتحاد السوفيتيمشروع ترومان عام 1949م الذي يضمن إمكانية تقديم المساعدات إلى دول العالم العربي الواقعة تحت النفوذ الغربي.

مشروع القيادة الرباعية للشرق الأوسط 1951م الرامي لعقد تحالفات سياسية وعسكرية مع دول المنطقة.

مشروع الشرق الأوسط بعد أن عمل الإعلام الأمريكي على فرضه بديلاً عن مسمى العالم العربي والإسلامي.

مشروع قيادة الشرق الأوسط العسكرية عام 1953م الذي جمع بعض الدول العربية وبعض دول الجوار في آسيا -إيران وباكستان وتركيا- إضافة إلى الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا.

مشروع أيزنهاور عام 1957م ليعبر عن واقع سياسي إقليمي دولي جديد بعد فشل العدوان الثلاثي على مصر 1956م.

ب- مشاريع القطبية الواحدة المتمثلة في أمريكا كقوة عالمية عظمى مشروع الشرق الأوسط الكبير، يمتد حسب التصور الأمريكي من باكستان إلى المغرب.

مشروع الشرق الأوسط الموسع (=الجديد) والذي حمل عنوان «الحرب على الإرهاب». ابتدأت بالحرب على أفغانستان، ثم غزو العراق، وتواطؤ أمريكا مع الكيان الإسرائيلي في عدوانها على لبنان، وفي احتلالها لفلسطين. وقد تولد من هذا المشروع أساليب عديدة ومن أهمها: اتِّباع منهج الفوضى الخلاقة (creative chaos)وإشعال نار الفتن بين طوائف الأمة لتجزئتها بما يخدم المصالح الصهيوأمريكيّة «فرّق تسد»، وقد ساهمت الآلة الإعلامية الأمريكية في دق الأسافين؛ كل ذلك من أجل تمرير العديد من الأجندة السياسية الذرائعيّة والخارقة للأنظمة والقوانين الإنسانية. مع ملاحظة أن من المحاور الرئيسة والتي يقوم عليها البحث هي تداعيات المشروع الأخير -الشرق الأوسط الجديد ومتطلبات الإعلام في الحرب على الإرهاب- نظراً للدور الكبير الذي لعبه الإعلام في ذلك وما يزال، لا سيما وموجة الإرهاب تأخذ وتيرتها المتصاعدة من مشهد الحياة اليومية التي يعيشها العالم الإسلامي والعربي بالذات .

ويأتي هذا البحث في ظل التوسع الملحوظ في معظم الدراسات والبحوث المتخصصة والتي عُنيت بمثل هذا الموضوع والتي وإن حاولت أن تعقد علاقة وطيدة ما بين الإعلام والسياسة فإن معظمها قد تناول ذلك بشكل عام وعبر مشاهد وأحداث متفرقة، لذا قد يكون هذا البحث ساهم في توضيح العلاقة ما بينهما لا سيما واختياره للسياسة الأمريكية كمركزية له من واقع الفعل الإعلامي الأمريكي نفسه. ولو أن هذا البحث على صلة بموضوع التسخير الإعلامي وفق أجندة السياسة خاصة وحديث -البحوث الأخرى- يستطيل مع المشاهد السياسية الحيّة، إذ تتمظهر حسب عناوين عديدة بواقع مشاريع سياسية تحمل الخلاص للشعوب عبر شعارات الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان وغيرها، ولو أنها تستبطن في الوقت نفسه القتامة وعدم الوضوح.!

بهذا لا ينفصل هذا البحث عن تلكم القاطرة -الكم من البحوث- من حيث الشكل والتوصيف ولا مع حيث المضمون أيضاً، فمعظم البحوث -برغم قلتها- التي جعلت من مثل هذه الأفكار محورًا للمناقشة إلا أنها لم تخلص في نتائجها إلى ملامسة الواقع بصورته كما هو، وإذ بنا نقترب ومن خلال هذا البحث المكثف إلى إعطاء صورة واقعية في متابعة المشهد السياسي الذي يتوالد للتو، والتي من شأنها أن تضخ بشكل مكثف العديد من التساؤلات المثيرة للجدل بالنسبة لما هو عليه من الإعلام العربي الراهن، ولربما يسهم هذا الأمر في أن يضع تأسيسًا جديدًا يتغاير مع طبيعة القوالب التقليدية التي تندفع باتجاه المشهد بشكل درامي أكثر منها نتائج علمية؛ كاشفة عن حجم الأزمة الإعلاميّة ومدى تورطها بالمشاريع السياسية. وقد آل هذا البحث لأن يتعرض لمشاهد حيّة أخذ بها الإعلام الأمريكي على وجه الخصوص إبّان حملاته العسكرية على أفغانستان والعراق ومساعدته للكيان الصهيوني سواء فيما يتعلق بالاحتلال الفلسطيني أو ما حدث مؤخراً في حرب تموز 2006م على لبنان، فضلاً عن العديد من الحملات ذات الطابع الاستراتيجي والدبلوماسي الضاغط على العالم الإسلامي والعربي والتي وإن لم تكن بوصفها تحمل طابعًا عسكريًّا إلا أنها ليست في غنىً عن الدّعم الإعلامي المنظّم، بالتالي يقترب بنا البحث إلى تناول أبرز القضايا السّياسيّة الأمريكيّة فيما يخص الماكنة الإعلاميّة وصيرورتها في الواقع، خاصة والأمر يتعلق بالكيفية التي يمارسها هذا الإعلام من تأثير في إدارة الأزمات حسب نظريات التّأثير الإعلامي القصيرة المدى والمتوسطة والبعيدة.

لماذا هذه الدراسة؟

وبقي لزامًا توضيح أسباب اختيار فكرة هذا الموضوع، وقد يكون من أبرزها وأهمها يكمن في التحاشد الإعلامي الغربي لدعم وتأكيد مقررات الحرب،

وقد تجلّى الأمر بعد أحداث سبتمبر بتأكد الاصطفاف الإعلامي الغربي بالتلازم مع القرار الاستراتيجي العسكري وتحويل ساحة المعركة من الغرب للشرق بصورة أشبه ما تكون دراماتيكية؛ وذلك عبر تضليل الرأي العام وإشباعه بشكل مكثف؛ لتبرير الحرب على أفغانستان والعراق وكذلك لبنان. بل وتعزيز الدور في مساندة الكيان الصهيوني في احتلاله لفلسطين وبعض الأراضي المجاورة لها. وفق مخطط استراتيجي طويل الأمد.

ودائمًا ما تلجأ المخططات الأمريكية للمراهنة بالبروغماتية ولو أدى ذلك إلى تزييف الحقائق، بل تذهب إلى أبعد من ذلك في اتخاذ تدابير من شأنها أن تساهم في بثّ الأضاليل والأخبار المكذوبة والمختلقة وقولبة الحقائق بما يخدم مخططاتها العدوانية، وهذا الاحتكام يأتي في الوقت الذي تأخذ فيه العلاقة بين «وزارة الدفاع الأمريكية (= البنتاغون) والجيش النظامي العسكري» طابعًا نوعيًّا يسفر عن اتفاق على تأسيس مقر عمل؛ الهدف منه إدخال الإعلام طرفًا رئيسًا في معادلة الدفاع عن الأمن القومي الأمريكي حسب معطيات إعلاميّة مدروسة من شأنها أن توظّف العالم وفق مخططاتها وأطماعها حتى لو أدى ذلك إلى صناعة سيناريوهات من الكذب والخداع واختلاق أقاصيص إخبارية في الصحافة الأجنبية، أو تزييف وثائق تنشر على الإنترنت والمواقع الإلكترونية، ويتركز النقاش حول ما نشرته جريدة «نيويورك تايمز» الأمريكية حول أمر سري وقّعه «رامسفيلد» أواخر العام الماضي 2003م يسمى (خارطة الطريق للعمليات الإعلاميّة)، والأمر المذكور مكتوب في 74 صفحة، وظلَّ سريًّا ولكنّ المسؤولين وصفوه بأنه قد عجّل في إيجاد (خطة للنهوض بأهداف العمليات الإعلامية باعتبارها عملية جدارة أو كفاية عسكرية أساسية).

ما أزمة الإعلام العربي والمناجزة مع السوق الإعلامية العالية .. وكيف الخلاص!؟.

وبحمد الله وتمام نعمته قد خلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج وبعض التوصيات، أهمها إجمالاً ما يلي-:

أولا: النتائج

1. يظل الإعلام بصورته العامة مرهونًا بالأجندة السياسية، وإن جاء تأسيسه على طبيعة مختلفة إلا أنه لا ينفصل عمّا هو عليه الحال، وهذا نهج قديم جديد كشفته الأحداث الأخيرة منذ حادثة 11 سبتمبر، فضلاً عن الحرب التي شنتها أمريكا على أفغانستان والعراق.

2. المسؤول عن إدارة اللعبة السياسية الأمريكية سواء فيما يتعلق بالداخل أو الخارج، فيما يعنى بانتخابات الرئاسة أو بإدارة الحروب، لا تبتعد كل البعد

عن التكتل اليهودي -اللوبي الصهيوني- وضغوطاته الكبيرة في هذا المجال .
-3تفريغ الإعلام من مضامين الأمانة والحياد إلى لعب أدوار سيئة؛ كبث الأكاذيب، وتشويه الحقائق، وصناعة الخديعة والفبركات، والسبب يعود لاستغلاله سياسيًّا، وفي الوقت نفسه عدم تمتعه بالاستقلالية كمنظومة قيم اتصالية حديثة .

3. تغييب الوعي العربي نظرًا لإدخاله في دهاليز الأولويات المفتوحة، إذ يتعذر عليه إدراك الأهم من المهم منها، والسبب يعود للمواد الثقافية الوافدة والمصنوعة محليًّا التي يتم ضخها بكثافة منظمة، تستهدف بالدرجة الأولى الشباب المسلم من أجل إشغاله فضلاً عن تغيير نمط حياته.

4. تطورات الأحداث والواقع السياسي تكشف عن الواقع المأزوم والكارثي الذي يعيشه العالم العربي، بدءًا بالصورة المنمطة للأنظمة السياسية، ومرورًا بالاختطاف الاقتصادي، وانتهاءً بالانقسامات الدينية والطائفية والحزبية. وقد كشفت الدراسة النقاب عمّا تجسده الآلة الإعلاميّة من كل ذلك .

5. افترضت الدراسة بناءً على ما سبق أن الحل للخروج من المأزق الإعلامي العربي هو الأخذ بالأولويات، والأخذ بعوامل الإصلاح السياسي الذي ولا شك سيلقي بظلاله على العديد من القضايا المهمة والرئيسية، لأن الإعلام العربي وتصحيح مساره يظل مرهونًا بتحسن الحال السياسي.

6. أشارت الدراسة إلى الدور الذي تلعبه مراكز الأبحاث والدراسات وما قامت لصالح الإعلام الغربي، لذا ينبغي تأسيس مراكز من هذا القبيل في الفضاء العربي وتفعيل ما هو قائم بالشكل المطلوب.

ثانيًا: التوصيات

1) تدعو الدراسة إلى تبني رؤية إعلامية عربية، من شأنها أن تنفك عن الاحتكار السياسي العربي أو الاحتكار الإعلامي الغربي، ولا يتم ذلك إلا بالاستمرار في كشف الحقائق والمخططات التي يقوم عليها الأداء الإعلامي الغربي والمرتهن بالأجندة السياسية .

2) العمل على إعداد استراتيجية إعلامية عربية تتناغم وتطورات العصر من شأنها مواجهة التحديات للعمل الإعلامي العربي.

3) للانفكاك من المركزية للإعلام واحتكار المعلومة لدى بعض الوكالات المحسوبة على الإعلام الغربي، الضرورة تقتضي التفكير الجاد في ذلك .
-4أوصت الدراسة أيضاً إلى رفع يد القدرة السياسية عن (الإعلام) عبر

منحها الاستقلالية التامة تحت أي نظام خاص يعفيها من الارتباط بالمحتوى السياسي، مع الاعتبار بالتجربة الإعلامية للغرب والتي لا تسلم أيضاً من اللغط.!

الإعلام والسياسة في عصر الإنترنت

أصبحت ثورة الاتصال التي أحدثها الإنترنت من أهم الوسائل التي تستعملها القوى السياسية المستنيرة لتحرير الشعوب من الاستبداد والظلم السياسي والاقتصادي والاجتماعي. ونشير هنا إلى بعض الإمكانات الجديدة التي يوفرها الإنترنت للحركات الإسلامية في سعيها لبناء مجتمع العدل والفضيلة، خصوصا في مجالي النضال السياسي والعمل الإعلامي.

ولا بد من التنبيه بدءا إلى أن استخدام وسائل التكنلوجيا الجديدة – مثل الإنترنت - مع سيطرة الأفكار الاستراتيجية والتكتيكية العتيقة لا يجدي كثيرا، بل لا بد من وضوح الرؤية النظرية، ليكون الاستغلال العملي لهذه الوسائل الجديدة مثمرا. فثورة الإنترنت تفرض تغيير طرائق التفكير لأن إمكانات هذه الثورة أكبر بكثير من مجرد الاستغلال الفني لها. لقد أدى الإنترنت إلى ترجيح ميزان القوى لصالح الشعوب، على حساب الحكومات المستبدة، التي فقدت الكثير من مظاهر سيطرتها على تفكير الناس، وبالتالي على حياتهم. فما يلزم الآن هو الوعي بأبعاد هذه الثورة وتوظيفها في حركة التغيير.

الإعلام الألكتروني

لقد أضعف الإنترنت بيروقراطية الدولة لصالح القوى السياسية وهيئات المجتمع المدني، من خلال قضائه على احتكار المعلومات، وتوفيره لوسائل اتصال ونضال جديدة لا يمكن التحكم فيها. فظهور الإعلام الألكتروني إيذان ببداية تحرر الإنسان من أجهزة التوجيه الإعلامي التي تسيطر على عقله، من خلال احتكار المعلومات، أو صبغها بصبغة خاصة تخدم الجهة المالكة. وهو تحرر مزدوج، يشمل حرية الإرسال، حيث أصبح المرسل مسيطرا على رسالته الإعلامية، قادرا على تقديمها دون وسيط أو تدخل أو صياغة من طرف الهيئات الإعلامية. كما يشمل هذا التحرر حرية الاستقبال، التي سنتحدث عن بعض مظاهرها.

ومن مظاهر هذه الثورة الإعلامية الجديدة:

أولا: تسهيل الحصول على المعلومات وهي لا تزال طرية من مصادرها المباشرة، فبمجرد نقرة على شاشة الكمبيوتر ينتقل القارئ من موقع إلى موقع أينما أراد على وجه الأرض، ويقرأ عن أي موضوع يشاء بأي لغة يفهم.

ثانيا: تسهيل إيصال المعلومات إلى الجمهور دون تحكم من الحكام المستبدين أو غيرهم. وتوفير المعلومات الصحيحة هو أول خطوات التغيير. وقد كان احتكار الحكام للمعلومات في الماضي من أهم الوسائل التي يحتمون بها.

ثالثا: التمكن من إيصال الرسالة الإعلامية بالشكل الذي يريده المرسل، دون تدخل موجه من أباطرة الإعلام، الذين اعتادوا التصرف في المعلومات التي تصلهم وصياغتها وإخراجها بالطريقة التي تخدمهم، على حساب المرسل الأصلي ورسالته.رابعا: رخص ثمن الاتصالات، بل ومجانيتها في أغلب الأحوال، مما يجعلها متاحة للجميع، ولا مجال لاحتكارها من طرف الحكومات القمعية أو الشركات الاحتكارية. ومن فوائد رخص ثمن الاتصالات إشراك عامة الناس في المعلومات.

ورغم أن الحكام الدكتاتوريين يميلون إلى التضييق على تكنلوجيا الاتصال الحديثة، مثل الإنترنت، خوفا من انفلات الأمور من قبضتهم، فقد بدأ الإعلام الألكتروني يقضي على إعلام الورق (الصحف) وبدأ يضايق إعلام الصورة (التلفزيون) وهو مرشح للسيادة في المسقبل، لأسباب عديدة، منها ما يتعلق بحرية الانسياب الإعلامي، ومنها ما يتعلق بتسريع وصول المعلومات، وكم تلك المعلومات وكيفها. ومن هذه الأسباب على سبيل الإجمال:

أولا: أن الإعلام الألكتروني يعطي القارئ فرصة اطلاع أكبر من الناحية الكمية، ففي جلسة واحدة أمام الكمبيوتر يستطيع القارئ أن يطالع عشرات المصادر الإعلامية، من جميع أرجاء العالم، ودون تكلفة مالية تذكر، وهو أمر غير ممكن عمليا من حيث الوقت ومن حيث الكلفة، في التعامل مع الإعلام التقليدي.

ثانيا: أنه يعطي القارئ حرية الانتقاء والمقارنة، من خلال الاطلاع السريع على العديد من المصادر المختلفة الرؤى والخلفيات، ثم يستخلص لنفسه النتيجة التي يراها أقرب إلى الحقيقة، دون أن يظل أسيرا لرؤية مخصوصة تفرضها عليه الحكومات أو الشركات المالكة لوسائل الإعلام.

ثالثا: أنه يمكن من القراءة المتخصصة، فلم يعد من اللازم استنزاف الوقت والجهد في تصفح الصحف بحثا عن موضوع معين، أو انتظار برنامج مخصوص في إحدى القنوات التلفزيونية، بل أصبح الإعلام الألكتروني يمكنك من الاطلاع على الموضوع الذي تريد في الوقت الذي تريد، ولا تخفى قيمة ذلك في عصر السرعة والتخصص الذي نعيشه.

رابعا: أنه يوصل الرسالة الإعلامية إلى مدى عالمي، ويتجاوز القيود التقليدية التي تقيد التلفزيون والصحافة المطبوعة، فهذه تحدها حدود "المكان" فلا يتجاوز أغلبها مساحة معينة من البسيطة، كما تحدها حدود "الإمكان" فلا يستطيع الجميع الوصول إليها لأنها غير مجانية. بخلاف الإنترنت فهو مجاني أو شبه مجاني في العادة. ويمكن أن نضيف أمرا على قدر كبير من الأهمية بالنسبة للحركات الإسلامية، وهو أن الإعلام الألكتروني وسيلة اكتساب فعالة، تستطيع الحركة من خلاله اجتذاب أعضاء ومناصرين جدد باستخدام طرائق عديدة، منها:

مراقبة عدد القراء لمقالات ومواد إخبارية وتحليلية معينة، من خلال العدَّاد الذي يبين عدد الزوار لكل مادة، مما يعين على صياغة المادة المناسبة الجذابة، المؤثرة على القراء. السماح للقراء بالتعليق على بعض مواد الموقع أو الصحيفة الألكترونية، مما يمكن من التعرف على المتابعين للموقع، والمتفاعلين مع رسالته الإعلامية، ويفتح الباب للاتصال بهم، والاستفادة من جهودهم. فتح "غرف دردشة" وأماكن نقاش عامة في الموقع أو الصحيفة، تتعرف الحركة من خلالها على أفكار القراء، ومدى قربهم أو بعدهم من فكرها، ثم تبدأ الاتصال بمن تتوسم فيهم خيرا واستعدادا للعمل الإسلامي.

النضال السياسي

يوفر الإنترنت للحركات الإسلامية إمكانات جديدة في مجال النضال السياسي، لم تكن موجودة من قبل، منها:

أولا: تسهيل سرعة الاستجابة للأحداث السياسية، والرد السريع على التحديات، وسهولة الحشد الجماهيري في سرعة قياسية. فلم يعد الأمر يحتاج إلى سيارات تحمل أبواقا وتجول في المدن لدعوة الناس إلى مسيرة، أو إنفاق مبالغ طائلة لترويج حدث سياسي في وسائل الإعلام التجارية. بل أصبح الأمر مجرد تحرير رسالة تعبئة واستنفار، وإرسالها إلى العناوين الألكترونية لآلاف الناس في لحظة واحدة، أو نشرها على مواقع معنية في الشبكة الألكترونية ليطلع عليها الآلاف، فيستجيبون للنداء.

ثانيا: سهولة التنسيق بين مجموعات شتى، للاحتجاج والتظاهر في موقع معين أو ضد قضية معينة، وحشد القوى الشعبية للانقضاض على الهدف من مختلف الاتجاهات، ومفاجأته بموجات المتظاهرين القادمين من جهات مختلفة، وأماكن متباينة. وقد برهنت هذه الاستراتيجية على نجاحها، خلال مظاهرات القوى المناهضة للعولمة في أمريكا وأوربا. وبدلا من إرسال الرسل للتنسيق بين القوى المشاركة، أظهر الإنترنت في تلك الأحداث أنه وسيلة اتصال وتعبئة يمكن التعويل عليها.

ثالثا: التمكن من توصيل الرأي المساند أو المعارض إلى الجهة المستهدفة بسرعة وبقوة. فلو صدر عن أحد القادة السياسيين – مثلا – موقف لايرضي الحركة الإسلامية، فإن إرسال آلاف رسائل الاحتجاج والإدانة في يوم واحد أصبح ممكنا. ولو أرادت تلك الحركة إيصال مواقفها إلى جمهور واسع حول قضية مخصوصة، فإنها لا تحتاج الآن إلى أكثر من كتابة رسالة وإرسالها إلى بعض المواقع الإخبارية الألكترونية.

رابعا: يمكن الاتصال السريع الذي وفره الإنترنت من تبني تكتيكات نضالية تستنزف العدو، مثل التظاهر المتوازي في مواضع شتى من نفس المدينة، أو في مدن مختلفة، في مجموعات صغيرة منضبطة، لا تستطيع قوى القمع السيطرة عليها، بدلا من المظاهرات التقليدية التي تركز على المظاهر الكمية، على حساب الدقة والفاعلية. وقد برهنت هذه التكتيكات على فائدتها في إرهاق القوى القمعية ومفاجأتها، وتسهيل الوصول إلى الأهداف التي يريد المتظاهرون ضربها، وتقليل الخسائر في صفوفهم، كما يظهر من الانتفاضة الفلسطينية.

خامسا: تشويش أفكار الحكومات القمعية وخلخلة استراتيجيتها من خلال الحشد المتوازي المتعدد الرؤوس والمنابع. بحيث لا تستطيع القوى القمعية أن تحدد هدفها بدقة، أو تصوغ تكتيكا فعالا للقضاء عليه. بل لا تستطيع أن تحدد بدقة من يقف وراء الاحتجاجات الاجتماعية، مما يحول بينها وبين القدرة على عزله عن المجتمع. وهذا التشويش الفكري والاستراتيجي في ذهن العدو يشل تحركه، ويقضي على فاعلية رده. ويختلف الأمر لو كان واضحا للسلطة أن وراء تلك التحركات حزبا أو منظمة أو حركة مخصوصة. يسهل حشرها في زاوية ضيقة واستئصالها.

سادسا: تغير مفهوم التظاهر والاحتجاج بعد وجود الإنترنت، فلم يعد بالضرورة ذلك الحشد البشري المادي، المثير للصخب، المؤدي إلى الشغب، وربما إلى التخريب والقتل، وإنما أصبحت أمواج الرسائل الاحتجاجية أو التأييدية التي ترد عبر الإنترنت تعوض الاحتشاد المادي في مكان واحد، إذا رأى أهل القضية

أن يتفادوا المواجهة المباشرة مع القوى القمعية، أو اجتناب الآثار السلبية للاحتشاد المادي.

سابعا: حول الإنترنت تظاهرات الاحتجاج والتأييد من نشاط محلي إلى ظاهرة عالمية، حيث تتوارد الرسائل من جميع أرجاء العالم تأيد موقفا سياسيا معينا، أو تحتج على آخر. ففي عام 2001 وقع مائة ألف شخص من مختلف الأوطان والأديان - خلال أيام معدودة - مذكرة مرفوعة إلى مندوبية الأمم المتحدة لحقوق الإنسان عبر الإنترنت، تطالب بمحاكمة "أرييل شارون" بجرائم الحرب التي ارتكبها عام 1982 إبان الغزو الإسرائيلي لبيروت. فهذه الصيغة الجديدة للاحتجاج والتظاهر ثمرة من ثمرات الإنترنت، وتعبير عن الإمكانات السياسية التي يوفرها. وقد دعاها بعض الباحثين "الديمقراطية الألكترونية" و "المجتمع المدني العالمي."

ثامنا: إن الخبرة والتسهيلات الجديدة التي وفرها الإنترنت في مجال التنظيم والاتصال والإعلام غيرت المعادلة القديمة التي كانت تضطر قوى التغيير إلى الاعتماد على دعم دول أخرى في نضالها السياسي، كما كان الحال في الستينات والسبعينات من القرن العشرين. حيث كانت قوى التغيير تحتاج إلى دعم دول معينة في مجال الاتصال والإعلام والتأمين (حمل جوازات سفر الدول المساندة، واستخدام وسائل إعلامها واستخدام الحقائب الدبلوماسية التابعة لسفاراتها ..الخ) لكن الإنترنت جعل التنظيمات السياسية في غنى عن كل ذلك تقريبا، فحررها من ثمن الدعم الخارجي الذي كثيرا ما يتضارب مع أهداف الحركات الإسلامية ورسالتها.

تاسعا: يمكن الإنترنت من تعبئة آلاف من المتعاطفين عبر العالم – غير الملتزمين في الحركة – للمشاركة في عمل سياسي أو إعلامي ضد العدو، كما فعل المناضلون الفلسطينيون في حملتهم على المواقع الألكترونية الصهيونية، حيث استعانوا بآلاف الأنصار عبر العالم. وكما فعل بعض الذين دعوا إلى حملة توقيعات لمطالبة الأمم المتحدة بمحاكمة "أرييل شارون". وليس من الضروري أن يكون المتعاطف مناصرا دائما، أو مقتنعا بمبادئ الحركة ورسالتها، بل يكفي أن يشترك معها في هدف ظرفي، فيساهم في حملة مخصوصة ذات هدف مخصوص.

السباق إلى المستقبل

يمثل الإنترنت ثورة جديدة غيرت صورة العالم، وكسرت حواجز الزمان والمكان. ورغم أن أنظمة الاستبداد في العالم الإسلامي لا تزال تحاصر الإمكانات الجديدة التي يوفرها الإنترنت للشعوب، وتضيق على انسياب هذه الثورة الجديدة

إلى حياة الناس، بأعذار ودواع شتى، فإن انتشار هذه التكنلوجيا الرخيصة في كل أرجاء العالم أصبح أمرا حتميا.

لذلك فإن الحركات الإسلامية مدعوة إلى الاستفادة من هذه الثورة إلى أقصا الحدود، في مجالات التنظيم والاتصال والإعلام والنضال السياسي.. وغير ذلك من جوانب معترك الحياة. فهل تستوعب الحركات الإسلامية المدلول التاريخي لثورة الإنترنت؟

مشكلة الاعلام و السياسة والاقتصاد

نحن نعيش الان فى وقت من اصعب الاوقات التى يمر بها الانسان من الناحية الاقتصادية و السياسية و الاعلامية ، و قبل ان ابدا فى هذا الموضوع اريد ان اوضح ما هو دورالاقتصاد و السياسة و الاعلام

اولا : ان كل دولة موجودة على هذه الارض لابد ان يكون لها سياستها و اقتصادها و اعلامها الخاص بها و الذى يميزها عن غيرها من الدول , و لكن للاسف الشديد نجد العديد من الدول تقلد سياسة و اقتصاد واعلام دول اخرى تقليدا اعمى فهى لا تعرف ما هدف هذه الدول من سياستها و ما هو الدور الذى يلعبه الاعلام بها , فلو نظرنا الى دور الاعلام فى الدول المتقدمة نجد انه يصنع من بلاده جنة الله على الارض من اقتصاد متقدم و سياسة متحرره و اعلام حر , و هنا يجب ان نعرف هل الاعلام فى هذه الدول يقوم بعمل وطنى نظيف ام انه يقوم بعمل دعايه لهذه الدول ليزوها الكثير من البشر و يغرمون بها ؟

مشكلة الدول النامية للاسف الشديد تتركز على التقليد و لا تتبع السياسه الخاصة بها من الناحية السياسية و الاقتصادية و الاعلامية التى تنفع دولتها و تتناسب مع ظروفها و امكانيتها , و لا نستغرب هنا ان تأتى هذه الدول المتقدمة الينا لكى تعلمنا و توعظنا و تعطينا دروس فى الديمقرطية و الاقتصاد و الاعلام مثل المدرس الذى يقوم بدور المشرف على التلميذ و هنا يظل التلميذ دائما و ابدا محتاج الى المدرس ليعطية الدروس و يعلمة فيفقد التلميذ ثقتة بنفسة و يظل دائما فى احتياج الى من يعلمة و يوجه , و بذلك يبنى حياته دائما على مساعدة الاخرين.

فنحن دائما ما نسمع تعبير (الثروة البشرية) و نسمع دائما ان دولة مثل الصين نجحت و تقدمة بالثروة البشرية التى تمتلكها و هذه الثروة البشرية تعمل و لا تكل و هى سبب تقدم هذه الدوله و هذا كذب

لان حتى الولايات الاميريكية المتقدمة نفسها لا تستطيع ان توفر لشعبها حياه سليمة عادلة و تقى شعبها من الجوع و الفقر و البطاله , و اذا نظرنا الى الدول

الاوربية المتقدمة لوجدنا انه يوجد بها اكثر من 40 مليون عاطل عن العمل , فما هو السبب فى ذلك ؟

ان تعداد الدول الاوربية من 100 سنة كان 250 مليون نسمة و الان تعدادها 750 مليون نسمة , و هنا السؤال يطرح نفسه هل الثروة البشرية الهائله هذه هى التى انجحت الدول الاروبية ؟

بالطبع لا

فلو نظرنا الى دول اوروبا الشرقية نجد انها فى حاله اقتصادية و سياسية و اعلامية سيئة جدا لانهم امضوا وقتا طويلا جدا فى ظل الديمقراطية الاشتراكية و للاسف الشديد لا توجد الان ديمقراطية و لا اشتراكية.

اما الدول الغربية بعيدا عن المانيا كان هدفها هو الراس مالية فالراس مالية عندما تحكم دوله يعيش شعبها حياه جيدة و هذا لم يتحقق.

و لو نظرنا الى المانيا فقد فقدت بعد خسارتها فى الحرب العالمية خساره كبيرة جدا حتى مصانعها انتقلت الى دول اخرى فاصبح الشعب لا حول له و لا قوة و تقسمت المانيا الى قسمين المانيا الغربية و المانيا الشرقية و ذلك بالاتفاق مع الدول الاربع الكبرى , فرنسا , انجلترا , اميريكا , روسيا.

و كانت المانيا الشرقية تتبع روسيا و المانيا الغربية تتبع فرنسا و اميريكا و انجلترا, وهنا اراد هذا الشعب ان يبنى دولته من جديد بعد انهيار جميع المبانى حتى المياه كانت ملوثة و مسممة من اثر القنابل فى الحرب العالمية

وفي عام 1948 بدأت المانيا بتأسيس المؤسسات السياسية و الاقتصادية والتربوية , و هذا النموذج يجب ان يدرس فى جميع المدارس على حد تقديرى .
فبدأت اولا : بتأسيس مؤسسة تربوية اى نظام تعليم فى المدارس للمستقبل .
ثانيا : تأسيس المؤسسات الاقتصادية النابعة من قدرة هذا الشعب و اتقانه لعمله وحبة لبلاده

ثالثا : ان يكون دور المؤسسات الاعلامية ان تبنى نسيج جديد لمعاملة هذا الشعب عى طريق ميثاق للادب و الاخلاق , و عدم تجريح الاخرين دون اسباب , و عند توجيه النقد فى الاعلام على اى مستوى يجب ان تقدم الحلول فى نفس الوقت لهذا النقد

و هنا ادركت اميريكا ان الشعب الالمانى يتحول الى الافضل و انه سوف يحقق الكثير و يبنى نفسه بنفسه فتقدمت بمشروع (مارشال بلان) و قيمته 14 مليار دولار و قامت المؤسسات الخيرية بارسال باكتات من المواد الغذائية للشعب

الالمانى لانها شعرت بأن هذا الشعب صادق فى تقدمة و انه سوف يقف على قدمية من جديد .

وهنا يجب ان نذكر ان من اهم انجازات المانيا فى هذا الوقت هو (الدستور) الذى و ضعته و يعتبر دستور المانيا دائم و يصلح لاى وقت و زمان و لا يتغير بتغير الحكام.

و من اهم بنوده:

المادة الاولى : ان كرامة الانسان لابد ان تحفظ و لا تهان.

المادة الثانية : احترام حرية العقيده و الاديان و اننا جميعا امام الدولة سواء.

المادة الثالثة : ان تقدم الدوله المساعدة لكل انسان فى احتياج و بكل انواع المساعدات المختلفة و حق كل مواطن فى التأمين الصحى.

اما بالنسنة الى الاقتصاد كانت المانيا هى الدوله الوحيده التى وضعت اساس الدولة الراس مالية الاشتراكية و هذا هو الذى قاد الاقتصاد الالمانى الى اعلى المراتب, بمعنى ان 51 % تمتلكه الدوله و 49 % يمتلكه المستثمرين , و لكن و للاسف الشديد هذا النظام انتهى الان و اصبحت المانيا لها مشاكل اقتصادية لا حصر لها لانها قامت على الراس مالية فقط

وفي النهاية ارجو من بلدى الحبيبة مصر ان تأخد منالمانيا نموذج لها فى عهد الثورة الجديد و عدم كثرة الاحزاب لان كثرة الاحزاب يخلق الكثير من المشاكل فالمانيا بها 5 احزاب فقط

وعندما نفكر فى الدستور الجديد نأخذ فى الاعتبار انه دستور دائم لا يتغير بتغير الحكام مثل اميريكا والمانياو عندما ارى الكثير من الحوارات والقاءات التليفزيونيه اشعر بالاسئ الحزن الشديد فأين الروح الوطنية و الاخلاص لهذا البلد, وارى اشخاص لا يعلمون شيئا عن السياسة يرشحون انفسهم لرئاسة الجمهورية فمصر بلد عريق و يجب على من يمثلها امام العالم ان يكون على مستوى عراقة هذا البلد.

نحن نشكر القيادة المسلحة التى حمت شعب مصر من كوارث كثيرة وان نعطيها الفرصة لكى تبنى مؤسسات تربوية و اقتصادية و صناعية و غيرها من المؤسسات التى سوف تعمل على نهضة هذا البلد.

ان الاعلام فى مصر يتدخل فى كل شيئ ان كان على دراية بابعادة و تفاصيلة او كان لا يدرى عنه شيئ فأنه يتدخل حتى في المشاكل القضائية قبل تنفيذ الاحكام و يثير الرأى العام طبقا لوجهه نظره هو , حتى الدعاه الاسلامين بدأو

يتدخلون فى السياسة كانهم يدركون السياسة العالمية و نسوا دورهم كدعاه فكل منهم له اغراضة التى لا يعلم بها غير الله سبحانه و تعالى.

نحن نحتاج الى الوقت لكى نبنى مصر التى نريدها مرفوعه الرأس هى و شعبها مثل المانيا لان الشعب المصرى و الشعب الالمانى متقربين فى التفكير و لكن مختلفين فى طريقة التنفيذ

فرجائى ان يكون الاعلام المصرى اعلام وطنى و لا ينتقد اى شيئ دون ادراك و ان يكون المرشحين للرئاسة مدركين فى اى عصر نعيش , فنحن نعيش فى عصر السياسة و الاقتصاد , ان نعطى الفرصة لعمل دستور دائم , وعلى الشعب المصرى ان يفهم انه بدون عمل لن يجد كرامتة , وان يدرك ان ثورة مصر القومية و الانتاج القومى للجيل الحالى و الاجيال القادمة , وعلينا ان نبنى مؤسساتنا الجديدة لكى تصلح ليس لنا فقط و انما لاحفادنا لكى يكونوا سعداء.

الفصل الثالث

الدبلوماسية الإعلامية خطأ شائع!..

وصل عدد السوريين "المتثاقفين" الذين يصنّفون أنفسهم بالثوريين والناشطين في مجال حقوق الإنسان أو المعارضين القياديين الديمقراطيين.. إلى العشرات، وطبعاً تحتاج أكثر من خمسين قناة مثل الجزيرة والعربية وأورينت وصفا ووصال..وغيرها إلى ذلك الكم من "الخارجين عن القوانين السورية" لأنّها قنوات متفرغة للشأن السوري..
إنّه إعلام أصبحت صفة "المغرض" قزمة في توصيفه ولا تحيط به، لأنّ الصفة التي تناسبه "إعلام الفتنة" أو إعلام الإرهاب، أو إعلام القتل..، وطبعاً إعلام الإرهاب يحتاج إلى "سوريين" ممن دخلوا تحت تأثيرات الاستثمار بالدم السوري فأصبحوا في قلب المؤامرة "صناعة" وليس صدّاً لها!..

المسألة شديدة الصعوبة عندما تجد "معارض سوري" مثقفاً أو نصف مثقف، رجلاً أو شبه رجل..، خائناً أو أقل خيانة..، على شاشة فضائية إرهاب..، بينما لا تجد في الإعلام السوري المضاد "معارض سعودي" أو معارضاً قطرياً أو معارضاً تركياً أو معارضاً بحرينياً.. يفضح ويكشف تآمر دولته على سورية على الرغم من وجود مثل هؤلاء؟!

فلماذا كلّ هذا اللطف الإعلامي المضاد؟! ولماذا هذا "النبل" المبالغ به تجاه أنظمة يشنّ إعلامها العدوان المتواصل على سورية ضمن حرب إعلامية تفرغت لها أكثر من خمسين فضائية من أجل الاستثمار بالدم السوري، ودون استعانة وسيلة إعلامية محلية وطنية بفعل مضاد يشبه بعض أدوات تستخدمها وسائل الإعلام المعتدية على سورية؟!.

من قال: إنّ على الإعلام السوري الوطني المحلي أن يكون "دبلوماسياً" كوزارة الخارجية؟!. من قال: إنّ الصحفي السوري الوطني يجب أن يتصرف وكأنّه وزير خارجية أو ناطق رسمي باسم الخارجية؟!. كم من الضرورات الإعلامية المطلوبة في الفعل الإعلامي المضاد يتمّ قتلها نتيجة تطبيقات الدبلوماسية الإعلامية"؟!.
لا بد من تمييز الحدود بين "السياسي" الذي تستوجب السياسة الكثير الكثير من هدوئه، و"الإعلامي" الذي تستوجب المهنة والحرب الإعلامية والجمهور منه الكثير الكثير في الصد والهجوم أيضاً!.

حتماً لسان حال المواطن يتركز على الفخر بهدوء وقوّة السياسة السورية، لكنّه لا يقبل أن يكون الإعلام الوطني بذات الهدوء، وأحياناً أكثر هدوءاً ودبلوماسية من السياسيين أنفسهم!. كثيراً ما تكون قوّة الدبلوماسية ببخلها في تقديم المعلومة والإفصاح عنها، بينما قوّة الإعلام بتوفر المعلومة وإثرائها...

شيء ما لم يحسن الإعلام الوطني المحلي إتقانه بعد وربما لا يتحمل هو مسؤوليته، ويتمثل بالسؤال التالي: أين تنتهي حدود السياسة و"الكياسة الدبلوماسية" وأين تبدأ متطلبات الضرورة الإعلامية للنّاس؟!.

إنّ التطابق التام في حدود السياسة والإعلام هو خطأ سوري رسمي وإعلامي مديد وشائع، وإذا كان لا بد من مثال فإنّه يجب الانتباه إلى أنّ الإعلام التركي سبق الإعلام الوطني السوري أشواطاً ومنذ شهور بفضح تآمر النظام التركي على سورية، وربما بقي إعلامنا حتّى اللحظة شديد الدبلوماسية تجاه التآمر التركي!.
لن نخوض في آلية التغطية الإعلامية في إعلامنا للحراك الشعبي العربي في مصر والسعودية والبحرين والأردن.. وغيرها، كي لا "ينفلج" من يعاين دبلوماسية إعلامنا ويعاين التغطية الإعلامية في إعلام النفط والزفت العربي لحراك العصابات المسلحة في سورية!.

المعايير النسبية في المقاييس الدولية

تصدر سنويا عشرات التصنيفات الدولية التي تبين مقدار التفوق بين الدول او المؤسسات او الافراد، والتي تغطي مختلف المجالات في الحياة العملية والتي من بينها تصنيف الجامعات في العالم او حرية الصحافة او مقاييس حجم المؤسسات الاقتصادية الدولية الخ... وقد اصبحت تلك التصنيفات مثل الموضة في العصر الحديث بحيث تتنافس على اصدارها مختلف المؤسسات التي بعضها غير متخصص او على الاقل يهدف الى الشهرة من وراء نشرها وبمعايير ضعيفة احيانا او غير منطقية، وتكون نتائجها بالتالي خاطئة او فيها هامش كبير من الخطأ لايمكن الركون اليها بأي حال من الاحوال،والغريب في الامر ان بعض التصنيفات ازداد في بعض الفروع والنتائج الصادرة منها مختلفة!او احيانا نفس التقييم ولكن تختلف التسمية! وتفرح النتائج من يحصل على اعلى الدرجات وفي المقابل يهمل نتائجها من يحصل على ادنى المراتب او يذهب الى مقياس تصنيفي اخر يمنحه

درجة اعلى يمكن ان يتباهى بها امام الجميع كما تفعل البنوك على سبيل المثال عندما تضع على واجهاتها نتائج تصنيفها من قبل الهيئات الحكومية والخاصة والتي هي احدى وسائل الدعاية الذكية والمجانية لها وتقوم بأستغلالها افضل استغلال ولكن لايعرف احدا بالضبط ماهية تلك الهيئات او طريقة الاختيار والتصنيف فيها والتي تم على اساسها اصدار النتائج التي تكون في بعض الاحيان دقيقة ومثيرة للاهتمام وفي البعض الاخر تكون مضحكة لا يقبلها اي عقل او منطق كونها بعيدة عن الواقع او قد تكون ناتجة من معايير قليلة لا تستوجب اصدار نتائج كاملة للوضع دون استخدام عدد اكبر من المعايير مع بذل اقصى ما في الوسع في تطبيق الموضوعية الحيادية من كل تأثيرات جانبية تكون مدمرة للصدقية المعرفية التي هي اقصى المنال البشري للتقدم والرقي...

وقد وفرت لنا الازمة المالية العالمية فرصة ذهبية لمعرفة دقة نتائج التصنيفات لكثير من المؤسسات والتي تبين عدم صدقية البعض منها عندما انهارت بفعل تلك الازمة التي كشفت الكثير من الحقائق الخافية على الحكومات والشعوب.

مقاييس ليست مطلقة:!

مادامت تلك المقاييس صادرة على يد مجموعة بشرية متخصصة وهم بمجموعهم خطاؤون في كل شيء كبقية البشر!... فأذن النتائج تكون غير صادقة بصورة مطلقة ولكنها تكون نسبية وهنا يقع الخلاف حول صوابية نسبية النجاح، بمعنى انه يمكن الحصول على نسبة عالية من الصدقية تكون ملائمة للواقع الملموس وقد تكون هنالك نتائج هزيلة بعيدة كل البعد عن الحقيقة والواقع وتكون مستندة على معايير خاطئة او غير دقيقة او حتى لا اهمية لها في ظل اصدار كم هائل من النتائج التي تغطي مساحات شاسعة من اوجه مجالات الانتاج والخدمات،لانه من المستحيل التخلص من التحيز (وهي طبيعة فطرية بشرية لايمكن الخلاص منها مهما كان الجهاد النفسي) او عدم الوقوع في الخطأ الغير مقصود بأي وسيلة كانت خاصة في ظل الحصول على معلومات متضاربة حول موضوع ما من قبيل الحصول على احصائيات مختلفة للانتاج او العوائد المالية أو حجم المدخر من الثروات ما شابه ذلك من الاحصائيات المتعلقة بموضوع البحث...

النتائج الصادرة هي جهد جماعي متناسق في عملية البحث ولكن يختلف كل فرد في رؤاه واجراءاته في الحصول على المعلومة او في تحليلها او في اصدار النتائج حسب الرؤية الشخصية التي تكون غالبا بالطبع متضاربة بين

الباحثين،ولذلك فأن النتائج هي في النهاية حصيلة المجموع الكلي للاراء الصادرة من قبل الباحثين والذين يكونون في الغالب عاملون في مناطق مختلفة من العالم وتكون مجالات اختصاصاتهم سواء الشخصية او البحثية مختلفة فيما بينهم وبالتالي سوف يحصل لدينا كم هائل من المعلومات والتحليلات التي تخضع لادارة جماعية قد تختلف آرائها عن مصدر المعلومات والتحليلات وهنا نكون اما محظوظين في تطابق وجهات النظر او سيئ الحظ عندما يختلفون فيما بينهم تبع اختلاف تقييماتهم الشخصية التي تكون صادرة من اختلافات اساسية في المنهج والطريقة والخبرة الشخصية الى اخره من الاختلافات بين الباحثين في شتى بقاع العالم..

ورغم وجود معايير ثابتة للبحث الا ان الالتزام بها يختلف من شخص الى اخر وحسب اختلاف المعلومات او الخبرة او التحصيل الاكاديمي والمعرفي على سبيل المثال...

وتبقى في النهاية تلك التقارير والتصنيفات رغم نسبيتها في الدقة،ذات اهمية بالغة في تقييم الوضع الدولي بمختلف فروعه التي تعطي في النهاية توصيات مهمة للتعامل المستقبلي معها بغية الوصول الى الهدف النهائي وهو التطور الحضاري للمجتمع وبنيته التحتية والفوقية...

بداية دقيقة ونهاية نسبية:!

بداية التصنيفات العميقة والموضوعية والتي تصدر بعد بحث واستقصاء طويلين الامد هي كانت مع الاصدار السنوي لمجلة فوربس الاقتصادية الامريكية الشهيرة ومجلة فورتشن المالية الامريكية الشهيرة واللتان بدأتا بها منذ عقود طويلة وتكون اصداراتهما كما هو معروف متخصصة في الامور المالية والاقتصادية للشركات والمؤسسات المالية الدولية ومن ضمنها التصنيف السنوي الشهير لحجم ثروات اثرياء العالم بغض النظر عن جنسياتهم ونوعية اعمالهم رغم ان العديد من حكام دول العالم خارج نطاق تلك التصنيفات بسبب السرية الكاملة في اعمالهم والرغبة في البقاء بعيدا عن متناول وسائل الاعلام حتى لا تسبب لهم احراجات مع شعوبهم التي تكون غافلة بوعي او بدونه عن تلك الانتهاكات الوطنية الكبرى!،ومازالت نتائج مجلتي فوربس وفورتشن تحظيان بالاهتمام والتقدير لكونهما الرائدة في تلك المجالات مع الدقة في الحصول على المعلومات وتحليلها وتبويبها بغية اصدار نتائج في غاية الدقة والموضوعية،وعموما نتائج المجلتين الشهيرتين هي بالاساس لا تخضع لمعايير شخصية او آراء بل هي ارقام واقعية تحصلان عليهما رغم انها احيانا غير مطابقة للواقع بصورة مطلقة لكون الكثير من المؤسسات والاثرياء يخفون ارقام ومصادر ثرواتهم وبالتالي تكون النتائج

احيانا نسبية ايضا ولكن عالية الدقة فيها دون الوصول الى المنى المثالية في الدقة المطلقية...!

تصنيفات فوربس وفورتشن مازالتا في المقدمة لكونهما الرائدتين في هذا المجال وتعتمدان على الموضوعية في نتائجهما،وبالتالي تبقى محل اهتمام الجميع خاصة في مجالات اختصاص تلك التصنيفات العريقة وهي منشورة في موقعيهما في شبكة الانترنت وفي بقية وسائل الاعلام لمن يرغب في الاطلاع والدراسة..

ولكن مع الاسف الشديد ان تلك البداية الرائعة في العمل ، تحولت الى نهاية بائسة في الوقت الحاضر من خلال الفوضى الضاربة في التصنيفات العديدة المتنافسة فيما بينها بدون وجود اي معيار يمنع الدخلاء على ذلك العمل المعرفي الجبار، ورغم وجود العديد من التصنيفات الدولية القيمة الا ان كثرة التصنيفات الغير موضوعية يجعل مجال الثقة مقيد الى حدود دنيا الا من لا يملك القدرة او الوقت الكافي للتفريق بين نوعية التصنيفات ومدى الجدي منها،وهنا تكمن المصاعب التي تزداد مع تعقيدات الحياة المختلفة..

امثلة نموذجية:

الكثير من التصنيفات هي غير خاضعة لقوانين واسس علمية او منطقية،بمعنى ان تصنيفات فوربس او فورتشن على سبيل المثال اذا صحت الارقام الواردة لمراسليهما والتي تنشر بدون تغيير فهي تقع تحت خانة التصنيفات العلمية الموثوق بها،اما التصنيفات والتي تخضع لاراء وتقييمات الباحثين والمراسلين فهنا تكمن النسبية في الدقة،وقد تكون عالية او اقل درجة في الوثوق...ولنأخذ مثالين يمكن تبيان الفرق بين التصنيفين الغير خاضعين لمنهج ثابت لا يمكن القفز فوقه كالاحصائيات الدقيقة مثلا...!

في شهر تشرين اول(اكتوبر) من كل عام تصدر وبصورة متقاربة في التوقيت وقد يكون مصادفة،التقييم السنوي للجامعات في العالم سواء من قبل صحيفة التايمز البريطانية العريقة او من قبل غيرها،بالاضافة الى الاصدار السنوي لمنظمة مراسلون بلا حدود حول وضع الحريات الاعلامية في العالم..

من الملاحظ ان هنالك اختلاف كبير بين نتائج تقييم الجامعات في العالم نظرا لاختلاف المعايير المستخدمة في التقييمات وبالتالي فأن نسبية النتائج تكون واضحة للعيان بصورة لاتقبل النقاش او الاحتجاج عليها...!

من بين المعايير التي تثير جدلا في صدقيتها هو حصول خريجي اي جامعة في العالم على جائزة نوبل!...وهو مقياس خاطئ لكون الجائزة متحيزة في الكثير من المجالات بما لايقبل الجدل او الشك،واختياراتها تكون من خلال معايير تنطبق

على الواقع في الغرب بصورة اكبر مما هو موجود في بقية بقاع الارض! وبالتالي فأن اعتماد نوبل كمقياس هو خطأ فادح سوف تنعكس نتائجه ونسبة الخطأ فيه على نتائج التصنيف،كذلك تقييم الحرية الاكاديمية يخضع هنا لاراء متعددة لاتنطبق احيانا على الواقع وبالتالي ايضا مقياس نسبي في صدقيته!،ايضا معيار حجم التمويل الحكومي رغم اهمية التمويل المالي للمؤسسات الاكاديمية ليس مؤثرا بصورة رئيسية في التقييم لكون الكثير من الدول النامية تنفق مبالغ طائلة على جامعاتها دون ان تحقق نتائج مرجوة! بينما هنالك جامعات تعتمد على التمويل الذاتي والفردي قد حققت نتائج باهرة وحصلت على اعلى الاوسمة في التقييم..!

من الامور التي تأخذ بالحسبان هي حجم الجامعات ونسبة الطلاب الاجانب فيها ونسبة توظيف خريجيها!او معدل عدد الطلاب لكل استاذ او حتى المعيار الحديث وهو حجم الدخول الى الموقع الالكتروني للجامعة! وغيرها من المقاييس الاخرى التي نراها في معظم الاحيان غير دقيقة او لا تعبر عن واقع حقيقي، وقد تتقارب النسب في التقييم بين عدد من الجامعات بحيث يصعب احيانا التمييز بين المتقدم منها عن المتأخر نظرا لوجود عدد هائل من الجامعات في العالم ،والاكثر غرابة في اجماع التصنيفات الدولية المختلفة هو خلوها من وجود اي جامعة عربية وبالتالي فأن هذا الاتفاق الغير متعمد بالطبع هو دلالة واضحة على مدى التدهور الحاصل في التعليم الاكاديمي في العالم العربي وفي مختلف جوانبه!...ولكن تبقى في النهاية وجود بعض المؤسسات الدولية العريقة لها شهرتها في مقدمة التصنيفات الدولية بحيث تكون باقية ومحافظة عليها لامد طويل في المستقبل..

هذا المثال هو يعطي صورة واضحة لمدى اختلاف الدقة في النتائج وان كان على الاغلب اكثر صدقية من المثال التالي:

الحريات الصحفية في العالم:

الحرية الاعلامية في اي بلد في العالم هو مقياس للتحضر بكل معنى الكلمة، والتضييق عليها ولمختلف الاسباب هو مقياس آخر للتخلف او التأخر عن سباق الركب الحضاري الدولي،ولذلك تكون نتائج الحريات الاعلامية مثيرة لاي بلد مهما كانت ظروفه مختلفة، والنتائج هنا تنحصر في محاربة الفساد بجميع انواعه والذي يكون عائقا رئيسيا امام تقدم اي بلد،وكذلك تطبيق القانون على الجميع دون استثناء من خلال كشف المستور والعلني في العمل الحكومي والخاص،وتبقى المهمة الاولى وهي محاربة الاستبداد والطغيان الناشيء من الحكومات واجهزتها المختلفة ومن الاحزاب السياسية والتجمعات القبلية وعصابات المافيا المختلفة.

يصدر التقييم السنوي ومنذ سنوات عدة عن منظمة مراسلون بلا حدود التي مقرها في باريس،واحيانا نتائجها تكون مثيرة بحيث لاتقبل مجال من الشك في

نسبية صدقيتها او محدودية حجم دقتها خاصة انها صادرة من تقييمات الكثير من المراسلين الاقليميين في العالم ومن المنظمات المتعاونة معها في هذا المجال والتي تختلف وجهات نظرهم بالطبع عن غيرهم للحالات التي يصادفونها في مجال عملهم الاعلامي، والاكثر تأثيرا في اصدار النتائج في هذا التقرير هو الخضوع لرأي سياسي او فكري معين مما يسبب تأثيرا بالغا في خطأ التقييم الذي لا يراعي الاراء الاخرى والتي قد تعطي صورة مخالفة لما ينشر ...!

التقييم يعطي صورة عن حجم الحريات الصحفية ولا يعطي نهائيا اي تقييمات اخرى كجودة الانتاج المعرفي والتحليلي في الصحافة والتي هي تشمل كل وسائل الاعلام بما في ذلك خدمة التدوين التي ظهرت اهميتها من خلال شبكة الانترنت في السنين القليلة الماضية...

من خلال الاطلاع على نتائج السنوات الماضية،يظهر لنا وبوضوح تام مدى الاختلاف في ترتيب الدول في التصنيف،وهو طبعا يظهر من خلال تقييم الفترة الزمنية الدورية لتحسن الوضع في بلد ما او بالعكس،ولكن الغريب في تقارير تلك المنظمة هي القفزات الكبيرة في تحسن او سوء مرتبة دولة معينة والذي يكون سببه كما تقول المنظمة تقارير مراسليها والمنظمات التابعة والمتعاونة معها في هذا المجال والتي تنشر في موقعها الالكتروني ووسائل اعلامها الاخرى...ولكن عند الاطلاع على تلك التقارير يتبين لنا وبدون ادنى شك ان الرؤية التحليلية المبنية على اساسها تغيير وضع الدولة المعنية،هو لا يطابق بصورة كاملة تلك القفزة البهلوانية في الترتيب والتي تكون عادة في اثناء ازمات حادة مفاجئة كالانقلاب العسكري او وضع الاحكام العرفية تحت التنفيذ ! ولكن عندما يتعلق الامر من خلال وضع صحفي ما او تعرض آخر لاعتداء او سجن او اتهام وما شابه ذلك، فذلك لايبرر نهائيا اي قفزة تراتبية بأي شكل من الاشكال... نعم قد يكون هنالك تغير في الترتيب ولكن بصورة تدريجية ومن خلال مراتب قليلة وكذلك عند وضع التحسن ايضا يكون الحديث بنفس الوضعية في التقييم،ولنعطي مثالا بارزا في تصنيفي المنظمة لعامي 2008 وعام 2009...

المرتبة المعطاة لاسرائيل في عام 2008 هو 46 وقد قفز الى الرقم 93 مما يعني تدهورا هائلا في الحريات الصحفية فيها!...هذا القفز الذي يبرر في التقرير لما حدث في قطاع غزة ابان الحرب عليه في بداية عام 2009 والتي منعت وسائل الاعلام من تغطيتها او اتخذت اجراءات عقابية على بعض المراسلين بسبب خرق الاوامر...هذه الاسباب لا تعطي بتاتا اي مبرر لتلك القفزة الهائلة في التدهور والتي وضعت الدولة العبرية في مصاف اقل الدول منحا للحريات الصحفية داخل حدودها بل هذا يعطي للمراقب مدى عدم دقة التقرير وصوابية ترتيب الدول فيه

من خلال عدم اتباع منهج عقلاني في الاختيار وفق اسس سليمة وهادئة... نعم ان تلك الحرب وما رافقها من تقييد للحريات الصحفية هو تدهور للحرية الصحفية ولكن هذا مؤقت تبرره اسباب الحروب المعتادة للتغطية على الجرائم التي تتخللها ثم ان ذلك لايؤثر سوى بصورة قليلة على وضعية الحريات في الداخل مما يعني ان تغيير الرقم اذا صح الاول وهو 46 فأن مقدار التدهور يكون بدرجات قليلة وليس بمقدار يفوق 47 درجة في سنة واحدة!! تلك خرافة لايمكن تصديقها خاصة عندما نرى في التقرير ان غالبية الدول العربية وبعض الدول الاخرى التي تحكمها نظم مستبدة تتفوق في المرتبة على اسرائيل! والحقيقة التي لايجادل بها اي شخص ان الحريات الصحفية الموجودة في داخل اسرائيل فقط طبعا الى الان تفوق بالجملة والتفصيل جميع الحريات الصحفية الممنوحة للاعلام العربي! ويمكن لغاية الان رؤية كيف تحاكم وسائل الاعلام الاسرائيلية جميع المسؤولين في الدولة وتخضع حياتهم الشخصية للمراقبة وتخضع الاجهزة الامنية كل مشبوه بتهمة الفساد كما جرى لرئيس الوزراء السابق اولمرت وكل ذلك بفضل ما تتمتع به وسائل اعلام الدولة العبرية وما تعرضه للرأي العام فيها وما لا تتمتع به وسائل اعلام الدول الاخرى الموجودة في مقدمة التصنيف...!

هذا يعطي لنا مثالا للخلل الموجود في التصنيف المشهور ...!

المثال الاخر والذي يثير الانتباه هو وضع الكويت في مرتبة رقم 60 بعد تحسن طفيف وهذه المرتبة هي الاولى عربيا وقبل لبنان الذي تقدم قليلا!...هذا التقييم يخالف الواقع الذي يعرفه الجميع من كون الحريات الصحفية في لبنان هي الاولى عربيا ومن خلال تاريخ طويل وعريق ولا توجد قوانين تقيد تلك الحريات الا بصورة استثنائية ويساعد الوضع الطائفي على ذلك التنوع بمعنى عدم خضوع الجميع لفئة معينة، فالتنافس قائم على اشده بين الجميع،وبالتالي فأن تقديم الكويت عليها رغم انه فارق درجة الان وست درجات العام الماضي غير واقعي،لان واقع الصحافة والاعلام في الكويت هو مقيد بكل معنى الكلمة ولا تختلف عن الدول المجاورة لها،بمعنى ان وسائل اعلامها لا تستطيع مسائلة الامير وافراد اسرته فضلا عن بقية المسؤولين الاخرين ومن تكون له مكانة هامة في المجتمع كبقية الدول العربية الاخرى ويمكن ملاحظة تهديد الامير قبل صدور التقرير بفترة قصيرة بكونه مستعد لوضع البلاد تحت الاحكام العرفية اذا اسيئ استخدام الحريات البرلمانية والاعلامية في البلاد وبالتأكيد يقصد تعرضها للحكم الحالي ومسائلته او وصولها الى حالة الفوضى الغير واقعية لحجم البلاد وقدراتها! فتلك خطوط حمراء دائمية لا يجوز تجاوزها بتاتا! اما مانراه من حريات موجودة في الصحافة وبقية وسائل الاعلام فهي مؤشر معاكس الاتجاه لقانون الحرية الليبرالية المعروف:اعمل ما شئت دون التعرض للاخرين بسوء!...اما قانون الليبرالية الحالي في الخليج

والذي تطبقه بأعلى درجة من الدقة وسائل اعلام الكويت ثم بعدها بفارق، قطر والسعودية، فهو القانون الجديد:اعمل ما شئت للاخرين دون التعرض بشيء لنفسك!...والمقصود لنفسك يعني الخاص والعام سواء حكومتك او ابناء شعبك الا في حالات استثنائية لبعض الاشخاص او الفئات المغضوب عليهم ! فهو كما نلاحظ قانون غريب وواقعي ولكنه غير مكتوب ويمكن رؤيته وتلمسه من خلال وسائل الاعلام المقروئة والمرئية كمثال نموذجي عليه!. بمعنى انه يمكن لك ان تتعرض للبلاد والشعوب الاخرى بأي شيء حتى ولو كان تحقيرا وتكفيرا وسبا وشتما واستهزاء بالخصوصيات الشخصية للشعوب المخالفة لهم مع الحط من القيمة الانسانية وتحريف الحقائق والوقائع دون ان يكون هنالك رادع قانوني اوعرفي! فتلك بحق هي الحرية الصحفية الفريدة من نوعها والتي لاتمت للعمل الاعلامي والحريات بشيء!...وهذا هو تقييم منظمة مراسلون بلا حدود لتلك الحريات سواء في الكويت او في دول شبيهة بها مثل قطر(قناة الجزيرة تفعل ما تشاء دون الخوض في الداخل القطري!) وغيرها رغم انها وضعت السعودية المشابهة لهما في ادنى المراتب وبصورة شبه دائمية وذلك لا غبار عليه! ولكن احتجاج وسائل الاعلام السعودية والممولة منها ان الحريات الموجودة فيها مشابهة لما موجود في الكويت او قطر!،فذلك صحيح ولا نعلم لماذا تجاهلت المنظمة ذلك في تقريرها! ... كما ان الصحافة في الكويت هي لاتختلف عن اي قطاع انتاجي او خدمي من حيث كون الغالبية الساحقة للعاملين فيه من دول اخرى لاتحمل بصمات الدولة المختارة في التصنيف ولا نرى سوى رؤساء تحرير وبعض المدراء والكتاب الاخرين من الجنسية المحلية! وهم بالطبع قلة ضئيلة... ويمتاز غالبية الكتاب المحليين بكثافة الكم الانتاجي مع ضعف واضح في النوعية ويتبين ذلك من خلال استخدام مفردات اللهجة المحلية الغير منتشرة في خارج البلاد رغم انها تستهدف القراء العرب الاخرون، وبصورة مكثفة حتى انتشرت في البلاد مقولة: من ليست له مهنة فليعمل كاتب،على اعتبار مهنة لاتحتاج الى شيء! مما ادى الى محاولة الدولة اصدار قوانين من قبيل منع مشاركة موظفيها في ذلك السلك السهل!وقد جوبهت تلك المحاولة بمعارضة شديدة! كذلك تمنع وسائل الاعلام من نشر كل مايمس الدولة او الرأي العام السائد والتي تخالفهم حتى ان مجلة عريقة كالعربي والتي كانت شبه مستقلة بفضل رؤساء تحريرها السابقين من مصر والذي ساعد على نشر دعاية مشرقة للكويت في الماضي مثل عمل القنوات الفضائية الان لدولها، تحولت بفضل رؤساء التحرير الاخيرين من الكويت، الى بوق اعلامي واضح للحكومة حتى اصبح معتادا وضع صور زعماء الاسرة الحاكمة فيها مع تواجد مادة النشر المؤيدة لهم وابعاد كل ما يعارض ذلك بطريقة تعيد الى الاذهان واقع الصحافة في الانظمة الشمولية من خلال تواجد صور زعمائهم على صدر

الصفحات بصورة يومية والزيارات اليومية فيما بينهم!،وهذه الظاهرة موجودة في الصحف المحلية مما يعني ضعف واضح لا لبس فيه لا يستدعي وضع تلك الدولة في قائمة الدولة الاولى عربيا رغم تخلف المرتبة عالميا في الحريات الاعلامية ! ولعدة سنوات ولكنه الاكثر مقبولية بالنسبة الى لبنان،مما يعني ان التصنيف يحتوي على اخطاء فادحة لاتغتفر...!

وضع مصر وهي الدولة العريقة في ميدان الصحافة والاعلام ،هو بالتأكيد محزن لكونه بائس وفي ادنى المستويات وبصورة شبه دائمية (المرتبة 143 من 175 في التقرير) ولا يساعد على تحسين صورة البلاد في الخارج ،وهذا نتيجة للحكم الاستبدادي الطويل والذي تميز بتقييده الحريات بصورة عامة مما يجعل الكثير من الكتاب والعاملين في السلك الاعلامي يتجهون الى بلاد اخرى خاصة دول الخليج والتي لا تستطيع بناء اعلام متميز دون الاستعانة بالخبرة الخارجية وخاصة المصرية واللبنانية، وبذلك يسود الاعتقاد ان كل ما تنشره وسائل الاعلام المصرية الحكومية هو غير مطابق للحقيقة بأي صورة كانت ولذلك تستمر الدولة بدعمه لكونه لايستطيع العيش بأستقلالية مادية،ومن يجازف في نشر كل ما يعارض النظام فمصيره الحصار والتشويه كما في الانظمة الشمولية الاخرى التي تنافس مصر في شدة القمع وليس في الحريات...!

وضع العراق ضمن المراتب المتدنية(145) هو غير واقعي لكون الحريات الاعلامية الموجودة فيه الان واسعة لدرجة وصلت الى حد الفوضى المفرطة! ولا ينافسه احد فيه ولكن لبنان فيه حرية منظمة الى حد ما مع افضلية في الاستقرار، ولكن وضعه في تلك المرتبة المتدنية هو جاء نتيجة لتدهور الوضع الامني فيه منذ عام 2003 وبذلك يمكن القول ان ذلك العامل رغم اهميته الكبيرة الا انه لايبرر بصورة كبيرة ذلك التقييم الذي يجب ان يلاحظ حجم الحريات الفوضوية بحيث اصبح تدخل فئات اخرى مسلحة امرا معتادا للحد من قدرته رغم الرفض الشعبي لذلك السلوك، ويمكن مشاهدة الحجم الكثيف لعدد وسائل الاعلام المختلفة والحريات في التعرض لاعلى المستويات في الدولة رغم جدية المخاطر الامنية التي هي طبيعية في نظام سياسي جديد بني على اعقاب حقبة سوداء طويلة من الديكتاتورية الشمولية، والغريب في تقرير سنة 2002 عندما كان النظام السابق موجودا،هو وضع العراق في مرتبة اكثر تقدما من الحالية رغم انعدام اي وجود للحريات مع شدة القمع الداخلي السري مما يعني ضعف واضح في التقييم ينبغي ملاحظتها واصلاحها في السنوات القادمة والا اهمل التصنيف واصبح بدون اي جدوى حتى في قراءته...!

تقييم الكثير من الدول يخضع ايضا لحالات العداء للنظام السياسي كما هو ملاحظ في حالة ايران من خلال استقراء وضع الحريات لحالات فردية من الاعتقال،ورغم ان ذلك يجعل وضعها في التصنيف متأخرا الا انه ليس بعد دول عديدة هي اسوأ بكثير من وضع الحريات الصحفية في ايران ولكنها تختلف في مدى علاقتها الوثيقة بالغرب او سرية اجراءاتها القمعية ويمكن ملاحظة ذلك في التصنيف...!

الملاحظ في التقرير هو اختصاص المراتب العليا في دول مستقرة لفترة طويلة في نظامها السياسي والاجتماعي،وهي اغلبيتها صغيرة ولا يوجد لديها احتكاك خارجي مع دول اخرى،وتمتاز بالالتزام بالليبرالية الفردية وتقاليدها العريقة ،ورغم ذلك فأنه ايضا خاضع للنقد والخطأ كما هو ملاحظ في حالة آيسلندا التي حصلت على المرتبة الاولى عام 2008 ثم المرتبة 9 في عام 2009 واكثر الظن انه يعود ذلك لشدة الازمة الاقتصادية المالية التي تعرضت لها،الا ان ذلك لا يبرر وضعها في تلك الدرجة لان الحريات الصحفية لم تتغير الا بصورة طفيفة جدا او في حالة الدانمارك التي حصلت على المرتبة الاولى واكثر الظن انها حصلت عليها لصمودها امام العالم الاسلامي من خلال تمسكها بحرية صحافتها في نشر الصور المعادية لنبي الاسلام محمد (ص) رغم ان ذلك ليس حرية مطلقة مادام هو يتعرض لعقائد الاخرين ومقدساتهم بينما في المقابل تمتنع او قد تخاف من طائلة القانون اذا تعرضت لحادثة تاريخية مثل انكار مذبحة الهولوكوست او التقليل من اعداد الضحايا فيها! رغم ان ذلك ليس بقدسية العقائد او حجم الحضور البشري في الحالتين،وهذا يجعلنا امام واقع مريب في التصنيف كونه يعتمد على عوامل ضاغطة مثل العداء السياسي او الديني او فردية مثل اعتقال صحفي واحد او اغتيال آخر مشبوه،فهي ليست من القوة التي يجعلها تمحو العوامل الاخرى والتي لم تتغير او تجعل المراتب التصنيفية تقفز بقفزات اقرب للبهلوانية الجنونية...!

بينما في حالة اخرى،نلاحظ في التصنيف ان الكثير من الدول الكبرى او ذات الحجم السكاني الكبير مثل الصين والهند وروسيا والبرازيل وغيرها،هي في مراتب ادنى في التصنيف مما يعني ان الوضع الداخلي بما فيه الامن والتنوع البشري والرغبة في المحافظة على القوة مع السياسة الخارجية هو مؤشر كبير ومؤثرعلى وضع الحريات الصحفية في الداخل والتي هي جزء من الحريات العامة التي تقل كلما كانت تلك العوامل ضاغطة عليها.

في التصنيف اخطاء كثيرة وبعضها فادح! بحيث نرى دول كثيرة يكون وضع الحريات بصورة عامة ضعيف الى درجة متعارف عليها،وهي في مراتب اعلى من دول اخرى يشاع عنها انها دول ديمقراطية وتحترم الحريات

الصحفية،ولكن كما هو ملاحظ اثر التقييمات الفردية والجماعية والتي تخضع لاهواء شتى في اصدار هذا التصنيف البعيد عن الموضوعية الى درجة كبيرة رغم انه يدعو الى نشر الحريات الصحفية في العالم والدفاع عن قضايا الصحفيين في كل مكان وهو جهد عظيم بلا شك وذو قيمة عالية يندر وجودها، الا ان ذلك لا يؤثر على بتاتا على اصدار هكذا تقرير غير واقعي او مشوه رغم بعض الجوانب الايجابية فيه...!

المحافظة على حيادية تصنيف ما وجعله ذو قيمة علمية وادبية رفيعة يجب ان تكون خارجة عن نطاق التقييمات الفردية او على الاقل تحد منها وتحاول مستقبلا تجاوز الاخطاء التي هي من السمات الطبيعية للعمل البشري وبدون الاخطاء رغم فداحتها غالبا،فأن البشرية لن تتطور نحو الافضل في كل شيء...!

أي دور للإعلام في التنمية المحلية؟

كيف نفهم مصطلح الإعلام

في الحقيقة، عندما نقرأ ما يكتب حول مفهوم الإعلام، يستفاد من ذلك أن هذا المصطلح يعني بصفة عامة، نشر الأخبار والمعلومات والإعلانات على الجماهير عن طريق وسيلة ما من وسائل الإعلام (1). غير أن هذا التعريف المتداول وغيره من التعريفات المختلفة، التي يكاد يحسبها الكثيرون جامعة مانعة، هل من شأنها أن تبين حقيقة مصطلح الإعلام بدقة ووضوح، لاسيما في العصر الحديث حيث صار الإعلام يتخذ أبعادا جديدة، يلتبس فيها الثقافي بالسياسي، والعلمي بالأيديولوجي، وما إلى ذلك !

إن التحول العميق الذي شهدته حياة الإنسان في العصر الحديث، اعترى مختلف المستويات والجوانب، فلم يكن الإعلام بمنأى أو منجى من ذلك، بقدر ما كان العنصر الأكثر حظا من ذلك التحول، كيف لا؟ وقد كان نفسه طرفا مشاركا وفعالا في تحول العالم وتبدله، فلم يعد الحديث عن الإعلام باعتباره مجرد آلية لتوصيل الخبر، وإنما بوصفه قوة لازوردية تؤثر بشكل سحري في الجمهور، ومن ثم تساهم في تشكيل أفهامهم وتوجيهها، كما أنه لم يعد الحديث عن الصحافة باعتبارها سلطة رابعة، وإنما سلطة أولى !

على هذا الأساس، فإن مفهوم الإعلام توسع أكثر، فاقتصرت تعريفاته اللغوية والاصطلاحية العتيقة على المعاجم والبحوث الأكاديمية التقليدية، أما الدراسات الإعلامية الحديثة، فلا تلتفت إلى تلك التعريفات المستهلكة، بقدر ما تربط مفهوم الإعلام بالواقع المعاصر، وما يعتريه من أحداث ومستجدات سياسية

واقتصادية وثقافية وتكنولوجية، مما سوف يجعل مفهوم الإعلام يتخذ دلالات جديدة تحيل على السلطة والقوة والتأثير والهيمنة والسيطرة وغير ذلك. فصاحب كتاب (المتلاعبون بالعقول) هربرت أ. شيللر، يفسر في مقدمة الكتاب، كيف يتحول الإعلام من جهة أولى، إلى عملية تضليل، ومن جهة ثانية إلى أداة قهر وقمع! فعندما "يعمد مديرو أجهزة الإعلام إلى طرح أفكار وتوجهات لا تتطابق مع حقائق الوجود الاجتماعي، فإنهم يتحولون إلى سائسي عقول، ذلك أن الأفكار التي تنحو عن عمد إلى استحداث معنى زائف... ليست في الواقع سوى أفكار مموهة أو مضللة!". ثم "إن تضليل عقول البشر هو، على حد قول باولو فرير، "أداة للقهر". فهو يمثل إحدى الأدوات التي تسعى النخبة من خلالها إلى "تطويع الجماهير لأهدافها الخاصة"." (2) وقد توقف المفكر الأمريكي نعوم تشومسكي في كتابه (السيطرة على الإعلام)، عند جانب الدعاية المضللة للإعلام، فرأى أن مواجهة تمرد القطيع/الشعب في الدولة الشمولية أو العسكرية يتم بسهولة تامة، إذ "فقط عليك أن تمسك بهراوات فوق رؤوسهم، وإذا خرجوا عن الخط ما عليك إلا أن تحطم تلك الهراوات فوق رؤوسهم، ولكن في مجتمع أكثر ديمقراطية وحرية، فقدت هذه الوسيلة، فعليك إذن اللجوء إلى أساليب الدعاية والمنطق، فالدعاية في النظام الديمقراطي هي بمثابة الهراوات في الدولة الشمولية، وهذا أمر يتسم بالحكمة".(3) أما المفكر المغربي د. المهدي المنجرة، فيدرك بعمق أن مفهوم الإعلام هو أكبر مما تحدده المعاجم، فهو حسب فهمه "المادة الأولية للمعرفة باعتبار أن المعرفة إعلام قد تم تركيبه وتأليفه حسب تصور معين"(4)، وقد أصبح الإعلام يتجه حاليا إلى تحويل مجتمع الإنتاج الصناعي إلى مجتمع إعلام ومعرفة، فترتب عن ذلك أنه صار "مصدر تفاوت وتسلط سياسي وتفوق عسكري وهيمنة اقتصادية وثقافية"

ما هي أهم شروط الإعلام المنشود؟

في خضم هذه الرؤية، نشأ لدي وعي أكيد بأن الاستمرارية السليمة، لا تتحقق في العصر الحديث إلا للأمم والشعوب التي تملك إعلاما متوازنا وقويا، وهذا الإعلام لا يتشكل فجأة، وإنما ينبثق من تراكم علمي ومعرفي، يشهد بتجارب وإنجازات سابقة مهدت تدريجيا لنشأة هذا الإعلام القوي وتشكله. هكذا فإن آفة العالم العربي والإسلامي تتحدد في غياب إعلام قوي، يؤدي أكثر من وظيفة حضارية، بدءا بمحو الأمية... وصولا إلى الدعوة المنظمة إلى الإسلام. مما فتح

الباب أمام الغزو الإعلامي الأجنبي، فأصبح العالم الإسلامي كله حقل تجارب لكل من هب ودب، من الشرق أو من الغرب!

لذلك، ليس أمامنا إلا أن نمضي على هذا النحو، ونحن كلنا إيمان بأنه لم يبق في أيدينا إلا رهان واحد، يمكن أن نبين من خلاله حقيقة حضارتنا الإسلامية؛ للذات وللآخر، للحاضر وللمستقبل، لأننا جربنا كل الرهانات من دبلوماسية ومقاطعة ومواجهة وتبعية وغير ذلك، غير أننا فشلنا فشلا ذريعا! وهذا الرهان، هو رهان الإعلام، لكن ليس أي إعلام!

ترى بأي إعلام نستطيع أن ننفتح على الآخر، فنتمكن من إيصال حقيقتنا الدينية والحضارية إليه؟ في واقع الأمر إن ذلك الإعلام، الذي يمكن وصفه بالقوي والمتوازن، يقتضي جملة من الشروط، التي تتحدد أهمها كالآتي:

النهج العلمي: والمقصود به حضور البعد العلمي في الأداء الإعلامي والصحافي، الذي من شأنه أن ينظم المعرفة الإعلامية، مبنى ومعنى، مضمونا وأسلوبا، فيجنبها السقوط في الإسفاف والعشوائية، لاسيما وأن أغلب ما ينشر ويبث في وسائل الإعلام يفتقد العلمية والتنظيم والدقة، لذلك فهو يندرج في نطاق ذلك الخطاب الإخباري أو الدعائي المرحلي، حيث قلما نصادف الصحافة العلمية، ليس فيما يتعلق بجانب المحتوى فحسب، وإنما بجانب الأداء كذلك.

الحس الموضوعي: ويعني طلب الموضوعية باعتبارها "دراسة الظواهر كأشياء لها وجودها الواقعي الخارجي ومنفصلة عن كل ما هو ذاتي شخصي كالآراء المسبقة والرغبات والنزعات والأهواء الشخصية"(6). فما أحوج إعلامنا العربي والإسلامي إلى الابتعاد عن العاطفة والانفعال، وتجاوز لغة الانطباعات إذ أن معظم ما يقدمه الإعلام العربي والإسلامي، يظل حبيس دائرة الخصومات الشخصية والصراعات الأيديولوجية، حقا إن هذه الأمور يمكن أن تشكل مضامين إعلامية ساخنة وجادة، غير أن ذلك يقتضي أداء واقعيا خلوا من الآراء التنميطية المسبقة والأهواء الشخصية والسياسية.

تحري المصداقية: وكلمة المصداقية مشتقة من الصدق، وهي تعني مطابقة القول للعمل، أي أن ما يقوله الإنسان وما يعد به، ينعكس في أعماله وسلوكاته، وما ينطبق على الإنسان ينطبق كذلك على الإعلام، الذي يتحتم عليه أن يكون صادقا في نقله لقضايا الواقع، غير أنه قلما نجد وسائط إعلام تضع في الحسبان جانب الصدق، فثمة من الوسائط من يطوع تلك القضايا ويوظفها لأغراض إيديولوجية وسياسية، وثمة من يروج مغالطات لا أساس لها من الصحة والواقعية، لذلك نشأت

في أذهان الناس مسلمات تحط من قيمة الإعلام، ولا تحسبه إلا ناقلا للأراجيف، ومسوقا للشائعات.

الرؤية المتوازنة: ويراد بها أن يشمل الإعلام جوانب الحياة ومجالاتها كلها، فلا يهتم بمجال معين على حساب مجال آخر، كالرياضة أو السياسة أو الأخبار اليومية، كما نجد في أغلب وسائل الإعلام العربي والإسلامي، في حين يكاد ينعدم الإعلام التربوي أو التعليمي، ويقل إعلام الطفل، وغيرهما. هذا على المستوى العام، أما على المستوى الخاص، الذي يعني به التوازن الذاتي لكل وسيلة إعلام على حده، سواء أكانت جريدة أم إذاعة أم قناة أم موقع رقمي أم غير ذلك، فينبغي أن تشمل تلك الرؤية كل حيثيات تلك الوسيلة، من شكل ومضمون وأداء وآليات وما إلى ذلك.

بصيرة الاستشراف: إن الإعلام لا يقف عند وصف الكائن ونقله فحسب، وإنما يضيف إلى ذلك خاصية أساسية وهي التوقع بما سوف يحصل، واستشراف الممكن، ولا تتأتى هذه الخاصية إلا لذلك الإعلام الموجه والمتمكن، الذي يكتسب مع مرور الأيام وتراكم التجارب، بصيرة استشرافية تستشعر بناء على أحداث الواقع ومعطياته، كيف سوف يكون المستقبل القريب أو المتوسط، وبنسبة أقل المستقبل البعيد.

كيف نفهم مصطلح التنمية؟

إن الاقتصاديين يكثرون من استعمال عبارة التنمية، التي يقصدون بها رفع مستوى الدخل القومي بزيادة متوسط إنتاج الفرد، لكن هذه العبارة لم تبق محصورة في المجال الاقتصادي، بقدر ما نزحت نحو أغلب حقول العلوم والمعارف الإنسانية، فيطلق على أية طريقة تستهدف تحسين وضعية ما أو تطويرها، من حالة الرداءة إلى حال الجودة والعطاء تنمية، التي يعبر عنها في المعاجم اللغوية بتكثير الشيء وزيادته؛ فتنمية النار في إشباع وقودها، وتنمية التجارة في رفع أرباحها ورأسمالها، وتنمية الجوار في تطوير العلاقات فيما بين الدول المجاورة، وهكذا دواليك.

وقد تناول د. إبراهيم العيسوي قضية التنمية في كتابه (التنمية في عالم متغير)، حيث تعرض إلى التطور التاريخي لهذا المصطلح، يقول: "إذا تتبعنا تطور مفاهيم التخلف والتنمية، فسوف نجد أنها قد مالت في أول الأمر إلى التركيز على جانب النمو الاقتصادي وما يتحقق فيه من إنجاز. فقد كان التعريف الشائع للبلدان النامية منذ أواخر الأربعينات حتى أواخر الستينات أنها البلدان التي ينخفض فيها مستوى الدخل الفردي كثيرا بالقياس إلى مستواه المتحقق في البلدان المتقدمة.

وعرفت التنمية بأنها الزيادة السريعة والمستمرة في مستوى الدخل الفردي عبر الزمن".(7) إلا أنه سوف يكتشف بأن هذا المفهوم الذي يختزل التنمية في مجرد النمو الاقتصادي السريع، ضيق وغير صائب، لأن ثمة بلدانا نامية عديدة، كما يستخلص الباحث، حققت معدلات نمو للدخل القومي قريبة من المعدل الذي حدده خبراء التنمية، غير أنها بقيت مستويات المعيشة بها متردية، وظلت الكثير من قطاعاتها تتخبط في الفقر والجهل والمرض والتخلف. (8) على هذا الأساس، فإن مفهوم التنمية سوف يحافظ على البعد الاقتصادي، وفي الوقت ذاته يضيف إليه أبعادا متعددة، وهكذا فإن خبرة الخمسينات والستينات سوف تساعد "على صقل المفهوم الأوسع للتنمية، بتحجيم دور العنصر الاقتصادي في مفهوم التنمية (أي النمو الاقتصادي)، وبإبراز دور الجوانب المؤسسية والهيكلية والثقافية والسياسية".

وتجدر الإشارة في هذا الصدد إلى أن المؤرخين لمفهوم التنمية يميزون بين ثلاث مراحل أساسية مر بها هذا المفهوم، وهي على التوالي:

مرحلة الفكر الرأسمالي: وتعتبر فيها الحرية الفردية من أهم دعامات النموذج الرأسمالي، الذي يمنح الفرد حرية تكاد تكون مطلقة، على حساب الجماعة، وتشمل هذه الحرية مختلف ممارسات الحياة وجوانبها، كالدينية والثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وقد ارتبط ظهور مفهوم التنمية في الفكر الرأسمالي بما هو اقتصادي، حيث يتمتع الفرد بالحرية في نشاطاته الاقتصادية، ولا تتدخل الدولة فيها، إلا بشكل جزئي، عندما يتعلق الأمر بالضرائب، أو بالحماية النسبية من المنافسة. وقد سعت العديد من دول العالم الثالث، بما فيها المنطقة العربية، إلى استيراد النموذج التنموي الرأسمالي، غير أنها لم تفلح في أن تستنبته بشكل سليم ومثمر في مجتمعاتها النامية، بقدر ما ظلت تتخبط في مأزق التبعية للعالم الرأسمالي، وانتظار معوناته الاقتصادية والفكرية والتكنولوجية، فكانت النتيجة أن فشلت معظم مشاريع التنمية المستوردة من الغرب.

•مرحلة الفكر الاشتراكي: إن النموذج الماركسي جاء كرد فعل على التوجه الرأسمالي الغربي، فسعى حثيثا إلى استبدال أغلب مبادئ الرأسمالية ومقولاته، برؤى مثالية جديدة، وقد انطبق ذلك أيضا على مفهوم التنمية، إذ يذهب الاشتراكيون التقليديون إلى أن التغيير الواقعي لا يتم إلا بالتنمية الاجتماعية الموجهة، اعتبارا بأن التغيير في الفكر الماركسي لا يتأتى إلا عن طريق الثورة، والانقلاب الجذري على المنظومة الاجتماعية القديمة، وتعويضه بتركيبة مجتمعية جديدة، تتأسس على الجماعة وليس على الفرد، كما في النظام الرأسمالي.

التوجه الجديد: الذي أصبح فيه الإنسان أكثر وعيا بأهمية المجتمع المدني في تنمية الواقع الذي ينتظم فيه، وقد أدت منظمة الأمم المتحدة دورا مفصليا في نشر هذا النوع من الفكر، من خلال مختلف التقارير والمنشورات والمواثيق التي تصدرها، ويتحدد مفهوم التنمية لديها في أنها "ليست بالعبء، وإنما هي فرصة فريدة - فهي تتيح، من الناحية الاقتصادية، إقامة الأسواق وفتح أبواب العمل؛ ومن الناحية الاجتماعية، دمج المهمشين في تيار المجتمع؛ ومن الناحية السياسية، منح كل إنسان، رجلاً كان أم امرأة، صوتاً وقدرة على الاختيار لتحدّي مسار مستقبله".(11(

وما يسترعي الانتباه أن أغلب المنظرين العرب والمسلمين لمفهوم التنمية، يقتصرون في ذلك على التفسيرات الغربية، كما أنها هي وحدها الموجودة، وأن الإنسان لم يتمتع بوعي تنموي إلا في ظل الحضارة الغربية الحديثة، في حين أن الدراسات التاريخية تشير، بشكل أو بآخر، إلى أن مفهوم التنمية قديم قدم الإنسان، وأن أية مجموعة بشرية إلا وشهدت نوعا من التنمية المادية أو الموضوعية. وتجدر الإشارة في هذا الباب، إلى أن التاريخ الإسلامي لم يخل من البعد التنموي، في مختلف مستوياته، الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعلمية والعسكرية، وغير ذلك، بل وأن المتفحص لتعاليم الدين الإسلامي، يدرك مدى حضور الهاجس التنموي في العديد من النصوص القرآنية والحديثية، هذا ناهيك عن اجتهادات العلماء، وتأملات الفلاسفة، وتوجيهات المربين، وإنجازات الحكام.

وقد تناول د. إبراهيم العسل هذا الموضوع في كتابه (التنمية في الإسلام)، يقول: "يقوم التصور الإسلامي للتنمية على أساس أن الله سبحانه وتعالى قد خلق الكون واستخلف الإنسان في الأرض ليقوم بعمارتها، وفق منهج الله وشريعته، وقد خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان متميزا عن سائر المخلوقات ليكون قادرا على أداء هذه المهمة، وهيأ له بفضله وكرمه كل ما يمكنه من أدائها، وأنه على ضوء قيام الإنسان بهذه المهمة يتقرر مصيره ويتحدد مستقبله في الدنيا والآخرة".(12) وقد توقف الباحث عند مجموعة من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية، التي تتضمن إشارات بليغة حول مفهوم التنمية، مثل هذه الآية الكريمة التي تنبه على عدم التبذير، (وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا)،(13) فمضمونها الداعي إلى عدم الإفراط والإسراف، لا يختلف كثيرا كما هو وارد في مواثيق الأمم المتحدة، وقوانين العديد من الدول، التي تحث على ترشيد النفقات وتوجيهها، وعدم تبذير الموارد البيئية والطبيعية خاصة. ثم إن خاصية التنمية في الإسلام "ليست عملية إنتاج فحسب، وإنما هي عملية كفاية في الإنتاج مصحوبة بعدالة في

التوزيع، وأنها ليست عملية مادية فقط، وإنما هي عملية إنسانية تهدف إلى تنمية الفرد وتقدمه في المجالين المادي والروحي".(14)
أشكال وتجليات الإعلام المحلي

غالبا ما يختزل الناس الإعلام في جملة من الوسائل التواصلية، سواء التقليدية كالجرائد والمجلات والملصقات والإذاعات والتلفاز وغيرها، أم الحديثة كالفضائيات والإنترنت والهواتف والفاكسات، وما إلى ذلك. هكذا فإن فهم الناس ينصرف دوما إلى وسائل الإعلام المستوردة من خارج الواقع الذي يعيشون فيه، كأن الإعلام ما هو إلا منتوج أجنبي وافد عليهم، وهم يلغون بذلك، بلا وعي منهم، العديد من الأشكال الإعلامية التي ينتجونها ويتداولونها، إما؛

- لأنهم لا يستوعبون المفهوم الحقيقي لمصطلح الإعلام، ووسائل الاتصال.
- أو لأنهم يرون في بعض الأشكال الإعلامية السائدة في واقعهم، أدوات لا ترقى لأن تشكل وسائل إعلامية مرضية ومقبولة.
- أو لأنهم ينبهرون بالوسائل الإعلامية الأجنبية، مما يدفعهم إلى تبنيها، واستبدال وسائلهم التقليدية بها.

من هذا المنطلق، ينبغي تصحيح هذه الرؤية المغلوطة، والإقبال على الأشكال الإعلامية المتنوعة التي ينطوي عليها واقعنا، وتتضمنها ثقافتنا المغربية والأمازيغية، لأن الإعلام الحقيقي والجاد لا يكون كذلك إلا إذا كان نابعا من البيئة التي يوجد فيها، أما إذا تم استيراده من الخارج، وقمنا بإسقاطه على مجالنا التداولي، فإن ذلك سوف ينتج عنه لا محالة إعلام مفصول عن الواقع، لا يعبر عن هموم الناس وانشغالاتهم.

وبالنظر إلى واقعنا المحلي، يمكن تحديد أهم مكوناته الإعلامية من خلال الأشكال التواصلية الآتية:

أبراح/المنادي: وعادة ما يستعمل صوته أو آلة معينة لإيصال صوته، كالبوق مثلا، وتتعدد مظاهره حسب الرسائل الإخبارية والفكرية التي يسعى إلى إيصالها، كأن تكون رسالة تجارية، كما هو حال البائعين في الأسواق، أو رسالة ترفيهية، كما هو الشأن بالنسبة إلى (الحلايقيين) في الأسواق، أو رسالة دينية، وخير تعبير على ذلك هو صوت المؤذن الذي يدعو الناس إلى إقامة شعيرة الصلاة، أو رسالة ثقافية وأدبية، كما هو الحال بالنسبة إلى الشاعر الأمازيغي (أمذياز)، الذي يتنقل عبر المداشر والقبائل ليلقي أشعاره على الناس، وغير ذلك من الرسائل.

- الملصقات: وهي تتضمن مختلف الإعلانات الإخبارية، التي تعلم بنشاط أو تظاهرة معينة، وعادة ما تستعمل هذه الآلية في واقعنا، من قبل المؤسسات

التعليمية والجمعيات الثقافية والرياضية. بالإضافة إلى إشارات المرور، ولوحات المحلات التجارية ومختلف المؤسسات، التي تكون ملونة، أو مضاءة، أو متحركة.

- المنشورات والأدلة: وهي شكل تواصلي مفضل لدى المؤسسات البنكية ووكالات الأسفار والتأمين والاتصال، أصبحت في متناول كل مواطن، فهي معروضة في أغلب هذه المؤسسات.
- المنابر الورقية: كالجرائد والمجلات والكتب، وهي على المستوى المحلي شحيحة نوعا ما، غير أنه بدأ يظهر البعض منها في الآونة الأخيرة.
- المنابر الرقمية: من مواقع إلكترونية إخبارية ومدونات ومنتديات، وغيرها كثير، وقد أدى هذا الشكل دورا كبيرا في تفعيل الإعلام المحلي، والكشف عن كثير من القضايا التي كانت مطوية، والتعريف بالواقع المحلي بدون حواجز مادية أو رقابية.
- الإعلام المدرسي: ويتمثل في مختلف الأنشطة التربوية التي تقوم بها المؤسسات التعليمية المحلية، كالمسابقات والأمسيات الثقافية والمسرحيات والاجتماعات، وغير ذلك.
- الإعلام الشعبوي: ويتجلى من خلال مختلف السلوكات التواصلية اليومية، كالمحادثات العادية، ومحادثات الغيبة والنميمة، والتجمعات الشعبية، والتظاهرات الرياضية، والاحتفالات، والجنائز، والأعراس، والشعائر الدينية، وغير ذلك.

بناءً على هذه الأشكال التواصلية التي يزخر بها الواقع، تتعين أهم مصادر الإعلام المحلي، التي يمكن للصحافيين والإعلاميين المحليين الاعتماد عليها، فيما يأتي:

- الجمعيات بمختلف أنواعها (ثقافية، رياضية، تنموية، فلاحية....
- المؤسسات التعليمية العمومية والخصوصية.
- المساجد ودور العبادة.
- مؤسسات الدولة (الجماعات، القيادات، الدوائر، المندوبيات، الدرك، الأمن، المراكز الصحية....
- الوكالات التجارية والخدماتية والمالية (أبناك، أسفار، بريد، اتصالات، وكالات عمومية، تأمينات....
- دور الشباب والثقافة (ملاعب، نوادي، مقاهي الإنترنت، مكتبات).
- المواقع الرقمية والمنتديات والمدونات.
- المقاهي العامة والأسواق والحمامات...

كيف يساهم الإعلام التنموي في تنمية الواقع؟

يعتبر الإعلام التنموي أرقى مستوى بلغه الإعلام في تطوره التاريخي، الذي مر فيه بمراحل متعددة، وتسلق مستويات مختلفة، تتنوع بتنوع سواء الحقول المعرفية التي يشتغل عليها الإعلام، أم التوجهات الفكرية والأيديولوجية التي تهيمن على الممارسة الإعلامية، وتجدر الإشارة إلى أن تلك المستويات تتحدد حسب الأبعاد التي يتخذها الإعلام، كالأيديولوجي، والوصفي، والاجتماعي، والديني، والتربوي، والاقتصادي، وهلم جرا.

ولا يعني هذا أن هذه المستويات كلها ما عادت تجدي، وإنما تحضر بشكل لافت في المعادلة الإعلامية المعاصرة، غير أنها طورت أكثر من قدراتها ومنهجياتها ومقاصدها، لتواكب البعد التنموي للإعلام، فتنخرط كلها في عملية التنمية التي يشهدها الواقع. ويعود الفضل تاريخيا في نشأة هذا النوع من الإعلام، إلى الباحث ويليبر شرام الذي ألف كتابا في وسائل الإعلام والتنمية، وهو يرى أن الإعلام التنموي فرع أساسي ومهم من فروع النشاط الإعلامي، "وهو قادر على إحداث التحول الاجتماعي والتغيير والتطوير والتحديث، يتم فيه وضع النشاطات المختلفة لوسائل الإعلام في سبيل خدمة قضايا المجتمع وأهدافه العامة أو بمعنى آخر هو العملية التي يمكن من خلالها توجيه أجهزة الإعلام ووسائل الاتصال الجماهيري داخل المجتمع بما يتفق مع أهداف الحركة التنموية ومصلحة المجتمع العليا". (15 (

كما أنه أومأ في هذا الكتاب الطلائعي، إلى أهم الأدوار التي تؤديها وسائل الإعلام، كأن "توسع من آفاق الناس، ويمكنها أن تلعب دور الرقيب، ويمكنها أن تشد الانتباه إلى قضايا محددة، وكذلك يمكن أن ترفع طموحات الناس، ويمكنها أن تصنع مناخا ملائما للتنمية، ولا يخفى في النهاية، ما لوسائل الإعلام من مهمات تعليمية ودور في صناعة القرارات".

هكذا تتضح أهمية الإعلام التنموي في حياة الإنسان المعاصر، وتتحدد أهم ملامح هذا الإعلام، وهي ملامح أساسية فيه بإجماع العديد من الأكاديميين والباحثين والمتخصصين في علوم الإعلام، كالآتي:

- الإعلام التنموي تجاوز الأساليب التقليدية المتمثلة في نقل المعلومة فقط، إلى المشاركة الفعالة في كافة خطط التنمية، وتتبع سيرها من خلال مختلف الأنشطة والأشكال الإعلامية.

- يظهر دور الإعلام التنموي بجلاء أثناء تعرض الواقع إلى أزمات وحالات طوارئ مفاجئة، من خلال اعتماد الإعلام على استفزاز الواقع اليومي وخلق جو من الألفة والتفاعل مع الضحايا والمتضررين.
- يساهم الإعلام التنموي في تلقين الناس المهارات والأساليب اللازمة التي تقتضيها عملية التحديث والتطور، لاسيما الجرأة وانتقاد المسئولين وعدم الخوف منهم.
- يشارك الإعلام التنموي في تنمية المجتمع المباشرة من خلال شتى الأنشطة والإسهامات، كمحو الأمية الهجائية، وتنظيم الدورات التكوينية، والتثقيف النسائي، والتربية، وغير ذلك.
- كلما كان الإعلام التنموي متطورا في أدائه ووسائله، كلما أثر ذلك أكثر في الواقع، فالدراسات تجمع على أن ثمة ارتباطا وثيقا بين النمو الاقتصادي ونمو وسائل الإعلام.
- وفيما يتعلق بتوظيف وسائل الإعلام في التنمية المحلية ينبغي؛
  1) أن ترتبط تلك الوسائل بالبيئة المحلية وثقافة المنطقة.
  2) التنسيق الشمولي مع مختلف المؤسسات، سواء أكانت رسمية، أم مدنية.
  3) أن يكون المشرفون على تلك الوسائل الإعلامية في الغالب الأعم من أبناء المنطقة، يستوعبون مشاكل الناس وحاجياتهم.

بناء على ما سبق ذكره، وارتباطا بواقعنا المحلي، نخلص إلى المحصلات الآتية:

- ✓ أولا: التنمية هي مسؤولية الجميع، سلطات ومواطنين، مؤسسات الدولة ومؤسسات المجتمع المدني، لذلك ينبغي تغيير تلك النظرة التقليدية التي كانت تربط كل شيء بالدولة.
- ✓ ثانيا: آن الأوان لتجاوز مرحلة الإعلام التنميطي الوصفي، المبني على المعارضة من أجل المعارضة، كما كان سائدا في الماضي، إذ ظل الإعلام مرهونا بما هو سياسي وأيديولوجي وحزبي، متأثرا به، والآن أصبح الإعلام هو الذي يؤثر فيما هو سياسي، فهو ليس السلطة الرابعة كما كان سائدا في الأدبيات التقليدية، وإنما السلطة الأولى!
- ✓ ثالثا: الانتقال من مرحلة الدعاية والتعبئة والخطابات الأيديولوجية، إلى مرحلة الإنتاجية، من خلال جمعيات المجتمع المدني التنموية، ويؤدي الإعلام دورا محوريا في هذه التنمية، باعتباره ليس محفزا فحسب، وإنما محفز وموجه وطرف أساس في صناعة هذه التنمية.

هكذا ينبغي أن تشكل هذه العناصر الثلاثة موجهات أساسية لإعلامنا التنموي المحلي، حتى ينخرط في تطوير واقعنا المتردي، ويسهم بقسط وافر في التنمية المحلية، التي تسعى حثيثا إلى تحقيقها كل مكونات المجتمع وأطيافه.

توجيهات أساسية للكفاءات الإعلامية المحلية

أود أن أضع في هذا المبحث بعض التوجيهات الأساسية، التي ينبغي لكل إعلامي أو صحافي محلي أن يستحضرها في ممارسته الإعلامية اليومية، سواء في الفضاءات العامة، كالشوارع والملاعب والمقاهي، أم في المؤسسات الرسمية، أم في جمعيات المجتمع المدني، أم في غيرها من المؤسسات العمومية والخصوصية، أم عبر مختلف وسائل الإعلام الورقية والرقمية.

النزول إلى الواقع وتوعية العامة

والمقصود بذلك الشعور والاكتواء بهموم الناس، قبل الكتابة عنها، إذ لا يقتصر الإعلام على وصف تلك الهموم فحسب، وإنما يبحث في أسبابها وعواملها الخفية، لا ليواسي الناس ويرثي حالهم، بل ليكون طرفا مهما في حل مشاكلهم، والإجابة عن أسئلتهم الإشكالية والمستغلقة، ففي الغرب على سبيل المثال، توجد مكاتب ومؤسسات تتخصص في هذا المجال، وتقدم لها الميزانيات الهائلة للبحث في مشاكل الناس ومعالجتها، وتقديم التوعية الكافية حول كيفية تجنبها، أو كيفية التعامل معها.

نموذج ظاهرة الطلاق: يقوم الإعلام المحلي (الصحافة المكتوبة، الصحافة الرقمية، الإعلام المدرسي، الجمعيات...) بتناول ظاهرة الطلاق داخل المجتمع، بالاستناد إلى الحالات المطروحة على المحكمة، والإحصاءات المتوفرة لدى المصالح القضائية المختصة، إضافة إلى تصريحات الأطراف المعنية (أصحاب الدعاوى، الضحايا، القضاة، المحامون...)، ثم بعد ذلك يقوم الإعلام بدراسة موضوعية لهذه الظاهرة، والتنقيب عن أسبابها الخفية والمعلنة، وعواقبها على الأطفال وعلى المجتمع، ثم يطرح مجموعة من الحلول الممكنة، ويدعو إلى ثقافة الإصلاح، وتوعية الرأي العام بذلك، بإشراك بعض الجمعيات والمصالح النسوية التي تمت بصلة ما إلى هذا الإشكال، على أن تكون طرفا مباشرا وأساسا في هذا الإصلاح، دون إغفال دور الأئمة في هذا المجال، بحيث يلتمس منهم هذا الإعلام

التنموي التكثيف من خطبهم ومواعظهم في هذا الصدد. وينطبق هذا كذلك على العديد من المعضلات الاجتماعية، كالعنف المنزلي، واستغلال الأطفال، والهدر المدرسي، والتسول، وتعاطي المخدرات، وغير ذلك.

البحث عن أسباب الخلل في الواقع

كما هو معلوم لا يخلو أي مجتمع من نقص ما أو خلل في تركيبته البنيوية، أو التسييرية، أو غيرهما، لذلك فوظيفة الإعلام التنموي هي البحث الحثيث عن مكامن الخلل الذي يعتريه، سواء في بعده البيئي، أم التعليمي، أم الاجتماعي، أم الثقافي، أم التنظيمي، وما إلى ذلك، فلا يكتفي الإعلام بوصف المشكلة، وإنما مدعو إلى التنقيب في العوامل المؤدية إليها، ثم تقديم الحلول الناجعة والممكنة لها.

نموذج عدم اشتغال المصابيح الكهربائية في شارع معين: ففي هذه الحالة لا يكون دور الإعلام هو توصيف هذا العطب، والكتابة عنه بأسلوب الفضح، كما كان سائدا في صحافة المعارضة التقليدية، التي ربتنا على المعارضة من أجل المعارضة، وإنما يقتضي المقام من الصحافي والإعلامي أن يحيط وصفا بهذه الحالة، وبشكل دقيق وموضوعي، بالكلمة والصورة، ثم يتوجه إلى الجهات المسئولة والمعنية (مجلس بلدي، سلطات، شركة كهرباء، مواطنون...)، ويسألها حول هذا المشكل بأسلوب موضوعي مبني على الحوار البناء، ليكون طرفا مهما في تسوية ذلك الخلل، فهو بذلك الأسلوب يحث الجهات المسئولة على خدمة المجتمع، أما أنه إذا ما سارع إلى نشر ذلك الخبر دون التحقق منه ومساءلة الجهات المعنية، فإنه لا يخدم المجتمع في شيء، بقدر ما يعرقل مشروع التنمية، بزرع الصراع بين الإعلام والدولة، بين المثقفين والمسئولين، بين المواطنين والسلطات، كما أن أي مغالطة أو مزايدة تعتري ذلك الخبر، قد تجعل المسئولين يضيقون الخناق على الإعلاميين، بل ويعتقلونهم باسم القانون! ثم إن الإعلامي عندما يتوجه إلى الجهات المعنية، عليه أن لا يتعامل معها بأسلوب انفعالي واحتجاجي، وإنما بأسلوب لبق وتعاوني، إذا ما أراد أن يقدم إعلاما تنمويا، يشارك من خلاله في تنمية واقعه وتطويره.

الحضور المستمر للإعلام

ويتم هذا الحضور في مختلف الأنشطة المقررة التي تقوم بها مصالح السلطة المحلية وهيئات المجتمع المدني، بل وعلى الإعلام أن يكون طرفا مهما في تلك الأنشطة، ليس لتغطية الحدث فحسب، وإنما لمساءلة الجهات المعنية، وتقديم الملاحظات الجادة، على هذا الأساس على منظمي تلك الأنشطة أن يخبروا وسائل الإعلام المحلية بذلك، في مقابل ذلك، يتوجب على الإعلاميين المحليين الانفتاح

على مكونات الدولة وهيئات المجتمع المدني، بأسلوب جاد، يرتكز على التعاون والتفاعل والإصغاء والنقد البناء.

نموذج الاجتماع الدوري للمجلس البلدي: إذ يتحتم على المجلس البلدي أن يخبر بذلك الحدث وسائل الإعلام المحلية، دون تمييز أو استثناء، بل ويستدعيها لحضور الاجتماع، كما على وسائل الإعلام أن لا تؤدي دور الند والفاضح، ولا تمارس النقد المعارض والهدام، وإنما أن تصغي بتمعن، وتطرح الأسئلة العميقة والجادة، وتغطي الحدث بشكل موضوعي ودقيق وبعيد عن المغالطات والمزايدات والانفعالات. فرب سؤال وجيه يطرحه إعلامي ناشئ على أعضاء المجلس البلدي، قد يكون سبب لمشروع متميز وناجح، خير من ألف مقترح أو خطة عمل يطرحها المجتمعون كلهم!

أهمية الإعلام التربوي

يعد الإعلام المدرسي والتربوي مكونا رئيسا في الإعلام التنموي، وهو لا يعني فقط المجلات الورقية والحائطية التي تصدرها المؤسسة التعليمية، ولا المواقع الرقمية الخاصة بالأطفال، ولا الرسائل الإخبارية الموجهة إلى الآباء والأمهات، وإنما هو أكبر من ذلك كله، إنه التوعية المتدرجة للطفل بقيمة الإعلام في حياته، فالوعي هو أس التربية، أما المعارف والمعلومات فيلتقطها الطفل ويستوعبها بالتكرار والحفظ، أما الخبرات واستخدام الأدوات فيكتسبها بالممارسة والتمرن. ويساهم الإعلام (إلى جانب المعلم، البيت، المحيط...)، بقسط وافر في زرع ذلك الوعي وتشكيله، وتظل الشاشة، في يوم الناس هذا، أهم وسيلة ينجذب إليها الطفل؛ تقدم له الصورة والحركة والكلمة والأغنية واللعبة والتسلية... غير أنها تحرمه من أهم شيء، وهو الحنان والدفء الأسروي، الذي كانت تقدمه الوسيلة الإعلامية التقليدية له، والتي هي الجدة، التي كانت بمثابة الشاشة؛ تحضن أحفادها بدفء، وتشرع في تلقينهم تجارب الحياة ومعارفها، لكنه باجتياح الشاشة لواقعنا المحلي، تم إقصاء الجدة وعزلها، وأصبح أطفالنا مدمنين على الصورة والشاشة، التي زرعت فيهم سلوكات غير سوية، كالانعزال، والعنف، والأنانية، وعدم التركيز، وغير ذلك. وهذا لا يعني أن هذا المعطى الإعلامي/الشاشة ذو تأثير سلبي على الطفل، فوجوده اليوم صار أمرا لازما، لا يمكن الاستغناء عنه، لوظائفه المتعددة، كالتعليم والإخبار والترفيه، وما إلى ذلك، إلا أن إفراط الطفل في الإقبال عليه، قد تترتب عنه نتائج عكسية، لذلك ينبغي أن تكون علاقة الطفل بالشاشة موجهة ومراقبة. "وعلى الرغم من دور التلفزيون في النمو الاجتماعي والثقافي للطفل، فإنه قد يؤدي إلى نتيجة عكسية وينمي لدى الطفل شخصية ضعيفة

منفصلة عن مجتمعها إذا ما ركز على عرض قيم وثقافات أخرى تؤثر على ذاتية الطفل الاجتماعية والثقافية".

على هذا الأساس، يتحتم على المدرسة أن تؤدي دورا رياديا في توعية الطفل بقيمة الإعلام، ليس نظريا فحسب، وإنما ميدانيا كذلك، عبر إشراكه في مختلف الممارسات الإعلامية، عن طريق تنظيم ورشات إعلامية، تتضمن مجلات وجرائد ورقية ورقمية، مسرحيات، إذاعة الطفل، رسم كاريكاتوري، معرض الصور الفوتوغرافية، إعلاميات، ونحو ذلك.

رقمنة الإعلام المحلي

ويقصد بهذه الرقمنة تأهيل الأشكال الإعلامية المحلية لتواكب التحولات الجديدة، التي أحدثتها الثورة الرقمية في وسائل نقل المعلومة والتواصل والإعلان وتبادل الخبرات والانفتاح على التجارب الوطنية والدولية، ويتوجب على مختلف المؤسسات العمومية والخصوصية، من مصالح الدولة، ومكونات المجتمع المدني، ومؤسسات التعليم، وأبناك، وشركات... أن تخوض هذه التجربة، التي أصبحت من مستلزمات المرحلة الراهنة. لاسيما وأن ذلك أصبح لا يتطلب إمكانات مادية هائلة، إذ أنه يمكن أن تكتفي في البداية بتجربة المدونات والمنتديات المجانية، فتعرف بمكونات المجتمع المحلي، على مختلف مستوياته.

إن حضور واقعنا المحلي على صعيد الشبكة العنكبوتية يظل محتشما وخجولا، ولا يمثل بتاتا القيمة البشرية والعمرانية والمؤسسية والثقافية للمنطقة، التي يقطنها عشرات الآلاف من الناس، وتتضمن مختلف المؤسسات الحكومية والتعليمية والجمعوية والبنكية والدينية والرياضية والخدماتية، وغير ذلك، ومقبلة على تحديات هائلة، ولا تملك إلا بضعة مواقع إلكترونية هزيلة معدودة على أصابع اليد الواحدة!

إن التركيز على المكون الرقمي في تنمية الواقع، أصبح أمرا لازما ينبغي للجميع، سلطة ومنتخبين ومجتمعا مدنيا ومواطنين، التفكير فيه بجدية واستراتيجية وبعد نظر، لأن الإنترنت أصبح الوسيلة الأهم للتواصل السريع والبليغ، خصوصا وأنه اكتسح أغلب البيوت، فأصبح في متناول المرأة والطفل والمثقف... والجميع.

لذلك كله، أكرر الدعوة إلى استثمار هذا المكون، والشروع في الرقمنة التدريجية لمختلف مؤسسات المجتمع، لأنه من خلال هذه الوسيلة تتحقق العديد من المكاسب، كالتواصل، والتثقيف، والتعريف، وتبادل الخبرات، وهكذا دواليك.

دعم الإعلام المحلي

بناء على ما سلف، إن مطلب الرقمنة يتأتى، إما بشكل فوري عن طريق استثمار بعض الإمكانات الرقمية المجانية المتاحة، وهذا حل آني ومؤقت، وإما بشكل منهجي ومخطط، ويقتضي المزيد من الجهد والتضحية، لذلك فالحاجة إلى دعمه خصوصا المادي واردة، حتى يتحقق النهوض بالإعلام المحلي، ونقدم أنموذجا متميزا على صعيد المنطقة التي ننتمي إليها. ثم إن أغلب الإعلاميين والصحافيين الشباب المحليين، الذي يتجشمون هذا العبء الثقيل، لا يعملون، أو أنهم يمارسون مهنا بعيدة كل البعد عن ميدان الإعلام، أو أن دخلهم لا يسمح لهم بالإسهام المادي في تأهيل الإعلام المحلي وتطويره، فهم في مسيس الحاجة إلى مختلف الأدوات التي تساعدهم على أداء خدمتهم الإعلامية التطوعية، كالكتب والجرائد والكاميرات والبطاريات وتعويضات النقل، وغيرها، ولم لا في المستقبل تعويضات على الخدمات الإعلامية التي يقدمونها.

ولا يتحقق هذا الدعم إلا بواسطة تضافر جهود مختلف المكونات التي يتشكل منها واقعنا المحلي، مثل:

- ✓ مساهمة الجماعات الحضرية والقروية: وذلك عندما تتحقق لها الموارد المادية الكافية، أو أنها توجه بعض الموارد المخصصة للمجتمع المدني في هذا المضمار، وتفرض على المستفيدين منها رقمنة أنشطتهم وإسهاماتهم، إذ ينبغي لكل جهة تتلقى الدعم أن تفتح واجهة إلكترونية خاصة بها، وتخدم من خلالها الواقع المحلي.
- ✓ مساهمة المؤسسات البنكية والوكالات الخدماتية: إذ تساهم هذه الجهة في تمويل وسائل الإعلام المحلية، وتقديم يد العون إلى الصحافيين والإعلاميين، في شكل تعويضات مادية مقابل خدمة الإشهار مثلا.
- ✓ مساهمة المحسنين: إذ يلاحظ أن هذه الفئة غالبا ما تساهم فيما هو ديني محض فحسب، فقد آن الأوان لتغيير هذه العقلية، وتوزيع مساعداتهم المادية بشكل شمولي، يشمل ما هو ثقافي واجتماعي وإعلامي، فالمجتمع لا يصلح فقط بالخطب والوعظ، وإنما بالخدمات التي يقدمها المجتمع المدني عامة كذلك، كالتوعية، والتعليم، والحملات البيئية والصحية، وغير ذلك.

الإعلام كمصدر للتأريخ

محور العلاقة بين الاعلام والتاريخ ، يتميز بعلاقة اندماجية لا يمكن فسخها وتجاهلها ، خاصة في عصر الثورة الاعلامية التي نعيشها ، وتحول الاعلام الى أداة نقل مباشر للحدث ، بالصوت والصورة وبالزمان والمكان الذي تجري فيهما الأحداث، بما فيها أشد الحروبات أو الكوارث هولا أو القضايا التي تشغل المجتمعات البشرية ، بمختلف تنوعاتها ، من الاقتصاد والسياسة والعلوم والثقافة والاكتشافات ، الأمر الذي أعطى للاعلام قوة حضور ، وقدرة على تشكيل الراي العام ، والتأثير على أرشفة الحدث تاريخيا ، ومهما تنوعت الاسئلة حول الاعلام والتاريخ ، يبقى يجمعهما رابط اساسي ، مشترك ، يمكن تلخيصه بأن الاعلام المعاصر بات مرجعا توثيقيا لا يمكن تجاهله عند كتابة التاريخ.

السؤال الذي يتبادر الى ذهني من هذا الطرح الهام هو : هل يمكن ان نرى في المستقبل نهاية لدور المؤرخين ، اذا اعتبرنا الاعلام تغطية للأحداث التاريخية ؟

وهنا بودي التنبيه الى بعض المسائل الهامة : هل وظيفة المؤرخين هي كتابة الأحداث ، بنفس اسلوب الاعلام؟

وهل يمكن ان يكون الاعلام متجردا من الرؤية الذاتية للاعلاميين ،أو لسياسة الوسيلة الاعلامية ، أو لسياسة الدولة في حال كان الاعلام مملوكا لدولة أو يخضع لمراقبتها ولنهجها ، مما يؤثر على اسلوب وصيغة نقل الحدث ، ونقله بما يتلاءم مع العوامل المؤثرة والضاغطة ؟

اذن ما هو دور المؤرخين في عصر الاعلام الذي لم يبق حدثا يمر بدون تغطية وافية ؟

ما هو دور الاعلام في التأريخ ، وهل يمكن اعتبار دوره ، تأريخيا في مضمونه المركزي ؟

نلاحظ في دراسات المؤرخين الاعتماد على الكثير من الروايات الاعلامية ، بل، والاعتماد على نصوص ابداعية ، روائية أومسرحية أو شعرية ، لفهم الواقع الاجتماعي ، وسبر أغوار الحياة الاجتماعية وواقع الحضارات في المجتمعات القديمة السابقة لعصر الاعلام ، رغم ان الاعلام نشأ حسب تصوري مع نشوء المجتمعات البشرية الأولى ، ويمكن رؤية الرسومات التي تركها الانسان القديم في أماكن سكناه ، قبل عصر الكتابة ، كاعلام عن الواقع الذي عاشه الانسان القديم

مع ذلك لا يمكن القول ان التاريخ هو فن الرواية مثلا ، رغم ان العلاقة بين التاريخ والأدب الروائي ، فيها تشابهات كثيرة ، أهمها أسلوب القص ، ومحاولة سبر أغوار المجتمع والانسان بصفتة نتاجا للمجتمع .وهناك فروقا ، في حين يشمل النص الروائي على الخيال الجامح نجد ان التاريخ لا يستطيع الا ان يلتزم بالحقائق الثابته ، والا فقد من قيمته المرجعية والعلمية.

هل كان يمكن فهم الواقع الاجتماعي لما يسمى بالعصر الجاهلي دون المعلقات الشعرية ؟

هل كان يمكن فهم أحداث طروادة والتاريخ الاغريقي دون العودة الى ملحمة هوميروس وكتابات سائر الشعراء الاغريقيين ؟

الا تروي اساطير العراق القديمة وآثاره تاريخ العراق وحضاراته متعددة الوجوه ؟

الا تروي أساطير التوراة حكايات السبي اليهودي والخروج من مصر ، وبعض تاريخ الحروبات والغزو في العالم التوراتي القديم ، وخاصة في بلاد ؟ الا تحكي لنا آثار الفراعنة وقصصهم ودياناتهم تاريخ مصر الفرعونية وحضارتها ؟

بالطبع لا يمكن اعتماد الأساطير والقصص كمرجع تاريخي موثوق ، انما هي دلائل لا بد من العودة اليها لفهم طبيعة التطور ومستوى المجتمعات ورقيها ، وأحداثها ، وتبقى مهمة المؤرخين وعلماء الآثار اقامة الدلائل العلمية ، والفرز بين الحقائق وبين التخيلات . وأكاد أجزم ان الاعلام حتى في زماننا المعاصر لم يخرج بعد من النشر المتخيل ومحاولة استباق الحدث عبر القراءة المستقبلية للأحداث ، أو تحريفه بما يتلاءم مع الموقف والراي الذي ينطلق منه الاعلامي ، او اصحاب الشأن في الوسيلة الاعلامية.

التاريخ الذي هو صورة عن عملية التطور الفعلية ، هو بنفس الوقت يعتبر انعكاسا للحدث في الفكر ، ولا نحتاج الى الكثير من البراهين لنثبت ان انعكاس الحدث في الفكر قد يختلف بين مشاهدي نفس الحدث، ونجد روايات متناقضة من شهود عيان ، انعكس الحدث في ذهنهم بصورة مختلفة ، وأحيانا متناقضة عن انعكاسه في ذهن الآخرين.

اذن التاريخ لا يعتمد على التصوير المباشر للأحداث ، والا تحول الى كتابة صحفية آنية ، التاريخ يعتمد على تحليل عملية التطور (الحدث) وتشكلها ، تحليل ما بين مركبات الحدث ، والتفاعلات بينها ، والمؤثرات الذاتية (النشاطات التي تسرع أو تبطئ) والموضوعية ، والتاريخ يرى التطور المنطقي في الأحداث

والمعالم . لذلك يمكن وصف التاريخ بالحدث المنطقي المجرد من التسويق الصحفي ، واثارة دهشة القارئ كما في اسلوب القص الأدبي ، بل هو نص يروي حقائق التطورات والأحداث عبر الالتزام بالمنطق العقلاني وسيرورته الذاتية.

يرتكب الاعلام بالتأكيد، في دوافع تسويق "منتوجاته" ، تشويها للتاريخ (الخبر – الحدث – المقال – التحليل الاخباري)، وهذا الأمر يبرز أكثر في اعلام لدول تفتقد للدمقراطية والتعددية الفكرية ، وتتميز بقمع الفكر المختلف . ويؤسفني ان العديد من دول عالمنا العربي غارقة بقمع الفكر السياسي والاجتماعي المعارض ، أو المنادي حتى ببعض الاصلاح الشكلي ، وهذا ينعكس أيضا على كتابة التاريخ ، وعلى العلوم وعلى تطوير مناهج اجتماعية ، ودراسة العديد من القضايا التاريخية ، والعلمية ذات الصلة بالتاريخ أيضا ، مثل نشوء الانسان وتاريخ المجتمع البشري ، ونشوء المجموعة الشمسية وتطورها، وتطور العلوم والتكنلوجيا والفكر الفلسفي وغيرها من المواضيع التي تسبب نزاعا مع الفكر الماضوي السائد والمسيطر على أكثرية مناهج العالم العربي ومعظم دول العالم الاسلامية ودول العالم الثالث .. والذي ينعكس بقوة في اعلامها .. وبغض النظر اذا كان اعلاما مستقلا (شكليا بالطبع) أو اعلاما مملوكا للنظام.

والسؤال المحرج أكثر هل من مجال لبحث تاريخ الأديان وتطورها بالتجرد من المواقف المسبقة وغير العلمية السائدة في مجتمعاتنا العربية؟

لايمكن النظر الى الحدث الاعلامي بمعزل عن الظروف التاريخية التي وقع فيها ، وهذه ليست وظيفة الاعلاميين ، الا قلة منهم ، قد تكون أقرب في نشاطها الى المؤرخين من حيث بحث الظروف التاريخية الملموسة التي تقود الى ما نشاهده من تطورات اخبارية – صحفية.

ومع ذلك لست ممن يرون ان اعلام الأنظمة الدمقراطية ينهج بمصداقية وحيادية ، هذا المنتج غير موجود الا بالنظريات ، وتبقى المسالة نسبية ، ولكن يجب عدم اقناع الذات ان الوضع بين الاعلام الحر والاعلام الخاضع للرقابة ، يولد اعلاما يشوه الحقائق. فضاء الحرية هو فضاء للابداع ايضا ، ولطرق المواضيع الممنوعة ، وعدم التساهل مع الفساد السياسي أو الاجتماعي أو الاخلاقي، وهي مسائل تصب في النهاية في خدمة المجتمع ، وبالتأكيد في خدمة عدم تزوير التاريخ .
ان المهمة التي يتميز بها المؤرخون ، انهم لا يذهبون فقط الى التفسير الصحيح لنشوء الأحداث ، وانما أيضا لفهم اتجاه تطورها مستقبلا ، عبر الارتباط بين الحدث العيني نفسه ، وبين تطور مجمل المعلومات وتشابكها ،ومجمل المؤثرات وامتداداتها ، في مجرى التغير التاريخي للممارسة البشرية.

من الضروري في هذا الموضوع المثير ان ننتبه الى ان الأفكار والمفاهيم التي يكتسبها الانسان في مراحل حياته ، خاصة الأولى ، هي مفاهيم وأفكار وأحكام غير مبنية على التجربة والممارسة ، ومن الصعب على الأغلب تغييرها على اساس التجربة الذاتية أيضا ، اذ تبدو يقينية ثابته ، وهذا ينعكس في الاعلام ، بغض النظر اذا كان اعلاما يتمتع بالحرية الكاملة أو غير ذلك . وقد تنبة الفيلسوف الفرنسي ديكارت لهذه الناحية البشرية ، وأطلق عليهاأسم : " مذهب الأفكار الفطرية " والذي يتكون كنتيجة طبيعية لعدم قدرة الانسان على تبيان طريق تشكيل الأفكار والمفاهيم ، عبر نفي دور المعرفة التجريبية في هذه العملية.

ما دخل هذه التفاصيل في موضوع الاعلام والتاريخ بشكل عام ؟
انا من أصحاب الرؤية الشمولية التي ترى بالمعارف الانسانية وحدة شاملة لا يمكن تجزيئها . والمعارف لا توجد بحالة انفصال بل بتواصل وتداخل لدرجة يصعب فصلها.

بالطبع للاعلام في واقعنا دور مؤثر ،وبالغ الخطورة على تشكيل الوعي والدفع نحو مواقف معينة ، بغض النظر اذا كان يدفع نحو الحقيقة أو نحو خدمة موقف مسبق .وينعكس هذا التأثير بالتأكيد على صياغة النص التاريخي .. وربما على ما هو أبعد من ذلك ، بالتأثير على الواقع السياسي و الاجتماعي والاقتصادي في دول العالم المختلفة.

ولا يعني ذلك ان التاريخ متحرر من ظواهر مماثلة ، ولكننا نتحدث عن فكرة عامة ، ويبقى التقييم الذاتي لكل مؤرخ أو اعلامي هي المسألة الفاصلة في دوره كمصدر موثوق ، او مصدر يهدف خدمة مواقف مسبقة . وكثيرا ما واجهنا مؤرخين يغيرون من روايتهم التاريخية ، كالمؤرخ بيني موريس مثلا في روايته وتحليله لتاريخ النكبة الفلسطينية . ان قيمة المؤرخ في قدرته على الوصول الى الحقائق عبر عملية المقارنة والفرز بين أطنان المعلومات الصحفية والالتزام بما هو موثوق .
الملاحظة الأخيرة التي ارى أهمية لها ، تتعلق بتأثير الحريات الصحفية على نوعية الخبر الصحفي ، وقيمة الاعلام ومصداقيته.

انا لا أعيش في وهم بأن مساحة الدمقراطية هي المقرر الأساسي في مصداقية الاعلام.

هذا الأمر مناف للواقع ، حتى في الدول التي توفر حرية واسعة جدا للاعلام بكل أشكاله.

صحيح ان الاعلام المعاصر لم يعد ، شكليا على الأقل ... اعلاما موجها ومبرمجا . هناك سقوط للاعلام الحزبي ، أو ما يعرف بالاعلام الملتزم لنهج فكري محدد . وهو اعلام من المشكوك ان يتناوله المؤرخون كمرجع موثوق للتاريخ ، ولكن للأسف نشهد اعلاما يدعي الانفتاح على مجمل الآراء ، وفي التطبيق يفقد بوصلته المستقلة ويغرق في النهج الذي يبدو له مقبولا من القراء ، وينغلق على اتجاه يقتل جوهر الصحافة ومميزاتها الأكثر أهمية ، باعتبارها مرآة للفكر الاجتماعي والسياسي .
من الصعب تسمية هذه الصحافة بالأعلام الا شكلا فقط . ومن المستحيل الاعتماد عليها كمرجع لأي موضوع كان . لذلك مساحة الحرية ، هي مساحة هامة جدا ، ومسوؤلية هذه الحرية لا تقل أهمية عنها. حتى في ظل أنظمة قمعية .نحن نعيش عصر ثورة المعلومات ، والاعلام هو جزء صغير من مصدر هذه المعلومات ، ومع ذلك دور الاعلام يتميز بقيمة كبيرة نظرا لقدرته على التأثير السريع والمباشر على مجمل الراي العام في المجتمعات البشرية.

غير ان التاريخ له مضامينه غير المطلوبة في العمل الاعلامي .. وله مصادره الأكثر اتساعا ، واساليبه البحثية المختلفة عن الاعلام ، وأدواته التحليلية التي تقربه أكثر من العلم وليس من عنصر الاتصالات التي تميز الصحافة ، وأن لاننسى ان التاريخ لا يكتمل اليوم تسجيله بدون العودة الى الوثائق في ارشيفات الدول المختلفة ، والتي يبقى بعضها رهن السرية لعشرات السنين ، ولكن مصير الحقيقة التاريخية دائما ان تظهر ولو بعد أكثر من جيل، مثلا مضت ستون عاما على النكبة الفلسطينية ، وبعد ان فتحت بعض الأرشيفات السرية في اسرائيل ، جاء مؤرخ يهودي مثل الدكتور ايلان بابه ليكشف ان قادة الحركة الصهيونية خططوا ومارسوا التطهير العرقي ضد ابناء الشعب الفلسطيني (كتابه : التطهير العرقي في فلسطين) .. أي انه أكد الرواية الفلسطينية . بينما الاعلام يعتمد أكثر على الحدث في لحظته ، وعلى عناصر التشويق والتسويق والتحريف أحيانا ، ويمكن محاولة تفسير ما نرى ونسمع بشكل مختلف ومتناقض ، كما حدث مثلا بحادثة استشهاد الصبي الفلسطيني محمد الدرة . حيث تدعي اسرائيل ان الرصاص الذي اردى هذا الفتي الفلسطيني قتيلا ، لم يكن رصاص جنودها ، وانما رصاص الفلسطينيين . وكنت أنا شخصيا من المشاهدين بالبث الحي والمباشر لحادث مصرع هذا الطفل بالصوت والصورة ، وكان المصور يتكلم بوضوح عن مصدر اطلاق النار ، والمأزق الصعب للطفل محمد ووالده في مواجهة النيران الاسرائيلية القاتلة.

اذن التاريخ أكثر شمولية واتساعا من الاعلام . بالنسبة للتاريخ ليس مهما تتبع ووصف كامل لمجرى العملية بكل تفاصيلها واحداثها ، الجوهرية منها وغير الجوهرية، كما في الاعلام..

الإشاعة والإعلام

لقد قيل الكثير عن الإشاعة وهذه بعضها:

الإشاعة هي كل خبر مقدم للتصديق يتناقل من شخص لآخر, دون أن يكون له معايير أكيدة للصدق , فهي بث خبر من مصدر ما في ظروف معينة ولهدف يريده المصدر دون علم الآخرين . وهي الأحاديث والأقوال والأخبار والقصص التي يتناقلها الناس , دون أمكانية التحقق من صحتها أو كذبها . فالإشاعات تنتقل وتنتشر كلما ازداد الغموض ونقص المعلومات حول الأخبار التي تنشرها هذه الإشاعات.

فالإشاعة هي عملية نشر الأخبار والمعلومات , ونتائج هذه العملية . وهي تنطلق بسهولة وسرعة عندما تكون الظروف ملائمة لما تتضمنه من أخبار . وهناك مصدر الإشاعة وهو الذي يقوم ببنائها وتشكيلها ويبدأ في نشرها , أكان فرداً أم جماعة, وهناك متلقي الإشاعة , وناشر الإشاعة. والشرط الأساسي لانتشار الإشاعة انعدام معرفة الحقيقة , ورغبة المتلقي في المعرفة . ووجود دافع وفائدة لمطلق الإشاعة لنشرها.

كل خبر يشكك به يمكن أن يصبح أو يتحول إلى إشاعة وبغض النظر عن أنه صادق وصحيح أم كاذب وملفق.

وكذلك كافة الإعلانات هي بمثابة أخبار عن منتجات وسلع هدفها دفع الناس لشرائها , وهي تستخدم ألاف الطرق في نشر ميزات السلع (أكانت صحيحة أم كاذبة) بهدف تروج لبيعها.

الإشاعة هي رسالة تحمل أخبار ومعلومات يرسلها شخص أو جماعة إلى شخص أو جماعة أخرى لهدف وغاية معينة , يراد بها التأثير على المرسلة (المتلقي) ليقوم باستجابات وتصرفات معينة , وتأثير هذه الرسالة تابع لمضمون هذه الأخبار على المتلقي . والإشاعة الآن يمثلها الإعلام , ولا يمكن أن يكون إي إعلام دون هدف معين . لذلك دوماً الإعلام هو موجه وله غاية . وغالباً مرسل الإعلام يراعي خصائص وقدرات المتلقي الموجه له هذا الإعلام . وإن قوة وسرعة انتشار الأخبار أو الإشاعات تابع : للرغبة في تقبلها لتوافقها مع دوافع و رغبات و توجهات المتلقي . وعدم تناقضها مع العقائد المعارف والأخبار التي يتبناها المتلقي . لمدى اعتماد المتلقي الموثوقية لمصدرها.

استعمل مفهوم الإشاعة بشكله الموسع حديثاً نتيجة الصراعات والحروب الإعلامية بين المتحاربين , والرد على الأخبار الضارة أكان ينشرها العدو أو أي

مصدر آخر ووصفها بالإشاعة لتكذيبها وتحاشي أضرارها , وهذا بغض النظر عن كون هذه الأخبار صحيحة أم خاطئة.

ومفهوم الإشاعة الآن يتضمن تكذيب الخبر أو التشكيك به لتلافي نتائجه وأبعاده التي تكون ضارة بالفرد أو الجماعة , أو الشركة أو الدولة . . , فيمكن أن يكون الخبر صادق ويوصف بأنه إشاعة وغاية ناشره النية السيئة والإضرار , ومفهوم الإشاعة مفهوم فضفاض لأنه يشمل حالات وأوضاع متعددة ومتنوعة من أشكال نشر الأخبار , وغالباً ما يستخدم في وصف الأخبار الضارة والسيئة بأنها أكاذيب وغير صحيحة.

أن نشر الأخبار أو معلومات هو بمثابة إشاعة لهدف وغاية معينة . فالدعاية و الإعلان هما بمثابة إشاعة , وفي كثير من الأحيان تكون الدعاية للسلعة أو المنتج كاذبة أو غير دقيقة . وكذلك التشهير والتحقير والزم والمدح والتفخيم والتعظيم والمبالغة في رفع المكانة هم أيضاً بمثابة إشاعة . وإشاعة الخوف والذعر والإرهاب والتفرقة . . هم إشاعات سالبة , وإشاعة الحماس والنخوة والانفعال والتلاحم هم إشاعات موجبة . والإشاعات تشمل كافة مناحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعقائدية والفكرية . والشائعات المليئة بالخيالات والأماني والأحلام , ويمكن اعتبار نشر العقائد والأديان وحتى المعارف هو بمثابة نشر إشاعات لهدف معين . وتتشابه الإشاعة مع الدعاية فليس هناك فرق كبير بينهم . والأعلام والدعاية الآن أصبح لهم علومهم ومناهجهم وقوانينهم التي تدرس في المدارس والجامعات , وأصبحوا أكثر فاعلية وتأثيراً لاستخدامهم عناصر وموارد وقوى وتنظيم في أساليب وطرق نشرهم , لذلك تأثيرهم أصبح أكبر وأوسع.

وطريقة وأسلوب نشر الأخبار هامة جداً في تحقيق تقبل المتلقين لهذه الأخبار , وكذلك موثوقية مرجعها ومكانته وقوته وسلطته لها تأثير أساسي , وكثيراً ما يستخدم ناشر الخبر مصداقية وقوة مصدر الخبر فيرجعه إلى الآلهة أو الأنبياء أو العلماء . . .

أنواع وأشكال الإشاعة.

الإشاعات يمكن أن تكون ضارة ويمكن أن تكون مفيدة , مثال :
إشاعة الخوف والذعر لدى العدو هي أشاعه تضر بالعدو . وهذا بهدف إثارة القلق والرعب في نفوس أفراد العدو , بالإضافة إلى شائعات زرع جذور الفتنة كأن تطلق شائعة تهدف إلى إيقاظ فتنة بين الأفراد أو حتى الدول . أما الإشاعات المتفائلة والتي تحقق رغبة الناس وأمانيهم وتحسن الصورة السيئة التي يعيشونها إشاعة الأخبار السارة لرفع المعنويات أو استنفار القوى , مثل انتهاء الحرب أو زيادة الرواتب أو قرب الشفاء من المرض . . فهي إشاعات مفيدة لمتلقيها مثل :

إخبار المريض بأخبار تسره حتى وإن كانت كاذبة , وكذلك إخبار الجنود أو الأفراد . . . بأخبار سارة أو مفيدة حتى وإن كانت كاذبة . كل هذا شكل من إشاعة الموجبة . فالغالبية إن لم يكن الجميع يسعوا لنشر الأخبار (أو الإشاعات) التي تفيدهم أو تسرهم , ويتحاشوا نشر الأخبار الضارة أو المؤلمة.

والسعي لنشر الدين المسيحي أو الإسلامي أو العقائد هو شكل من الإشاعة الموجبة بالنسبة للذي يقوم بالنشر . ويمكن أن يكون شكل من الإشاعة السالبة بالنسبة للذي يرفض هذه الأديان.

.

عندما تكون الأخبار ضارة أو غير مرغوبة توصف غالباً بأنها إشاعات , وبغض النظر عن صحتها أو خطؤها. وكذلك عندما تكون الأخبار مفيدة أو مرغوبة يتم السعي لاعتمادها وتبنيها والدفاع عنها.

وهناك الإشاعات الاستطلاع التي تسعى لرصد التأثرات والردود (أو جس النبض) فئة معينة من الناس , لتحديد طريقة التعامل معهم.

وهناك إشاعات التضليل ولها أشكال كثيرة وهي تستخدم للتحكم بدوافع و رأي الناس وتوجيهها باتجاه معين.

ويصعب حصر أنواع الإشاعات , وذلك لاختلاف آثارها ودوافعها التي تظهر فيها ، ويمكن تصنيف الشائعات حسب دوافعها وأهدافها ويصنف علماء النفس الشائعات إلى ثلاثة أصناف رئيسية هي: إشاعات الخوف. إشاعات الأمل. إشاعات الكراهية .

عوامل وأسباب الإشاعة

يمكن ببساطة عزو ظهور الإشاعة إلى انعدام المعلومات، ومن هنا تروج الشائعات وكأنها حقائق , والإشاعات وسيلة بدائية جداً لنشر القصص عن طريق انتقالها من فم إلى فم حتى تنتشر بين الناس كأنها حقيقة , مستخدمة أساليبها المختلفةويمكن تلخيص أهداف الشائعات في عصرنا الحاضر وخاصة في الحرب النفسية:

التأثير على معنويات الخصم وتفتيت قواه

واستخدمها للتمويه والتعمية كستار من الدخان لإخفاء حقيقة ما .
أو ترويج أنباء كاذبة وأخبار لأجل إضعاف الروح المعنوية للخصم , باستخدام الأساليب الحديثة لعلم النفس التي تخدم الإشاعة للتأثير على نفسيات ومعنويات المتلقي , فالإشاعات تستخدم كسلاح أساسي في الحروب والصراعات مهما كان

شكلها ونوعها أكانت سياسية أم عقائدية أم اقتصادية أم فكرية . وطبيعة وشكل المصالح تحدد وتقرر طبيعة الإشاعات موجبة أم سالبة.

توظيف تأثيرات الأخبار السارة أو الضارة في خدمة الدوافع والأهداف . والأخبار تستخدم كثيراً في الصراعات والتنافسات نظراً لتأثيرها الكبير .
إن إعلام الجماعات والدول يستخدم الآن الإعلام الموجه وهو يماثل الإشاعة . فكل إنسان وكل جماعة توظف الإعلام في نشر الأخبار التي تكون في مصلحتها وتفيدها وتتحاشى نشر الأخبار التي تضربها , وبغض النظر عن كون هذه الأخبار صحيحة وصادقة أم كاذبة وملفقة , وفي كثير من الأحيان يصف شخص أو جماعة خبر بأنه إشاعة وكاذب لأنه يضر بهم , مع أنه صدق وصحيح , وذلك بهدف إضعاف مصداقيته وتلافي تأثيراته الضارة.

والآن هناك ناشرين للأخبار يعتمدوا الدقة في ما ينشرونه من أخبار, لأنهم يبيعون هذه الأخبار , مثل وكالات الأنباء العالمية رويتر وغيرها , وهؤلاء من مصلحتهم توخي الدقة والصدق في ما ينشرونه من أخبار و إلا لا يستطيعون بيع هذه الأخبار.

حرب الإشاعات أو حروب الإعلام

كما ذكرنا لا ينشر خبر إلا لغاية وهدف , والسيطرة على نشر الأخبار والتحكم في نشر هذه الأخبار هو من أهم الأمور بالنسبة لأي جماعة أكانت أسرة أم عشيرة أم مؤسسة أم دولة . والمهم ليس صحة ودقة الأخبار التي تنشر, بل دورها ووظيفتها ,أي فائدتها لناشرها وما تحقق له من غايات ودوافع . وكثيراً ما يتم نشر أخبار معروف عدم صحتها أو دقتها لهدف وغاية معينة , ومع ذلك غالباً يتحقق التأثير المطلوب

والمسيطر على نشر الأخبار هو من يملك أهم وأقوى المؤثرات التي يستطيع استخدامها وتوظيفها في الكثير من المجلات , وتؤمن له تحقيق غاياته ودوافعه . فهو ينشر الأخبار التي في مصلحته , ويخفي الأخبار التي ليست قي مصلحته . فنشر الأخبار هو المهم وبغض النظر عن صحتها أو دقتها , فمن خصائص البشر سرعة تقبل ما ينشر ويتداول من أخبار

يمكن عن طريق نشر الأخبار بين الأفراد والجماعات التحكم بدوافعهم وتوجهاتهم , ودون أن يدوروا أن ذلك جرى لهم , وهذا يتم عن طريق الإعلام بكافة أنواعه وأشكاله المسموعة والمقروءة والمرئية صحف ومجلات وكتب وإذاعات ومحطات تلفزيون ودور عبادة ... , وبواسطة أجهزة التعليم بكافة أشكالها .

وهذه الوسائل أصبحت تملكها وتتحكم بها الدول والمؤسسات الكبيرة فهي الآن تقوم بغسل أدمغة غالبية الأفراد ووضع الأفكار والدوافع التي تريد .
ويستخدم نشر الأخبار والقصص بكافة أشكالها القديمة والحديثة من أجل التحكم والسيطرة على الأفراد , وعندما يتم إدخالهم على نحو غير محسوس في الوعي الجماعي , وهو ما يحدث بالفعل من خلال أجهزة الثقافة والإعلام , فإن قوة تأثيرها تتضاعف من حيث أن الأفراد يظلون غير واعين بأنه قد تم تضليلهم . وإن بنية الثقافة الشعبية التي تربط عناصر الوجود بعضها ببعض , وتشكل الوعي العام بما هو كائن , بما هو هام , وهو حق , وما هو مرتبط بأي شيء آخر , هذه البنية أصبحت في الوقت الحاضر منتجاً يتم تصنيعه.

أما الآن فغسيل الأدمغة أصبح يعتمد على المنجزات التي تحققت في مجال علم الاجتماع وعلم النفس وعلم الدماغ وما تحقق في مجال التواصل والاتصالات إن كانت سمعية أو مقروءة أو مرئية , وتم الاستفادة من ما تم التوصل أليه في مجال الإيحاء, وتأثير التكرار وتأثير ظاهرة الجمهرة.

فصار نشر الأخبار أو الإشاعات يحدث في كافة المجالات وعلى كافة المستويات إن كان مستوى فرد أو مستوى مجموعة أو مستوى شعب كامل.

وطرق نشر الأخبار والإشاعات تنجح بسهولة عند استخدام الطرق النفسية والجسمية والتأثير على المشاعر والعواطف أكانت مؤلمة أو مفرحة ولذيذة , واستعمال الإقناع الفكري , والترغيب والترهيب ولفترة طويلة , بشكل تجبر أغلب الأشخاص على تغيير أفكارهم ومبادئهم وعقائدهم

تأثيرات الإشاعة هي تأثيرات الإعلام , وهذا يعتمد على آليات وطرق التواصل بين البشر , وهذا يشمل غالبية علاقاتنا الاجتماعية , والآن هناك نظريات ومبادئ التواصل الواسعة , والتي يستخدمها ويوظفها الجميع كل حسب معارفه وقدراته.

الإعلام والإسلام أيهما مُسخَّر للآخر ؟؟

إن الإعلام له الأهمية الكبرى للدول والشعوب ، ولكل دولة سياسةٌ إعلامية متميزة تعرض المبدأ الذي تحمله عرضاً قوياً مؤثراً من شأنه أن يحرك عقول الناس ويخدم قضايا الأمة ،والأصل في الإعلام الصدق والنزاهة والأمانة في النقل للمعلومات والأخبار.

والعمل الإعلامي يكون وفق ما يحمله الإنسان من وجهة نظر فهو خاضع عندنا كمسلمين للأحكام الشرعية ولا يجوز فيه الكذب والتضليل؛ فالصحفي أو ناقل الأخبار عليه نقل الأخبار بدقة وأمانة ، وعمله مقتصر على النقل والتعليق عليه من وجهة نظره التي يحملها والمحلل أو الناقد السياسي عليه التأكد من الخبر والجهة التي صدر عنها وتحري الصدق والتمييز بين الخبر الصحيح والخبر المفخخ والمشكوك في صحته والذي خضع لعملية تبييض وغسيل.

وجميع وسائل الإعلام في الوقت الراهن تلعب دورا كبيرا في مدى وصولها إلى أكبر قطاع من الناس ، وسهولة تعامل هذه الوسائل مع الناس ، ومدى تفاعل الجمهور معها ،خاصة لأنها تبث المعلومة أو الخبر بشتى الطرق بالكلمة المقروءة أو المسموعة أو المرئية ، ولها الدور البارز في توجيه الرأي العام والتأثير فيه .
فهل الإعلام في الوقت الحاضر موظف لخدمة الإسلام وعقيدته وأحكامه ؟؟ أم يقوم بدور آخر ؟؟

ليس من الغريب في ظل الحرب التي يقودها الغرب عن طريق الحكام وأدواتهم أن نسمع ونقرأ الفتاوى المعتدلة والغريبة والتي تتوافق مع المصالح الغربية من علماء السلاطين الذين أخضعوا الدين للتحريف والتبديل والتغيير ، لإبعاد المسلمين عن مشروعهم الحقيقي ،وإبقاء الأمة تابعة ذليلة ، ونهبا لكل طامع ومرتعا لكل فاسد .
وأغلب ما يتم طرحه مجانب للصواب والفهم الصحيح ؛ بل مبعد للأمة عن المشروع الحقيقي للأمة الإسلامية ، وعندما يتداخل من يبين الحقيقة والصواب يحاول مقدم البرنامج قطع الحديث عليه.

وقد قام الكفار وأعوانه ببث الأفكار الغربية الخبيثة منها:-

1-الحوار بين الأديانوهي فكرة غربية خبيثة دخيلة ، لا أصل لها في الإسلام لأنها تدعو إلى إيجاد قواسم مشتركة بين الأديان ، بل تدعو إلى دين جديد ملفق ، يعتنقه المسلمون بدلاً من الإسلام للحيلولة دون عودة الإسلام إلى الحياة كنظام ، لأنه يهدد مبدأهم وحضارتهم ، ويقضي على مصالحهم ونفوذهم

وهناك أهداف فرعية منها صبغ العالم بصبغة الحضارة الرأسمالية ، وصياغة شخصية المسلم صياغة جديدة ، بحيث لا يجد غضاضة في ترك الواجب وفعل الحرام ، ثم إفساد الذوق الإسلامي لديه ، وقتل الحمية للإسلام في نفسه ، فلا يبغض الكفر والكافرين ، ولا يأمر بمعروف أو ينهى عن منكر.

فيأتون بعلماء يروجون لهذه الفكرة الخبيثة الدخيلة.

1) العولمةفإن الدعوة إلى العولمة الثقافية لا تخرج في حقيقتها عن محاولة لتذويب الثقافات والحضارات وإلغاء الخصوصيات الحضارية لصالح حضارة الغالب .. وعالم المسلمين يعد أول المستهدفين .. ذلك أن الثقافة الإسلامية التي تشكل هوية الأمة ، لذلك فالاستهداف يتركز حول عقيدة الأمة الإسلامية ؛ لأن الدين ليس أمرا مفصولاً عن الثقافة.
2) الوسطيةإنَّ مصطلح الوسطية أو الحل الوسط ، لم يظهر عند المسلمين إلا في العصر الحديث ، بعد سقوط الخلافة ، وقصد به الإعتدال وعدم التطرف ، وهو مصطلح دخيل ، في لفظة ومعناه ، مصدره الغرب والمبدأ الرأسمالي ، ذلك المبدأ الذي بنيت عقيدته على الحل الوسط ، الحل الذي نشأ نتيجة الصراع الدموي ، بين الكنيسة والملوك التابعين لها من جهة ، وبين المفكرين والفلاسفة الغربيين من جهة أخرى . الفريق الأول كان يرى أن الدين النصراني دين صالح لمعالجة جميع شؤون الحياة ، والفريق الثاني يرى أن هذا الدين غير صالح لذلك ، فهو سبب الظلم والتأخر ، فأنكروه وأنكروا صلاحيته ، واستعاضوا عنه بالعقل ، الذي هو – في رأيهم – قادر على وضع نظام صالح لتنظيم شؤون الحياة.
3) فيتم تسويق الوسطية عبر الفضائيات وعلماء السلاطين ،وبدل أن ينقد المسلمون فكرة الوسطية أو الحل الوسط ، ويبينوا خطأها وزيفها ، أخذوا بها ، وصاروا يدّعون أنها موجودة في الإسلام ، بل هو قائم عليها ، فهو بين الروحية والمادية ، وبين الفردية والجماعية ، وبين الواقعية والمثالية ، وبين الثبات والتغيير ، فلا غلو ولا تقصير ، ولا إفراط ولا تفريط
4) فكرة الإسلام المعتدلسمعنا ونسمع عن فرية الإسلام المعتدل (الإسلام الأمريكي) ، وسمعنا ونسمع عن دعمه من الغرب ووصف القائمين عليه بالأصدقاء والمعتدلين !! ويبدو أن قادة الغرب قد أيقنوا بعودة الإسلام للحكم الحتمية ، نظراً لتوجه المسلمين نحو تطبيق الإسلام في معترك الحياة بإقامة الخلافة؛ فعمدوا إلى خط آخر وهو تمييع هذا الإسلام ، من خلال طرح ما يسمى بالإسلام المعتدل

ومن الممكن أن توصل دول الكفر هؤلاء (المعتدلين) إلى الحكم في أي لحظة ، ليكونوا سداً أمام عودة الإسلام الحقيقي والخلافة الراشدة الثانية على منهاج النبوة .

فما هي آلية التعامل مع أصحاب هذا المنهج الذي أصبح وبكل وضوح يطرح ما يميّع الإسلام ويقرّبه من الحضارة الغربية الكافرة أي أن هذا المنهج أصبح عائقاً واضحاً أمام القائمين على النهضة في العالم الإسلامي اليوم.

ولا تعجب أن يتحول دور العالم من البناء إلى الهدم ؛ فترى في زماننا هذا قادة الحرب على الإسلام ومعاول هدمه وتخريب عقيدته ونظمه وحضارته ،وتمييع أحكامه، من العلماء أو المفكرين ،ولا تعجب ، أن يكون فيه العلماء تبعاً للحكام يقعدون لهم الفتوى بما يشتهون وإن كان مخالفاً للإسلام، ويشترون آخرتهم بعرض من الدنيا زائل.

والعلماء ورثة الأنبياء هم أكثر الناس قدرة على قيادة هذا المشروع الكبير؛فهم قادة الأمة وهداتها إلى طريق الأمن والأمان كلما كثرت الفتن واشتدت الأزمات،وهم أمل الأمة الإسلامية في عودتها إلى سابق عهدها من العزة والمنعة والرفعة، واستعادة هويتها بعد أن عمل المستعمرون على تغييرها ومحو أصالتها وتمييع شبابها بخطى حثيثة.

تصدر أحيانا بعض الفتاوى المخالفة للشرع، والتي تتنافى مع ثقافة الأمة الإسلامية وأخلاقياتها، مما يجعلها عرضة للانتقاد والتشنيع من أعدائها، ووسيلة للدعاية ضد ثقافة الإسلام وأحكامه، كما أن هناك أصحاب الأقلام المسمومة والمأجورة من أبناء جلدتنا، فينبروا للكتابة والتحليل بالطعن والتشويه خدمة لأعداء الأمة، وفي هذه الأحوال يصاب بعض المسلمين بالحيرة والارتباك في كيفية التعامل مع هذا الفتاوى؛فيقع البعض في شرك الدول الاستعمارية الكافرة، ويصبح بوقاً لما تريده هذه الدول.

لا شك أن الاستعمار وأعداء الأمة في كل زمان يستغلون أي حدث مهما كان للطعن في أفكار وأحكام الإسلام، ويضعون منهجية إعلامية ودعائية لتمرير وتحقيق أهدافهم الخبيثة، كما يعملون على جعل أبناء المسلمين ضمن دائرة الاستهداف للإسلام لمحاربته والحيلولة دون وجوده في معترك الحياة.

نعم تخرج علينا في كل وقت وحين فتاوى ما أنزل الله بها من سلطان ملأت الصحف والمجلات ، وأمضت وقت الفضائيات ، وأشغلت الناس بفتاوى مضلّلة من أشخاص لم تُعرف عنهم التقوى ولا الخبرة في تنزيل الأحكام على الوقائع ، ولا تمرُّس في الفتوى ؛ فأصبحت الفتاوى وكأنها بضاعة رخيصة لا واقع لها في

حياة المسلمين ؛ فتشغل المسلمين بجدال عقيم لا فائدة منه إلا لأعداء الأمة الإسلامية الذين يتربصون بها الدوائر.

فتاوى تبيح وتلك تحرم كالفتوى التي تعتبر كيان يهود المغتصب لفلسطين جارا يجب الإحسان إليه ، في الوقت الذي صدرت فيه فتوى تبيح إقامة الجدار الفولاذي بين مصر وغزة هاشم ، والفتوى التي تحرم الاستشهاد في سبيل الله ضد المحتل المغتصب واعتباره انتحارا.

فتاوى تروِّج لما هو محرم في الإسلام ومعلوم من الدين بالضرورة ؛كالميسر والقمار الذي يُروج تحت اسم اليانصيب الخيري ورعاية الأيتام والمعوقين ، والخمر تحت اسم المشروبات الروحية ، قال ابن ماجة في سننه فيما يرويه عن أبي مالك الأشعري – رضي الله عنه - قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" ليشربن ناس من أمتى الخمر يسمونها بغير اسمها يعزف على رؤوسهم بالمعازف والمغنيات . يخسف الله بهم الأرض ويجعل منهم قردة وخنازير " وإسناده صحيح ، والربا باسم المرابحة والفائدة والتوفير.

فتاوى تروِّج مفاهيم الإباحية والاختلاط بين الجنسين تحت دعاوى "الفن والتطور"وإرضاع الكبير لإباحة ما حرم الله ، وإجازة شرب الخمر للمرأة بسبب الوحم ،وجواز الفطر لمن يلعب أثناء الصيام، وإباحة شرب الدخان خلال نهار رمضان على أن لا تكون أكثر من سيجارتين.

واعتبار تقبيل الشاب للفتاة ذنبا صغيرا ، والمسؤولية فيه على المجتمع الذي ترتفع فيه تكاليف الزواج.

وأنه يجوز للمرأة المسلمة أن تكشف رأسها إذا كانت تعيش في الغرب كي لا تتميز عنهم ،ولا داعي للشهود في الزواج ولا للولي ويكفي التفاهم بين الشاب والفتاة على الزواج شريطة أن يكونا في بيت واحد.

وأيضا في ظل الصراع الدائر في فلسطين والبرامج السياسية المختلفة في الساحة الفلسطينية فإن الآراء تتعدد وتتباين حول المواقف التي تتخذ ، ومن ذلك موضوع الهدنة أو التهدئة هل هي جائزة شرعا ؟ أم غير جائزة ؟ فتجد من يستدل بنصوص لا تنطيق على المسألة ولا تعالج الواقع مع أن الإسلام أتى بكل المعالجات لأية قضية من قضايا المسلمين ، وموضوع الهدنة قد تم بيانه في الفقه الإسلامي، وهو غير خاضع للأهواء وليس مطلقا بل هو خاضع للضوابط الشرعية والتي تحقق المصلحة الشرعية التي يقتضيها نشر الدعوة الإسلامية ، وهي من الأعمال السياسية التي تخدم مصلحة الدعوة الإسلامية ، ولم تأت الهدنة في الفقه في سياق الخضوع للعدو والإستسلام له، ولا في سياق التنازل عن أرض الإسلام

والمسلمين والمقدسات ؛ فلا يصح عقد هدنة أو صلح على أرض هاجمها عدو أو اغتصبها ، لأن الواجب في مثل هذا الحال رد العدو ، يقول صاحب المغني: (ولما كانت البلاد الإسلامية تعتبر كلها دارًا لكل مسلم فإن فريضة الجهاد في حالة الاعتداء تكون واقعة على أهلها أولاً وعلى غيرهم من المسلمين المقيمين في بلاد إسلامية أخرى ثانيًا لأنهم وإن لم يُعتدَ على بلادهم مباشرةً إلا أنَّ الاعتداء قد وقع عليهم بالاعتداء على بلد إسلامي هو جزء من البلاد الإسلامية) .

وأمر عقدها أو عدم عقدها متروك إلى رأي الخليفة واجتهاده ، لأن الخليفة نصب ناظرا ، ومن النظر حفظ قوة المسلمين وبلاد المسلمين ، وذلك إذا رأى الإمام مصلحة في ذلك للمسلمين، أو كان أهل الإسلام في ضعف؛ فإن للإمام أن يصالح ويعقد الهدنة مع من يراه لصالح المسلمينويتم الترويج في وسائل الإعلام لما يرى بعضهم جواز الهدنة مع كيان يهود المغتصب لفلسطين معتمدا على مهادنة الرسول – صلى الله عليه وسلم - قريشا عام الحديبية ، وهذا صحيح ولكن جواز الهدنة مقيد بوجود المصلحة الشرعية ، وذلك أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبل مسيره إلى الحديبية بلغه أن مواطأة كانت بين أهل خيبر ومكة على غزو المسلمين ، وانه بادر بعد رجوعه من الحديبية مباشره إلى غزو خيبر وإرسال الرسل إلى الملوك والأمراء يدعوهم إلى الإسلام ، مما يدل على أن هدنة الحديبية كانت لمصلحة الدعوة وتتعلق بالجهاد ونشر الإسلام.

فمن هنا لا تصح الهدنة شرعا عند عدم وجود هذه المصلحة ، لأن الهدنة في واقعها ترك القتال المفروض شرعا على المسلمين , وهذا الترك لا يجوز إلا في حال يقع وسيلة للقتال ، فتكون الهدنة حينئذ قتالا معنى ، قال تعالى : { فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ } محمد(35(والإعلام يروج أيضا أن الهدنة شرعا لا تكون إلا لمصلحة الجهاد في سبيل الله ولكن الواقع وضغطه يفرض علينا إجراء الهدنة مع يهود وليس بالإمكان أكثر مما كان مستشهدا بقوله تعالى : { وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } الأنفال 61؛ فإن هذا القول غير صحيح وفيه تأويل ولي لأعناق النصوص الشرعية . وتعامل مع الواقع الذي يورث الذل والهوان للمسلمين . وقد أورد الإمام الشهيد سيد قطب في تفسيره في ظلا ل القرآن في قوله تعالى : { وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } الأنفال 61 "ولقد استطردت - بعض الشيء - في هذا البيان وذلك لجلاء الشبهة الناشئة من الهزيمة الروحية والعقلية التي يعانيها الكثيرون ممن يكتبون عن "الجهاد في الإسلام" ; فيثقل ضغط الواقع الحاضر على أرواحهم وعقولهم ; ويستكثرون على دينهم - الذي لا يدركون حقيقته - أن يكون منهجه الثابت هو مواجهة البشرية كلها بواحدة من ثلاث:الإسلام , أو الجزية , أو القتال , وهم يرون القوى الجاهلية كلها

تحارب الإسلام وتناهضه ; وأهله - الذين ينتسبون إليه وهم لا يدركون حقيقته ولا يشعرون بها شعوراً جدياً - ضعاف أمام جحافل أتباع الديانات والمذاهب الأخرى ; كما يرون طلائع العصبة المسلمة الحقة قلة بل ندرة ; ولا حول لهم في الأرض ولا قوة . . وعندئذ يعمد أولئك الكتاب إلى لَيِّ أعناق النصوص ليؤلوها تأويلاً يتمشى مع ضغط الواقع وثقله ; ويستكثرون على دينهم أن يكون هذا منهجه وخطته ! إنهم يعمدون إلى النصوص المرحلية , فيجعلون منها نصوصاً نهائية ; وإلى النصوص المقيدة بحالات خاصة , فيجعلون منها نصوصاً مطلقة الدلالة ; حتى إذا وصلوا إلى النصوص النهائية المطلقة أوّلوها وفق النصوص المقيدة المرحلية ! وذلك كله كي يصلوا إلى أن الجهاد في الإسلام هو مجرد عملية دفاع عن أشخاص المسلمين , وعن دار الإسلام عندما تهاجم ! وأن الإسلام يتهالك على أي عرض للمسالمة . والمسالمة معناها مجرد الكف عن مهاجمة دار الإسلام ! إن الإسلام - في حسهم - يتقوقع , أو يجب أن يتقوقع داخل حدوده - في كل وقت - وليس له الحق أن يطالب الآخرين باعتناقه , ولا بالخضوع لمنهج الله , اللهم إلا بكلمة أو نشرة أو بيان ! أما القوة المادية - الممثلة في سلطان الجاهلية على الناس - فليس للإسلام أن يهاجمها إلا أن تهاجمه , فيتحرك حينئذ للدفاع.

ولو أراد هؤلاء المهزومون روحياً وعقلياً أمام ضغط الواقع الحاضر , أن يلتمسوا في أحكام دينهم ما يواجه هذا الواقع - دون ليّ لأعناق النصوص - لوجدوا فيه هذه الواقعية الحركية في أحكامه وتصرفاته المرحلية التي كان يواجه بها ضغط الواقع المشابه لما نواجهه نحن اليوم ; ولاستطاعوا أن يقولوا:إنه في مثل هذه الحال كان الإسلام يتصرف على هذا النحو , ولكن هذه ليست هي القواعد الدائمة ; إنما هي الأحكام والتصرفات التي تواجه الضرورة.

والإعلام لا يريد أن ينقل المعلومة كما هي ؛ فهو يتفنن في إغداق وإغراق الناسفي جدل وأخذٍ ورد ،وإن كانت بعض الفتاوى صحيحة مثل"فتوى تبيح لملايين السعوديين الإفطار في رمضان " هذه الفتوى من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة ،ورخصة الإفطار في نهار رمضان مع القدرة على القضاء أو عدمها.

لكن موضوع الإثارة والتشكيك حتى في صياغة العنوان هو الأمر المستغرب بل المستهجن "فتوى تبيح لملايين السعوديين الإفطار في رمضان "فهل هذه الرخصة خاصة بالسعوديين "لملايين السعوديين " أم عامة لكل مسلم أصيب بهذا المرض ؟

هل هذه الرخصة خاصة بهذا المرض أم عامة لجميع الأمراض التي لا يستطيع المريض الصيام إن أصيب بها ؟؟

فلماذا هذه الصياغة ؟؟؟

أهي استخفاف بالدين ؟؟؟

أهي استخفاف بالفتوى ؟؟

ما الذي يضير في ارتفاع عدد الآخذين بهذه الرخصة إذا أبيح لهم الفطر شرعا
أليس "مَن" من ألفاظ العموم في قوله تعالى {أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ }البقرة 184
وفي قوله تعالى {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ اللّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ }البقرة 185.

إن المشروع الحقيقي يكمن في جمع طاقات الأمة ووعيها الصحيح على إسلامها وفهمها الدقيق لأحكام شرعها وإعادة ثقتها بدينها ، لتعمل على إعادة الحكم بما أنزل الله.

والعلماء ورثة الأنبياء هم أكثر الناس قدرة على قيادة هذا المشروع الكبير؛فهم قادة الأمة وهداتها إلى طريق الأمن والأمان كلما كثرت الفتن واشتدت الأزمات ، وهم أمل الأمة الإسلامية في عودتها إلى سابق عهدها من العزة والمنعة والرفعة، واستعادة هويتها بعد أن عمل المستعمرون على تغييرها ومحو أصالتها وتمييع شبابها بخطى حثيثة.

وفي الختام هذه دعوة إلى كل الإعلاميين , إلى الوقوف إلى جانب أمتهم في محنتها التي تمر بها منذ زوال سلطان الإسلام عنها, و أن يكونوا عونا لها لتنهض من كبوتها بتقديم الأخبار الصادقة الصحيحة لها والتحليل الدقيق الذي يسلط الضوء على الأحداث كما هي حتى تعي الأمة واقعها وعيا دقيقا , ثم بتقديم المعلومات الدقيقة تاريخيا و واقعيا و فكريا و سياسيا, و أن يكون الإسلام هو المقياس في هذه الأعمال الإعلامية التي يجب في الأصل أن تسير بالأمة بموضوعية و حرص في طريقها لتحقيق نهضتها و إعادة عزتها و بناء وحدتها التي حرص عليها الله و رسوله في القرآن الكريم و السنة المطهرة

وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ التوبة 105.

دراسة نظرية في مفهوم الإعلام السياسي

مقدمة

يتميز العصر الحالي بانه عصر الاعلام والمعلومات، لما يمتلكه من قدرة على التأثير والاقناع، وتشكيل الأفكار، وصياغة الرأي العام فقد أصبح الاعلام عاملا من عوامل التنمية وعنصراً متزايد الأهمية في التطوير السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي. ان التطور الكبير الذي طرأ على وسائل الاعلام والاتصال والتكنولوجيا في الوقت الحالي ساهم في ظهور وسائل اعلام حديثة تتميز بعنصر السرعة في نقل الخبر والمعلومة جعلت الاعلام يخترق كل الحدود والحواجز بين الدول ويصل إلى جميع الناس بدون استثناء من خلال استخدام وسائل جديدة مثل الانترنت، الفاكس، والموبايل، وغيرها. وتلك الوسائل الجديدة عززت دور الاعلام في المجال السياسي فقد اتاحت له فرصة نقل الاخبار والمعلومات باسرع وقت وبتكاليف اقل. لقد شهد العالم في نهايات القرن الماضي وبدايات القرن الحالي تطورات وتحركات سياسية كبيرة مما دفع الدول والحكومات باللجوء إلى مختلف الوسائل والاساليب الاعلامية والاتصالية من اجل تحقيق غاياتها واهدافها وتعميق مبادئها والترويج لايديولوجيتها، وظهر الاعلام السياسي الذي يهتم بالجوانب والقضايا السياسية ويقوم بأحداث التأثير والتغيير في الاراء والافكار والقناعات لدى الجمهور ويساهم في عملية صنع القرار السياسي. وصار يحظى باهتمام الوحدات والتيارات السياسية كونه المعبر عن فكرها وفلسفتها ونشاطاتها وتطورها وقدرتها على التأثير في الجمهور.

تطور الاعلام السياسي مع تطور وسائل الاعلام المختلفة اذ اصبح يهتم بكيفية توظيف واستغلال تلك الوسائل في العملية السياسية، اذ يقوم بنقل وتحليل النشاط السياسي واتاحة المجال أمام السياسيين وقادة الرأي للحصول على المعلومات والبيانات، وتلقي ردود أفعال الجمهور نحو سياستهم وقراراتهم ومواقفهم، مما يساعد في كل العمليات والخطوات المصاحبة لصنع القرار السياسي فضلا عن اعتماد الجمهور عليها في تكوينه واعتقاده واتجاهاته ومواقفه المختلفة إزاء الأحداث والسياسات التي تقع داخل الواقع المحيط به .

وتسعى الدول على اختلاف الأنظمة السياسية القائمة فيها إلى استخدام وسائل الاعلام والاتصال إلى تحقيق الأهداف الإستراتيجية في حالتي السلام والحرب وفي مقدمة هذه الأهداف أهدافها السياسية سواء كان ذلك على المستوى الداخلي أو على المستوى الدولي وقد أصبح الاعلام السياسي عنصراً من العناصر المهمة في تقييم أداء السلطة والقائمين عليها فالاعلام السياسي يؤدي وظيفة سياسية

ويعمل على إحداث تأثيرات واقعية ومحتملة على عمل وسلوكيات الآخرين، ونحاول في هذه الدراسة ان نوضح مفهوم الاعلام السياسي واهميته ودوره في التوعية السياسية واهم المشكلات التي تواجهه ومحاولة التفعيل الايجابي لدور الاعلام في تنمية الوعي السياسي في اقليم كوردستان العراق.

اولاً: نبذة تأريخية حول نشأة الاعلام السياسي:

ان ارتباط الاعلام بالسياسة ودوره في المجال السياسي ليس وليد هذا العصر بل يعود إلى عصر السوفسطائيين، الذين استخدموا ادوات الاعلام والاتصال الخاصة في ذلك العصر للتأثير على الرأي العام وبث نوع من الثقافة السياسية لتساهم في حدوث التغيير الذي كانوا يقصدونه، فقد كان ولا زال الساسة والقادة يدعمون كل ابتكار يساعدهم على الاتصال بالجماهير بشكل مباشر، ويساعدهم على التأثير عليهم، لكن بشكل عام يمكننا القول ان الاعلام السياسي كحقل اكاديمي في العلوم الاعلامية يعد ظاهرة حديثة. وقد اخذ بالتدرج والتطور في المفهوم نهاية الحرب العالمية الثانية، اذ تبلورت الرغبة في إنشاء علم الاعلام أو الاتصال بشكل مستقل ومن ثم تعزز بتوجهات علمية تمحورت ضمن مدرستين عالجتا موضوع الاتصال وهما المدرسة الامبيريقية (Empirical) تحت إشراف (لازارسفيلد)، والتي تميزت بسيادة المنهج الكمي (Quantity Method) الذي يميل إلى حصر الظاهرة الاتصالية داخل معطيات رقمية احصائية، اما الاتجاه الثاني (المدرسة النقدية) فهو نتاج جهود جماعة فرانكفورت (هوركايمر، أدورنو، إريك فروم) التي ركزت بحوثها على أولوية المحيط الاجتماعي الذي تتم فيه عملية الاعلام والاتصال يمثل اختلاف المسار العلمي للمدرستين كونه راجعاً لهيمنة تصورات فكرية دون اخرى على تفكير العلماء الذين يثبتون آراء احد الاتجاهين الامبيريقي، المحيط الاجتماعي.

يشير دان انيمون وساندرز (Dan Nimmon and k.r sanders)إلى أن أول ذكر للاعلام السياسي كمجال مستقل كان في عام (1956) حيث ظهر كتاب بعنوان السلوك السياسي (Political Behavior) يناقش تبادل التأثيرات السياسية بين الحكومة والمواطن وقد حدثت تطورات مهمة في أعقاب هذه المعادلة شملت المجال التطبيقي البحثي مثل آثار وسائل الاعلام في الانتخابات السياسية وآثار الدعاية وتحليل اللغة السياسية، ومن بين مجالات البحث الحالية مثل الخطابة السياسية، المناظرات السياسية التنشئة السياسية، الحملات الانتخابية، الحركات السياسية، العلاقة بين الحكومة ووسائل الاعلام...الخ.

وبعد ذلك ظهرت دراسات الاقتدار السياسي بجامعة ميتشغان علي يد (كامبل) وزملائه الذي يعد أول من عرف مفهوم الاقتدار السياسي بأنه (إحساس

بالفعل السياسي الذي يمكن أن يكون له تأثير على العمليات السياسية، ويحمل التعريف إمكانية حدوث التغيير الاجتماعي والسياسي وأن المواطن الفرد يمكن أن يشارك في هذا التغيير) وهذا ما يفترض في المثقفين عقل الأمة ومنه تحولت الدراسات من الجوانب الاقناعية إلى الجوانب المعرفية. إن النمط الاعلامي لا يحدث في معزل عن مؤثرات ثقافية أخرى لها أثر كبير في بلورة الظاهرة الاعلامية، حيث ان مدلول الاعلام بوصفه عملية سايكو- سوسيولوجية يتفاعل فيها طرفان مرسل ومستقبل لتصبح قاعدة معرفية مهمة. ففي البداية كان الاعلام يتحدد في اعلام واتصال الحكومات مع الهيئة والناحية ثم تحدد في تبادل الحوار السياسي بين الأغلبية الحاكمة والمعارضة، بعد ذلك توسع المجال الى دراسة دور وسائل الإعلام في صناعة الرأي العام، ثم الاهتمام باستطلاعات الرأي على الحياة السياسية، وأصبح الاعلام السياسي في الوقت الحاضر يشمل دراسة الاعلام والاتصال في الحياة السياسية بمعناها العام الذي يضم وسائل الإعلام، استطلاعات الرأي، التسويق السياسي والدعاية مع الاهتمام بشكل خاص بالفترات الانتخابية.

ثانياً: تعريف الاعلام السياسي

يعتبر مصطلح الاعلام السياسي نمطا جديدا من انماط الاعلام يحتاج للكثير من الاجتهادات، لذلك فقد تباين الخبراء والباحثين في مجال الاعلام والسياسة من ايجاد تعريف محدد له ونود ان نذكر بعضا منها اهمها:

تعريف سكدسون :(Schudson) الاعلام السياسي هو (أية عملية نقل للرسالة يقصد بها التأثير على استخدام السلطة أو الترويج لها في المجتمع

تعريف دينتون وودوارد :(Denton and Woodward) الاعلام السياسي هو المناقشة العامة حول السلطة ومصادر الدخل العام في المجتمع.

تعريف ميدو :(Meadow) الاعلام السياسي هو (الرموز والرسائل المتبادلة المتأثرة بالنظام السياسي أو المؤثرة فيه

تعريف فيليب دافيسون :(Phillip Davison) الإعلام السياسي هو (الطريقة التي تقوم بها الظروف السياسية بتشكيل نوعية الاتصال وكميته من جهة ومن جهة أخرى هو الطريقة التي بها يمكن إن تقوم ظروف الاعلام بتشكيل السياسة)
تعريف دومينيك والتون :(Dominique Welton) الاعلام السياسي هو (فضاء واسع يتم فيه تبادل الخطابات المتعارضة من طرف ثلاثة فاعلين يملكون جزء من الشرعية السياسية والديمقراطية هم رجال السياسة الصحفيون والرأي العام من خلال سبر الأراء .
تعريف ماكنير براين :(Mc Nair Brian) الإعلام السياسي هو (اعلام هادف يتعلق

بالسياسة.
تعريف كارل دويتش: الاعلام السياسي هو (عصب العملية السياسية، فاذا كان الاعلام فعالا قلل احتمالات الخطأ في اتخاذ القرارت التي هي قمة وغاية العمل السياسي.

ومن خلال ماسبق يمكننا تعريف الاعلام السياسي بأنه أحد فروع الإعلام الذي يتميز بقدرته على التأثير والتغيير والاقناع ويهتم بتغطية الموضوعات السياسية ويسعى لتحقيق أهداف سياسية ويعتبر من الأدوات الفعالة والرئيسية التي يعتمد عليها أي نظام سياسي ويستخدمه في تحقيق استراتيجياته المختلفة.

ثالثاً: مفاهيم أساسية مهمة في دراسة الاعلام السياسي:

من اجل التوصل إلى مفهوم اوضح واشمل للاعلام السياسي وجدنا انه من الضروري توضيح عدد من المفاهيم ذات الصلة بالاعلام السياسي واحيانا تكون احدى وسائله أو سببا في ظهوره ومن اهمها:

البيئة السياسية :Political Environmentيقصد بالبيئة في مفهومها العام ذلك الوسط والمجال المكاني الذي يعيش فيه الإنسان ويتأثر به ويؤثر فيه، وقد يتسع هذا الوسط ليشمل منطقة كبيرة جدا، وقد يضيق فلا يتضمن سوى مساحة بسيطة لا تتعدى رقعة المنزل الذي يسكنه، فالبيئة كل ما تخبرنا به حواسنا وهي كل شيء يحيط بالإنسان، ويرى علماء الاجتماع أن مفهوم البيئة لا يقف عند البعد الطبيعي فقط، بل يتضمن أيضا البعد الاجتماعي، السياسي فالبيئة بالمعنى المحدود تشير إلى ذلك المحيط الطبيعي الحيوي الذي يدعم الإنسان والكائنات الحية الأخرى من أجل البقاء، فهي بهذا المعنى تتضمن الجانب العضوي (Organic) الذي يشمل مختلف الكائنات الحية، والجانب غير العضوي (Inorganic) الذي يتضمن المناخ والتربة والضغط، أما البيئة بالمعنى الواسع تشير إلى المحيط الاجتماعي الذي يتضمن النظم الاجتماعية والايدولوجيا والرموز (Symbols) والتقنية(Technology) ، وتعتبر البيئة السياسية نظاما ديناميكيا معقدا ذو مكونات متشابكة ومتعددة وهي إحدى وسائل الاعلام السياسي من خلال التأثير المعرفي على الاتصال الشخصي وانعكاساته على السلوك السياسي للفرد، فالأحداث والازمات السياسية تخلق بيئة فاعلة ومؤثرة على ممارسة وسلوك الافراد وتساعدهم على المشاركة السياسية مع الأحداث والأزمات نتيجة متابعتهم للأخبار والاحداث والتحليلات عبر وسائل الإعلام المتنوعة. وكذلك يكتسب الناخبون معلوماتهم السياسية من بيئتهم المحيطة بهم في الحملات الانتخابية من خلال الاعلام السياسي عن طريق انتشار الرسائل الإعلامية التي تلبي رغباته الذاتية، ان جمهور الاعلام السياسي هو جمهور مسؤول عن اختيار ما يناسبه من وسائل الإعلام المتنافسة على مصادر الاشباع

المعلوماتي التي تحقق له اكبر قدر ممكن من الاشباع لتحقيق أهدافه ومتطلباته. وتشكل وسائل الإعلام انعكاسا للبيئة السياسية ومرآة الصراعات والتفاعلات على الصعيد السياسي، وبدون هذه الوسائل لا يستطيع أفراد المجتمع خارج الحلقة السياسية الاطلاع على مجريات الأحداث السياسية، فالبيئة السياسية تبنى من قبل وسائل الإعلام وفي الوقت نفسه هذه البيئة السياسية هي التي تحكم طبيعة عمل ووظائف وسائل الإعلام خاصة في الوظيفة السياسية منها، من خلال مجموعة التشريعات القانونية التي تنظم نشاطها.

الدعاية السياسية :Political Propaganda تعد الدعاية السياسية أحدى الظواهر الهامة والبارزة في العالم اليوم وتبرز أهميتها في أنها تسهم في تغيير مواقف واتجاهات الجماعات والإفراد والتأثير فيها على نحو يتفق مع مصالح الخط السياسي والفكري الذي تتبناه الجماعة السياسية لتحقيق أهدافها، والدعاية السياسية هي أساساً عملية إثارة للعواطف بقصد الوصول إلى تشويش التتابع المنطقي وهي تفترض نوعاً من أنواع التلاعب الذي يجب إن يخضع لفلسفة معينة وتهدف الدعاية إلى توليد المواقف والتصرفات لدى الجماعات والافراد الذين تتوجه اليهم وتعديل الادراك الخاص بهم وأحكامهم التقييمية، بل تهدف إلى جعل هذه الجماعات تتقبل كل الأفعال التي يقوم بها السياسي القائم بهذه الدعاية وكما تقوم على تلقين الافراد عدداً من النظريات والمبادئ السياسية التي تحرك حماسهم للتعاون والتأييد وبذل الجهود المنسقة من أجل خطة العمل المستهدفة مما يكفل التأثير على الرأي العام وصنعه، ثم لا يلبث هذا الدور الدعائي أن يصير مرجعاً ودليلاً ويلعب دوراً هاماً وأساسياًَ في النشاط السياسي المؤدي إلى زيادة شعبية فرد أو جماعة معينة.

الإعلان السياسي :Political Declaration يعرف الإعلان السياسي بأنه العملية الاتصالية التي يدفع فيها المعلن ثمنا مقابل ما يتاح له من فرصة في وسيلة إعلامية ليعرض فيها على الجماهير رسائل سياسية ذات هدف محدد ومقصود من أجل التأثير على مواقفهم وأفكارهم وسلوكهم، ويعد الإعلان السياسي أكثر أنواع الاعلام السياسي تأثيراً على الشعوب والمجتمعات، حيث وظف كثير من القادة والساسة وسائط الاعلام لخدمة أهدافهم وتحقيق غاياتهم. ولذلك يتهم هذا النوع من الاعلام بأنه السبب المباشر في كثير من المشكلات التي عانت منها الشعوب مثل ظهور النازية التي نجحت في توظيف الإعلان السياسي والدعاية السياسية لخداع الجماهير، ومثل تسويق المرشحين كما تسوق الأفلام والمسلسلات التلفزيونية، والمبالغة في إعطائهم صفات لا تمت إلى الحقيقة بصلة.

المشاركة السياسية: هي تلك الأنشطة السياسية التي يساهم بمقتضاها أفراد المجتمع في اختيار حكامه وفي صياغة السياسية العامة بشكل مباشر أو غير

مباشر، فهي تعني اشتراك الفرد في مختلف مستويات النظام السياسي، فالمشاركة السياسية للموطنين تشكل النشاطات السياسية المباشرة (الأولية) والنشاطات غير المباشرة (الثانوية)، ومن أمثلة المشاركة في النشاطات السياسية المباشرة (تقلد منصب سياسي، عضوية الحزب أوالترشيح في الانتخابات، التصويت، مناقشة الأمور العامة، الاشتراك في المظاهرات....الخ) أما النشاطات غير المباشرة فهي تمثل المعرفة بالمشاكل العامة والعضوية في هيئات التطور وبعض أشكال العمل في الجماعات الأولية. إن المشاركة السياسية تعني في أوسع معانيها، حق المواطن في أن يؤدي دورا معينا في عملية صنع القرارات السياسية.

التسويق السياسي: هو عملية متداخلة إذا يمثل مفارقة وتناقضاً، ويعتبر في العصر الحالي بمنزلة الدعامة السياسية في الاعلام لكونه النوع الأكثر فعالية وتوجه اليه عادة تهمة إهماله ومساسه بالجانب الاخلاقي ولكنه يوظف وعوداً كاذبة في كثير من الاحيان تتجاوز حجم وإمكانيات المرشح السياسي ولذلك يمكن الربط بين مختلف أدوات الاعلام السياسي والتسويق السياسي بشكل يعزز عملية التنمية السياسية من المنظور المؤسساتي النظامي، المتمثل في صياغة الجانب الملموس، المتمثل في صياغة برامج متكاملة تتجاوز الماضي بتوفير ظروف اقتصادية واجتماعية جديدة وتوظيف الروابط وتدعيم حركية المجتمع وتحويلها إلى آليات للاتصال والتسويق السياسي ومن المعلوم ان لجميع الأحزاب السياسية تواجد في المجتمع المدني سواء كان في شكل تنظيمات طلابية أو نقابات أو جمعيات ذات طابع خدمي ويوظف خطاب هذه الجمعيات لتدعيم عملية التسويق والاعلام السياسي للبرامج التي يهدف اليها الحزب وتسويقها وذلك لإن توفير الوسائل السلمية للاعلام يسمح للموظفين والافراد بالتأثير في مضمون القرارات الجماعية المقترحة التي تحقق مصالحهم المشروعة وتؤمين حقوقهم الاجتماعية والبيئية والقانونية والسياسية.

رابعاً: العلاقة بين الاعلام السياسي والنظام السياسي

هناك علاقة وطيدة بين الاعلام السياسي والعملية السياسية بصفة عامة، فوسائل الاعلام تعتبر حلقة الوصل بين الجماهير والنظام الحاكم صانع القرارات، وهي التي تسهم بدرجة كبيرة في نجاح أو فشل النظام السياسي من خلال الوظائف والانشطه السياسية التي تقوم بها.

ان الخبراء والباحثين في مجال الاعلام والسياسة يؤكدون على ان العملية الاتصالية تحتوي على أربعة عوامل هي: مصدر وقناة ومستمع ورسالة، فوضع المصدر المركز الذي يشغله هو الذي يحدد العلاقة بين نظام الاعلام والنظام السياسي، ومحتوى الرسالة هو الذي يحدد الأمر، والقناة المستخدمة هي التي تنتج

العلاقة بين النظامين، ويؤكد ديفيد ايستن أن النظام السياسي هو مجموعة من التفاعلات التي تحدث في أي مجتمع والتي يتم من خلالها عملية تخصيص دائرة متكاملة ذات طابع ديناميكي تبدأ بالمدخلات (Input) وتنتهي بالمخرجات (Output) مع قيام عملية التغذية الاسترجاعية (Feedback) بالربط بين المدخلات والمخرجات، ويتكون النظام السياسي لدى ديفيد ايستن من أربعة عناصر أساسية:

المدخلات: وتنبع من البيئة ومن النظام نفسه وهي عبارة عن الضغوط التي يتعرض لها النظام السياسي وتدفعه إلى النشاط والحركة وتنقسم هذه المدخلات إلى مطالب يستقبلها النسق من نظام الاعلام جماعات المصالح والأحزاب والمساندة والدعم الذي تلقاه تلك المطالب حيث يعتمد النظام في استمراره إلى الحد الأدنى من الولاء والمساندة .

عملية التحويل: وهي بمثابة غربلة وانتقاء للمطالب من قبل النظام التشريعي والتنفيذي ففي الوقت الذي يتم فيه التعبير عن عدد كبير من المطالب لا يتحول من تلك المطالب إلى قرارات إلا عدد قليل نسبياً .

المخرجات: وهي السياسات والقرارات التي تتعلق بالتوزيع السلطوي للموارد، أي انها نتاج عملية التحويل التي تتم داخل النظام بفعل المدخلات وهذه المخرجات قد تكون ايجابية وذلك عندما تحاول السلطة تعديل البيئة من خلال الوفاء بالمطالب أو رمزية مثل إثارة مشاعر الخوف من تهديد خارجي أو انقسام داخلي وأخيرا تكون سلبية وذلك عندما تلجأ السلطة إلى الإرهاب لكي تضمن الحفاظ على النظام السياسي .

التغذية المرتدة: وهي ما يعني تدفق المعلومات من البيئة إلى النظام السياسي عن تأثير قراراته وسياساته فهي التي تربط المدخلات بالمخرجات في عملية مستمرة المخرجات فيها بمثابة رد فعل للمدخلات وهذه بدورها تؤثر بالمخرجات .

مما سبق يبدو واضحاً أن نظام الاعلام يلعب دوراً هاماً في ربط أجزاء النظام السياسي المختلفة فالنظام السياسي وفقاً لرؤية ديفيد ايستن يقوم على شبكة اتصالية واسعة تربط المدخلات بمؤسسات التحويل وبالمخرجات ورجع الصدى. وهذه العملية الدائرية هي ما وضعها ايستن وتعرف بالنموذج المتدفق للنظام السياسي وفيه نجد العملية السياسية كتدفق مستمر ومتداخل للسلوك وتعتبر هذه العملية ضرورية لبقاء النظام حيث تنقل الاثار القرارات والسياسات التي يتخذها النظام على مدخلاته من تأييد ومطالب مما يجعل النظام قادرا على المضي في سلوكه السابق أو تعديله وهذه العملية تعتمد في المقام الأول على نظام الاعلام السياسي .

خامساً: نظريات الاعلام السياسي:

لقد اشار الخبراء والباحثون في مجال الاعلام والسياسة إلى ان بعض النظريات السياسية هي الأساس الذي تبنى عليه نظريات الاعلام السياسي وهي:

1) نظرية السلطة:

ظهرت هذه النظرية في إنجلترا في القرن السادس عشر، وتعتمد على نظريات أفلاطون وميكافيللي، وترى أن الشعب غير جدير على أن يتحمل المسؤولية أو السلطة فهي ملك للحاكم أو السلطة التي يشكلها. وتعمل هذه النظرية على الدفاع عن السلطة، ويتم احتكار تصاريح وسائل الإعلام، حيث تقوم الحكومة على مراقبة ما يتم نشره، كما يحظر على وسائل الإعلام نقد السلطة الحاكمة والوزراء وموظفي الحكومة وعلى الرغم من السماح للقطاع الخاص بإصدار المجلات إلا انه ينبغي أن تظل وسائل الإعلام خاضعة للسلطة الحاكمة.

2) نظرية المشاركة الديمقراطية:

هي من النظريات الحديثة والاكثر تحديدا بالنسبة لنظريات الإعلام، فقد برزت هذه النظرية من واقع الخبرة العملية كاتجاه إيجابي نحو ضرورة وجود أشكال جديدة في تنظيم وسائل الإعلام، فالنظرية قامت كرد فعل مضاد للطابع التجاري والاحتكاري لوسائل الإعلام المملوكة ملكية خاصة، كما أن هذه النظرية قامت ردا على مركزية مؤسسات الإذاعة العامة التي قامت على معيار المسؤولية الاجتماعية وتنتشر بشكل خاص في الدول الرأسمالية. ويعبر مصطلح (المشاركة الديمقراطية) عن معنى التحرر من وهم الأحزاب والنظام البرلماني الديمقراطي في المجتمعات الغربية والذي أصبح مسيطرا على الساحة ومتجاهلا الاقليات والقوى الضعيفة في هذه المجتمعات، وتنطوي هذه النظرية على أفكار معادية لنظرية المجتمع الجماهيري الذي يتسم بالتنظيم المعقد والمركزية الشديدة والذي فشل في توفير فرص عاجلة للأفراد والاقليات في التعبير عن اهتماماتها ومشكلاتها. وترى هذه النظرية ان نظرية الصحافة الحرة (نظرية الحرية) فاشلة بسبب خضوعها لاعتبارات السوق التي تجردها أو تفرغها من محتواها، وترى ان نظرية المسؤولية الاجتماعية غير ملائمة بسبب ارتباطها بمركزية الدولة، ومن منظور نظرية المشاركة الديمقراطية فإن التنظيم الذاتي لوسائل الإعلام لم يمنع ظهور مؤسسات إعلامية تمارس سيطرتها من مراكز قوى في المجتمع، وفشلت في مهمتها وهي تلبية الاحتياجات الناشئة من الخبرة اليومية للمواطنين أو المتلقين لوسائل الإعلام. وهكذا فإن النقطة الأساسية في هذه النظرية تكمن في الاحتياجات والمصالح والآمال للجمهور الذي يستقبل وسائل الإعلام، وتركز النظرية على اختيار وتقديم المعلومات المناسبة وحق المواطن في استخدام وسائل الاتصال من أجل التفاعل والمشاركة على نطاق صغير في منطقته ومجتمعه، وترفض هذه

النظرية المركزية أو سيطرة الحكومة على وسائل الإعلام ولكنها تشجع التعددية والمحلية والتفاعل بين المرسل والمستقبل والاتصال الأفقي الذي يشمل كل مسؤوليات المجتمع ووسائل الإعلام التي تقوم في ظل هذه النظرية سوف تهتم أكثر بالحياة الاجتماعية وتخضع للسيطرة المباشرة من جمهورها، وتعطي فرصا للمشاركة على أسس يحددها الجمهور بدلا من المسيطرين عليها.

3) نظرية الحرية:

ظهرت في بريطانيا عام 1688م ثم انتشرت إلى أوروبا وأمريكا، وترى هذه النظرية أن الفرد يجب أن يكون حرا في نشر ما يعتقد انه صحيح عبر وسائل الإعلام، وترفض هذه النظرية الرقابة أو مصادرة الفكر. ومن أهداف نظرية الحرية تحقيق اكبر قدر من الربح المادي من خلال الإعلان والترفيه والدعاية، لكن الهدف الأساسي لوجودها هو مراقبة الحكومة وأنشطتها المختلفة من أجل كشف العيوب والفساد وغيرها من الأمور، وتتميز هذه النظرية بأن وسائل الإعلام وسيلة تراقب أعمال وممارسات أصحاب النفوذ والقوة في المجتمع، وتدعو هذه النظرية إلى فتح المجال لتداول المعلومات بين الناس بدون قيود من خلال جمع ونشر وإذاعة هذه المعلومات عبر وسائل الإعلام كحق مشروع للجميع.

4) نظرية المسؤولية الاجتماعية:

ظهرت نظرية المسؤولية الاجتماعية في الولايات المتحدة الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية، وتقوم هذه النظرية على ممارسة العملية الإعلامية بحرية قائمة على المسؤولية الاجتماعية، وظهرت القواعد والقوانين التي تجعل الرأي العام رقيبا على آداب المهنة وذلك بعد ان استخدمت وسائل الإعلام في الإثارة والخوض في أخبار الجنس والجريمة مما أدى إلى إساءة الحرية أو مفهوم الحرية. ويرى أصحاب هذه النظرية ان الحرية حق وواجب ومسؤولية في نفس الوقت، ومن هنا يجب ان تقبل وسائل الإعلام القيام بالتزامات معينة تجاه المجتمع، ويمكنها القيام بهذه الالتزامات من خلال وضع مستويات أو معايير مهنية للإعلام مثل الصدق والموضوعية والتوازن والدقة، ونلاحظ ان هذه المعايير تفتقد إليها نظرية الحرية، ويجب على وسائل الإعلام في إطار قبولها لهذه الالتزامات ان تتولى تنظيم أمورها ذاتيا في إطار القانون والمؤسسات القائمة، ويجب ان تكون وسائل الإعلام تعددية تعكس تنوع الآراء والأفكار في المجتمع من خلال إتاحة الفرصة للجميع من خلال النشر والعرض، كما ان للجمهور العام الحق في ان يتوقع من وسائل الإعلام مستويات أداء عليا، وان التدخل في شؤون وسائل الإعلام يمكن ان يكون مبرره تحقيق هذه المصلحة العامة؛ أضف إلى ذلك ان

الإعلاميين في وسائل الاعلام يجب ان يكونوا مسؤولين أمام المجتمع بالإضافة إلى مسؤولياتهم أمام مؤسساتهم الإعلامية. وتهدف هذه النظرية إلى رفع مستوى التصادم إلى مستوى النقاش الموضوعي البعيد عن الانفعال، كما تهدف هذه النظرية إلى الإعلام والترفيه والحصول على الربح إلى جانب الأهداف الاجتماعية الأخرى.

5) النظرية الماركسية (الاشتراكية):

ان الأفكار الرئيسية لهذه النظرية التي وضع أساسها ماركس وانجلوس ووضع قواعد تطبيقها لينين واستالين يمكن إيجازها في ان الطبقة العاملة هي التي تمتلك سلطة في أي مجتمع اشتراكي، وحتى تحتفظ هذه الطبقة بالسلطة والقوة فإنها لابد ان تسيطر على وسائل الإنتاج الفكري التي يشكل الإعلام الجزء الأكبر منها، لهذا يجب ان تخضع وسائل الإعلام لسيطرة وكلاء لهذه الطبقة العاملة وهم في الأساس الحرب الشيوعي.ان المجتمعات الاشتراكية تفترض أنها طبقات لا طبقية، وبالتالي لا وجود لصراع الطبقات، لذلك لا ينبغي ان تنشأ وسائل الإعلام على أساس التعبير عن مصالح متعارضة حتى لا ينفذ الخلاف ويشكل خطورة على المجتمع.

6) النظرية التنموية:

ظهرت النظرية التنموية في عقد الثمانينيات، وتقوم على الأفكار والآراء التي وردت في تقرير لجنة (واك برايل) حول مشكلات الاتصال في العالم الثالث فهذه النظرية تخرج عن نطاق بعدي الرقابة والحرية كأساس لتصنيف الأنظمة الإعلامية، فالأوضاع المتشابهة في دول العالم الثالث تحد من إمكانية تطبيق نظريات الإعلام التي أشرنا إليها في السابق وذلك لغياب العوامل الأساسية للاتصال كالمهارات المهنية والمواد الثقافية والجمهور المتاح. ان المبادئ والأفكار التي تضمنت هذه النظرية تعتبر هامة ومفيدة لدول العالم النامي لأنها تعارض التبعية وسياسة الهيمنة الخارجية. كما ان هذه المبادئ تعمل على تأكيد الهوية الوطنية والسيادة القومية والخصوصية الثقافية للمجتمعات وعلى الرغم من أن هذه النظرية لا تسمح إلا بقدر قليل من الديمقراطية حسب الظروف السائدة إلا أنها في نفس الوقت تفرض التعاون وتدعو إلى تظافر الجهود بين مختلف القطاعات لتحقيق الأهداف التنموية، وتكتسب النظرية التنموية وجودها المستقل من نظريات الإعلام الأخرى من اعترافها وقبولها للتنمية الشاملة والتغيير الاجتماعي.

مما سبق يمكننا ان نستنتج بأن توجد ثلاث نظريات للاعلام السياسي هي:

1) النظريات المتعلقة بالجمهور: يرتبط هذا النوع من النظريات بالجمهور المستخدم للمواد الإعلامية ويقوم هذا النوع من النظريات على أساس أن الجمهور يستخدم وسائل الإعلام بسبب دوافع نفسية أو اجتماعية. ومن أبرز هذه النظريات ما يلي:

أ. نظرية الاستخدامات والاشباعات .

ب. نظرية المعالجة المعلوماتية.

2) النظريات المتعلقة بالقائم بالاتصال: تصنف بعض النظريات على أنها مرتبطة بالمرسل أو القائم بالاتصال، وأهمها:

أ. نظرية الغرس الثقافي .

ب. نظرية ترتيب الأولويات .

3) النظريات المتعلقة بنوع التأثير الإعلامي الذي تحدثه وسائل الإعلام في الجمهور:

أ. التأثير المباشر(قصير المدى

.

ب. نظريات التأثير التراكمي طويل المدى

سادساً: أهداف الاعلام السياسي:

للاعلام السياسي أهداف وغايات محددة ومرسومة، فالسياسي يتحدث إلى الجمهور من خلال وسائل الإعلام لفرض ممارسة السلطة وكذلك الافراد الذي يشاركون في العملية السياسية من خلال وسائل الإعلام من أجل التعبير عن آرائهم تجاه قضاياهم، وبالتالي فإن تدفق المعلومات من وسائل الإعلام إلى قادة الرأي في المجتمع يعتبر هو الوسيلة المثلى للاعلام السياسي نقلاً لتلك المعلومات التي تبثها وسائل الإعلام بطريقة التحليل والتفسير وتقديم وجهات النظر المختلفة لتلك المعلومات والرسائل الإعلامية. ويهدف الاعلام السياسي بالدرجة الأساس إلى التاثير في الرأي العام ويستهدف الاعلام السياسي تحقيق اهداف معينة على مستويين الوطني والدولي:

1) أهداف الاعلام السياسي على المستوى الوطني:

- ✓ التأثير في الاتجاهات.
- ✓ الرقابة على الحكومة.
- ✓ التثقيف السياسي.
- ✓ التسويق السياسي.

تدعيم الولاء والتأييد بين المرسل والمستقبل، وترسيخ الشعور بالولاء لبلورة ثقافة قومية.

•مواجهة الدعاية الخارجية، والعمل على توافق الاراء والسلوك داخل المجتمع.

2) أهداف الاعلام السياسي على المستوى الدولي:

•جمع المعلومات الكافية عن البيئة السياسية والاجتماعية والاعلامية داخل

الدولة والدول المراد التوجه اليها أو العمل فيها.

- o دعم السياسات الخارجية للدول أو قضاياها على الصعيد الدولي.
- o خلق صور وانطباعات ايجابية عن الدولة ومؤسساتها عند المتلقين في دول أخرى وتقوم الاذاعات والقنوات التلفزيونية الموجهة إلى الخارج بهذا الدور عادة.• يعنى بدراسة سياسات الاعلام من دولة لاخرى اذ ان لكل دولة سياستها الخاصة بها في مجال الاعلام والاتصال.
- o تحقيق نوع من التداخل الحضاري للدولة أو لمجموعة الدول القائمة بالاتصال داخل الدولة ودعم ثقافة الدولة اوالمنظمة الإقليمية التي تمثل مجموعة الدول.

سابعاً: أنواع الاعلام السياسي :

1. الاعلام السياسي التضليلي:(Misleading Political Media) تنصب غايته على صرف الانتباه عن عنصر الحقيقة في موضوع معين أو اخفائها عن الجمهور المستقبل ووسائله هي التلوين والرمز أو التقويم أو الاجتزاء في نقل المعلومات عن الحدث وعن سياسة معينة في ظرف زمني محدد وهذا النوع من الاعلام ليس اعلاما دائما بل هو اعلام مناسباتي تمليه الحاجات والظروف أكثر من كونه منهجا ثابتا في اية سياسة للاعلام الدولي وغالبا ماتبرز الحاجة اليه اوقات الازمات السياسية وفي اوقات الحروب الداخلية أو الدولية.
2. الإعلام السياسي الموضوعي :(Objective Political Media) وفيه يقوم المرسل ببث المعلومات عبر وسائل الإعلام المختلفة عن حدث معين بحيث يتركز اهتمامه على إيجاد الحقائق كما هي دون التضليل بالتضخيم أو التحريف أو التشويه وهناك علاقة تناسبية بين الإعلام الموضوعي وطبيعة الحدث تؤثر بطريقة أو أخرى على ابراز الحقيقة طبقا لرؤية القائم بالاتصال واثر ذلك على مصالحه.

ثامناً: وسائل الاعلام السياسي:

يتخذ الاعلام السياسي وسائل وأشكالا متعددة قد تكون مباشرة أو غير مباشرة، ثنائية اوفورية واحيانا تأتي مجتمعة كلها، وتشمل وسائل الاعلام السياسي الوسائل الشفهية (كأنتشار الخبر بين المواطنين) والوسائل المقروءة وهي (الصحف والمجلات والكتب والنشرات والرسائل والملصقات والفاكس والانترنت) والوسائل المرئية الخارجية وهي (الصور والملصقات واعلانات الشوارع) الوسائل السمعية وهي (الاشرطة والاسطوانات والهواتف) والوسائل السمعية البصرية وهي (التلفزيون والسينما والفديو والكومبيوتر) والوسائل المنظماتية (أحزاب، جماعات الضغط....) وكما قد ساعدت وبشكل كبير ادوات التكنولوجيا الشخصية كالموبايل والبريد الالكتروني ومواقع التواصل الاجتماعي وغيرها على إعادة الوسائل الشخصية الشفهية في نقل الاخبار والدعايات بين الناس واصبح الفرد قادرا بحكم التكنولوجيا على بث الاخبار أو الدعايات التي يراها مناسبة او تحقق له غرضا ما. ويعتبر التلفزيون أكثر الوسائل التي يعتمد عليها في تحقيق أهداف الإعلام السياسي باعتباره وسيلة مسموعة مرئية أكثر جاذبية وتأثيرا وشعبية مقارنة بالوسائل الاعلامية الأخرى ويعتمد عليه في طرح القضايا السياسية الهامة. كما ويتخذ الاعلام السياسي مجموعة من الاساليب من اجل السيطرة والتحكم والتأثير في سلوك الجمهور لتحقيق اهدافه ومن اهم تلك الاساليب هي المؤتمرات، الندوات، المحاضرات، المعارض، الملصقات، الزيارات .

تاسعاً: وظائف الاعلام السياسي :

يقوم الاعلام السياسي بوظائف عديدة من اهمها:

- وظيفة التنشئة السياسية: يقصد بالتنشئة السياسية كيفية نقل الثقافة السياسية للمجتمع من جيل إلى آخر، وهي تهتم بشخصية الفرد وتطويرها وفق نموذج معياري مسبق لتعميق التوجهات والقيم السياسية الشائعة والمستقرة في المجتمع كما تسعى إلى تنمية مدركات الفرد وتعزيز قدراته السياسية بحيث يستطيع التعبير عن ذاته من خلال سلوكيات ينتجها في الحياة السياسية خاصة إذا كان النظام السياسي غير رشيد، ومنه امكانية خلق مجتمع مدني ويأتي ذلك من خلال قيام الاعلام السياسي بأكساب المواطن تفاصيل الحياة السياسية والقضايا الخاصة بالحملات الانتخابية والمرشحين وكل ما يخص النسق السياسي.

- وظيفة التثقيف السياسي: لا ينتج الوعي في حالة مصاغة ومتبلورة نهائيا بل يتبلور وفق ديناميكية خاصة تتجلى فيها عوامل داخلية وخارجية، ويبنى الوعي السياسي على تراكم التصورات والآراء والمفاهيم المكتسبة من قبل، ويساهم الاعلام السياسي في تثبيت البعض منها وتطور البعض الأخر، وتصنيف أفكار وأراء جديدة من اجل دعم الوعي الاجتماعي بما فيه السياسي ليؤثر بفعالية في الوجود الاجتماعي من خلال تزويد الأفراد بالمعارف والمفاهيم التي تتعلق بالأمور السياسية التي يحتاجها لبناء شخصيته السياسية وحركة السياسة في المجتمع.
- وظيفة التعبئة السياسية: يؤدي الاعلام السياسي دورا كبيرا في التعبئة السياسية، فهو يقوم بتهيئة الأفراد نفسيا ومعنويا وذهنيا لإستقبال أحداث سياسية متوقعة مثلا يسبق بعض نتائج الانتخابات غير المتوقعة التي لا يستحسنها المواطن، فهو يقوم بالتمهيد لتقبل شيء معين في إطار سياسات واستراتيجيات مرسومة من قبل، وعادة ما تكون هذه الوظيفة تسبق المواعيد الانتخابية بأنواعها.
- وظيفة التطوير السياسي للأفراد: يلعب الاعلام السياسي دورا هاما في التطوير السياسي ونشر الثقافة السياسية عن طريق تقديم المواد والبرامج الاعلامية التي تحتوي إما مواد إخبارية، تعليمية، ترفيهية وبوسائله المختلفة كالصحافة، الإذاعة، التلفزيون الانترنت ولما هذه الوسائل من دورا كبيرا في التأثير في ملايين الناس، فوسائل الإعلام السياسي تمتلك قوة كبيرة للتأثير في الرأي العام وتوجيهه.من خلال تحديد نمط سلوكه في المجتمع هذا من جهة، أما من جهة ثانية فإنها في غاية الفعالية من خلال مشاركتها في المعارك السياسية والانتخابية.

- ✓ وظيفة الاعلام: تعتبر وظيفة الاعلام من الوظائف المهمة التي يقوم بها الاعلام السياسي والتي تعد احد العناصر المؤثرة في المشاركة السياسية والثقافة السياسية.
- ✓ وظيفة المساندة السياسية: يقوم الاعلام السياسي بتوظيف وسائل الاعلام لتحقيق الاستقرار السياسي والشرعية السياسية.
- ✓ وظيفة التنمية السياسية: اذ يقوم الاعلام السياسي بتخصيص مساحات جيدة من قبل وسائله المختلفة للتثقيف السياسي والتنشئة السياسية وذلك بهدف حث الجمهور على المشاركة السياسية.
- ✓ التوعية الوطنية: من خلال استخدام كافة وسائل الاعلام المختلفة لخلق الوعي الوطني للجمهور وحثهم على الانتماء الوطني والولاء القومي.

عاشراً: معوقات الاعلام السياسي:

يوجد العديد من المعوقات التي تشكل عقبة امام قيام الاعلام السياسي بدوره على اتم وجه منها:

الانانية وقصر النظر للساسة وصناع القرار يعتبر من اكبر المعوقات امام التطور الموضوعي للاعلام السياسي. اذ يسعى بعض الساسة استغلال الاعلام السياسي لبناء امجادهم الشخصية.

- ✓ الاهتمام في عملية توظيف للاحداث والموضوعات اهتماما كميا واهمال الجوانب النوعية
- ✓ وجود بعض المحاذير في تناول بعض الموضوعات السياسية بسبب قرارات سياسية تعتبر قيودا على تطور الاعلام السياسي
- ✓ التحدي الالكتروني جعل من الاعلام غير مؤسسية بسبب ظهور مؤسسة الفرد الاعلامية. وهم يستخدمون ميزة التكولوجيا أهم ميزة للانترنيت أنه قوة تعبوية كبيرة لكنه أدخل على الاعلام السياسي في جانبه الميديولوجي تحولا عميقا قد يخلخل الأسس التقليدية التي قام عليها عصر ما قبل الانترنيت، أصبحت حدود الواقع الاعلامي الذي تصنعه وسائل الاعلام تتغير في اتجاه التوسع و في اتجاه تجاوز الفاعل الاعلامي التقليدي (الصحافي، صحافة، راديو، تلفزيون) ليلتصق أكثر بالفاعل الالكتروني المعبر المباشر عن الرأي العام (المواطن، من خلال المدونات، منتديات النقاش..
- ✓ وجود التكنولوجيا والموارد المالية جعل من الاعلام السياسي المستخدم بيد اشخاص معينين خطرا كبيرا على الاختيار السياسي الحر للمواطن وبما ان الاعلام السياسي هو احد العناصر الأساسية المكونة للديمقراطية اذن وبتحول هذا العنصر إلى اداة ضد الاختيار الحر يشكل بحد ذاته اشكالية كبيرة.
- ✓ عدم توفر الكفاءات الاعلامية ذات الخبرة الكافية في العمل في مجال الاعلام السياسي وان اغلبها تعاني الضعف في الاداء والتقديم وطرح الموضوعات السياسية وهذا يشكل عقبة امام نجاح الاعلام السياسي وتحقيق
- ✓ قصور التمويل المالي لوسائل الاعلام او انعدامه في بعض الاحيان. يشكل عائقا امام تطوير وسائل الإعلام لتواكب الاساليب التكنولوجية الحديثة، خاصة وان اعداد وتقديم البرامج السياسية يتطلب الكثير من الجهود البشرية والتكلفة المالية مما يجعل سائل الاعلام تعاني الضعف في طرح القضايا السياسية والاجتماعية.

احد عشر: اهمية الاعلام السياسي:

تزايدت اهمية الاعلام السياسي في العصر الحالي بشكل كبير اذ بات ضرورة من ضرورات الحياة المعاصرة، فالاعلام السياسي يعتبر سلطة قادرة على التأثير والتغيير، لذا فهو يمارس دورا مميزا وفعالا في التوعية السياسية للمجتمع وبوسائله المختلفة من صحف واذاعة وتلفزيون ووسائل الكترونية جديدة أخرى، اذ يقوم بتعزيز ونجاح الوعي السياسي والإجتماعي وتدعيم القيم السياسية والمشاركة السياسية وتوعية الناس بما يدور حولهم من أحداث ومواقف سواء على المستوى الداخلي اوالخارجي ويساعد في إحداث تغيير جذري في حياة المجتمع، ويتميز بقدرة فائقة في عملية التنشئة السياسية وتكوين ثقافة سياسية بالتالي حصول المشاركة السياسية خاصة عندما يكون الإعلام منظما ويسير وفق سياسية إعلامية محكمة. وتبرز اهمية الاعلام السياسي خلال اوقات الحرب والسلم والانتخابات والحملات السياسية في المجتمعات المتقدمة اذ يقوم بدور رئيسي في نقل وتدفق المعلومات من النخبة السياسية إلى الجمهور وايضا نقل مشكلات وطموحات الجماهير وتصوراتهم إلى النخبة السياسية.

اثنا عشر: تفعيل الاعلام السياسي في اقليم كوردستان العراق:

يعتبر الوعي السياسي أساس نجاح المجتمعات واستقرارها، اذ أن انعدام الوعي السياسي والثقافي للمواطنين يهدد بناء المجتمع الديمقراطي، وان الاستخدام الأمثل لوسائل الاعلام يدعم التوعية السياسية وذلك من خلال تهيئة المناخ الملائم للتوعية السياسية وتأهيل الجمهور بالشكل الملائم للمشاركة السياسية أي المشاركة في عملية اتخاذ القرارات والتعبير السياسي.

ان الاقليم اليوم بأمس الحاجة إلى وجود وعي ثقافي وسياسي شامل وواسع، يسعى إلى التعريف بقضاياه الأساسية، ويبين حجم المأساة والظلم الذي وقع عليه جراء تعاقب الحكومات العراقية السابقة ودول الجوار، خاصة وان الاقليم وعبر السنوات الماضية تعرض إلى محاولات عديدة لطمس تاريخه وتراثه اضافة إلى العدوان والتدمير والتخريب والتهميش والقتل.لذا فمن الضروري تبني سياسة إعلامية محكمة تختص بتفعيل دور الإعلام الكوردي لتوعية الجماهير الكوردية توعية سياسية تسهم في بناء جيل قوي مؤهل لخدمة بلده والدفاع عنه بشتى الوسائل الممكنة.لذا فنحن نرى انه من الضروري تفعيل دور الإعلام لتنمية الوعي

السياسي في اقليم كوردستان العراق ويجدر بنا ان نقدم بعض التوصيات بخصوص الموضوع ومن اهمها:

1. من الضروري تبني إستراتيجية خاصة بالتوعية السياسية في الاقليم بشكل يتوافق مع عادات وتقاليد المجتمع الكوردي والتي تؤدي إلى تكوين وبلورة الشخصية الكوردية وتعديل بعض السلوكيات وان تركز بالدرجة الأساس على الاهتمام بتوعية الشباب باعتبارهم المستقبل وكونهم يمثلون شريحة مهمة وفعالة على المستوى السياسي والإعلامي والإجتماعي. يجب على وسائل الإعلام في الاقليم أن تقدم رسالتها الإعلامية
2. تفعيل دور الإعلام السياسي في الاقليم ليقوم بدوره التوعوي من خلال تنظيم عمل المحطات الإذاعية والقنوات التلفزيونية المحلية والفضائية والمواقع الإلكترونية بما يجعلها تشارك بفعالية في صياغة السياسات والاستراتيجيات الوطنية. وذلك بالعمل على زيادة البرامج السياسية والاجتماعية المختصة بالتثقيف السياسي والتي تشجع الجمهورعلى المشاركات السياسية فضلا عن زيادة الأخبار والتحليلات السياسية التي تعرفهم بالأحداث والوقائع التي يمر بها الاقليم و زيادة البرامج الحوارية السياسية والاجتماعية التي تطرح وجهات نظر مختلفة ومحاولة إشراك الجمهور في هذه البرامج لتكوين رؤية سياسية لديهم إضافة إلى زيادة الاهتمام بالقضايا المدنية والديمقراطية واستضافة شخصيات سياسية تمتلك الأسلوب الأفضل لتعريف الجمهور بالواقع السياسي الذي يعيشه المجتمع الكوردي والتنسيق بين جامعات الاقليم باعتبارها مصدر الثقافة والمعرفة والعلم وخاصة أساتذة علم السياسة والإعلام والاجتماع والاقتصاد لتعزيز الوعي السياسي لدى الطلبة.
3. توفير كفاءات إعلامية من ذوى الخبرة في مجال الاعلام السياسي، وبجميع اشكاله المقروءة والمسموعة والمرئية والالكترونية.
4. العمل على اقامة الدورات التدريبية للعاملين في مجال التلفزيون والاذاعة والصحافة وبشكل مكثف لغرض تأهيلهم للعمل في مجال الاعلام السياسي من أجل تنمية القدرات الفكرية والإبداعية والمهنية لديهم ومحاولة التنسيق مع منظمات المجتمع المدني (المنظمات غير الحكومية) والتي تعمل إلى جانب الأحزاب والتنظيمات السياسية لفتح دورات تدريبية و ندوات وحلقات نقاش خاصة بالتوعية السياسية للعاملين في مجال الاعلام وللجمهور بشكل يمكننها من دعم من دور وسائل الإعلام في بلورة الوعي السياسي وإرساء مفاهيمه
5. اقامة الندوات والمؤتمرات وورش العمل والمحاضرات داخل الاقليم تهدف الى إبراز أهمية الوعي السياسي والإجتماعي وضرورة تعزيز روح وقيم المشاركة والانتماء واحترام حقوق الغير وحرية التعبير والتي يجب على وسائل الإعلام أن تقف على الحياد حيال الإحداث المتتالية لتنمية المشاركة السياسية والاجتماعية بشكل موضوعي ومنطقي بعيدا عن الفئوية والحزبية والمناطقية والمذهبية .

6. تشجيع الباحثين في العلوم السياسية والإعلام على إجراء أبحاث مكثفة تتناول طبيعة الحياة السياسية في الاقليم وايجابية المشاركة السياسية.
7. ضرورة زيادة حجم البرامج السياسية والاجتماعية والوطنية والمدنية التي تقدمها وسائل الإعلام المختلفة والتي تحتوى على الأخبار والبرامج الحوارية السياسية والمناقشات والندوات المختلفة والتي تعمل على تعزيز الانتماء الوطني والسياسي للطلاب الجامعيين وهذا يؤدى بدوره إلى تنمية الوعي السياسي .
8. العمل على استقطاب كفاءات إعلامية ذات خبرة في مجال الإعلام السياسي و إنشاء مراكز تختص بعمل الإعلام السياسي.
9. الحرص على عدم استخدام وسائل الإعلام كوسائل للدعاية سواء للأحزاب السياسية والسلطة السياسية.

الفصل الرابع
ويكيليكس ... بين الوقائع الدبلوماسية والتضليل الإعلامي

مقدمة

دخلت كلمة WikiLeaks قاموس اللغة الإنكليزية في 26 كانون الأول 2010 وتمّ الاعتراف بها ضمن قائمة الأسماء الصحيحة التي شاع استخدامها بدرجة كبيرة، مما أهّلها لتكون واحدة من المصطلحات الإعلامية رسمياً وانضمت إلى عدد من وسائل الإعلام الجديدة وشركات التكنولوجيا الكبرى التي دخلت أسماؤها وأعمالها اللغة منها: "جوجل" و"تويتر" والموقع الاجتماعي فيس بوك."خاصة أنها حققت معايير الانتشار والعمق المطلوبة لتصبح كلمة في حد ذاتها.

أظهر بحث المركز العالمي لمراقبة اللغة، أن كلمة ويكيليكس ظهرت لأول مرة في وسائل الإعلام العالمية عام 2006، واستخدمت الكلمة حتى الآن أكثر من 300 مليون مرة، والمعيار الذي يضعه المركز يقضي باستخدام الكلمة على الأقل 25 ألف مرة في وسائل الإعلام التي تستخدم الإنكليزية. WikiLeak وهي كلمة مركبة من كلمة "ويكي" Wiki و تعني الباص المتنقل مثل المكوك من وإلى مكان معين، وكلمة Leaks"ليكس" وتعني بالإنكليزية "التسريبات". وويكيليكس نافذة إلكترونية لنشر وثائق سرية عن فساد الحكومات والشركات المتعددة الأطراف والأنظمة التي تمارسها على حساب الشعوب من أجل إطلاع الرأي العام.

التأسيس:
انطلق الموقع بداية من خلال حوار بين مجموعة من الناشطين على الإنترنت من أنحاء متفرقة من العالم مدفوعين بحرصهم على احترام وحماية حقوق الإنسان ومعاناته، بدءاً من قلة توفر الغذاء والرعاية الصحية والتعليم والقضايا الأساسية الأخرى.
ومن هذا المنطلق، رأى القائمون على الموقع أن أفضل طريقة لوقف هذه الانتهاكات هي كشفها وتسليط الضوء عليها على المستوى الشعبي، فقد قامت فكرة موقع ويكيليكس على مبدأ تحدي محاولات السلطات لكتمان المعلومات، وهي بهذا المفهوم تصبح جهازاً إعلامياً متخصصاً في التسريب. ويعمل الموقع على إتاحة المجال لمالكي المعلومات، وهم في الغالب موظفون حكوميون لهم أجندتهم السياسية أو الأخلاقية، لإيصال المعلومات للموقع دون كشف هويتهم. ويتولى

الموقع بعد ذلك التحقق من المعلومات، ويقوم بنشر فحواها وإتاحة الوثائق نفسها على الموقع. وعملياً يؤرخ لتأسيس الموقع في أيلول 2006 حيث بدأ منذ ذلك الحين بالعمل على نشر المعلومات، وخوض الصراعات والمعارك القضائية والسياسية من أجل حماية المبادئ التي قام عليها، وأولها "مصداقية وشفافية المعلومات والوثائق التاريخية وحق الناس في خلق تاريخ جديد. وقد بنى قاعدة بيانات تتضمن أكثر من 1.2 مليون وثيقة، ينشرها بشتى اللغات ومنها اللغة العربية لأنها غالباً ما تكون غير قانونية أو غير أخلاقية. وقد دفعت مثل هذه الأوضاع مجموعة من المتطوعين إلى البحث عن وسيلة للكشف عن هذه الممارسات وإطلاع الرأي العام عليها.

يعتبر جوليان أسينج أحد أهم مؤسسيها، وهو يرى أن الحديث عن الفساد الذي تمارسه الأنظمة بكافة أجهزتها السلطوية لابدّ من كشفه، ويرى أن الصحافة والنشر الإلكتروني، اللذين غيّرا من الطرق التقليدية للصحافة مثل الفيزياء والرياضيات يجب أن يقوما على أسس ومعايير علمية، وأن يقترنا بالوثائق والبراهين، وربما جاء ذلك من خلال دراسته للرياضيات والفيزياء قبل ممارسته العمل الصحفي.

فازت ويكيليكس بعدد من الجوائز أهمها جائزة وسائل الإعلام الجديدة في 2008، وفي حزيران 2009 فازت المؤسسة وجوليان أسينج بجائزة منظمة العفو الدولية للإعلام (فئة الإعلام الجديد) في المملكة المتحدة لنشره وثائق سرية كينية حول عمليات اغتيال تمت خارج نطاق القضاء أُطلق عليها " صرخة الدم " the Cry Of Blood في تقرير صادر عن المفوضية الدولية لحقوق الإنسان الكينية، وذلك بالكشف عن عمليات قتل قامت بها الشرطة الكينية. وفي أيار 2010 صنّفت نيويورك ديلي نيوز "ويكيليكس " في قائمة المواقع الإلكترونية التي يمكنها تغيير الأخبار .

وفي نيسان 2010 أرسلت "ويكيليكس" شريط فيديو يُصور حادثة قتل عراقيين مدنيين في شوارع العراق على أيدي القوات الأمريكية غير عابئين بهم على موقع الإنترنت يسمى (القتل المضمون) Collateral Murder ، وفي تموز 2010 نشرت ويكيليكس وثائق سرية تحت عنوان " يوميات الحرب السرية على أفغانستان" "Afghan War Diary"، وقد استطاعت تجميع ما يقرب من 76.900 وثيقة عن الحرب في أفغانستان غير متوفرة للرأي العام العالمي.

أسينج مدير مؤسسة ويكيليكس مطارد من قبل الأمريكان، وقد وصف بأنه يشكل خطراً على الأمن القومي الأمريكي، لما يمكن أن يسربه من أخبار عن طريق علاقاته بأمريكان وأفغان والتي يمكن أن تكشف خططاً أمريكية مستقبلية.

وقد وصفت الوثائق التي يسربها الموقع عن الحرب في العراق أو أفغانستان بأنها من أكثر وأدق التفاصيل التي تكشف عن حرب أو نزاع مسلح عبر التاريخ.

موقع ويكيليكس نقطة تحوّل:

في كل عصر جديد هناك نقاط تحول أساسية، وتسريبات ويكيليكس 2010 تعتبر نقطة التحوّل الكبرى، التي كسرت هيمنة شبكات الأخبار العالمية وقلبت موازين القوى السياسية لصالح الأغلبية و ضدّ الشبكات الإخبارية العالمية التي كانت تسيطر على تدفق المعلومات وتوجهها حسب مصالحها الشخصية لآلاف السنين. وإذا اعتبرنا أن السيطرة على المعلومات والمعرفة هي القوة التي يمكن التلاعب بها من قبل الفئات المسيطرة، ولأكثر من عقد من الزمان، وجدنا أن وعود شبكة "الأنترنت" لابدّ أن تلعب دورها في تقويض وإضعاف الاستمرار الإيديولوجي للطبقات الحاكمة على المجتمع، مما سيؤدي بالضرورة إلى تحطم علاقات القوى السائدة، التي ظلت حكراً على الطوباويين التكنوقراطيين.

إن النمو المتسارع لأجهزة الاتصالات مهّد الطريق لإعادة تنشيط المنظمات الحرة القديمة وخلق أشكالٍ جديدة من الاتحاد بين الناس. ومع تسريبات الويكيليكس يشهد العالم ولادة مجتمع جديد من أولئك الذين يرغبون في الدفاع عن مستويات معيشتهم مما سيساهم بتغيير مسار السياسة، وخلق ثقافة مجتمعية جديدة لخدمة مصالح واحتياجات الغالبية. على مدى العقد الماضي تمّ تنظيم الكثير من الاحتجاجات والمظاهرات العالمية باستخدام الأنترنت، وقد بلغ هذا التصعيد الجديد في الأشهر الأخيرة من سنة 2010 حده الأقصى منهياً بذلك عصر هيمنة السرية في مجال الدبلوماسية والسياسة والشؤون العسكرية والشركات، مشكلاً يقظة عالمية للطبقات العاملة في أوروبا وأمريكا أمام الأزمات الاقتصادية التي وضعت الأنظمة السياسية شعوبها فيها من خلال سيطرة السياسة على الاقتصاد، ويمكن اعتبار التسريبات الأخيرة بداية أيقظت حس المعرفة والاطلاع على كل ما يدور في الشركات العابرة للقارات، والقواعد العسكرية المنتشرة في بقاع شتى من العالم، وفي سلاسل البنوك العالمية المتوزعة في القارات الخمس، وفي هياكل البنوك الأممية، والبرلمانات والقصور الرئاسية على وجه الأرض، ويمكن اعتبارها أيضاً تغييراً في الطريقة التي سترى بها الشعوب العالم وربما تساعدهم في بناء وحدة جديدة، لأن تلك الوثائق كشفت عن سجلات الولايات المتحدة من المحادثات والأحداث، التي تكشف أحلك الفترات من العمل الدبلوماسي الأمريكي، الذي اتسم بقواعد التعامل المزدوج، والذي غلبت عليه مظاهر التحايل والخداع والخيانة، متخذاً من الإجرام والإرهاب والفساد المستشري أحد أهم أدواته. وهذا

يؤكد أن تلك التسريبات دمرت منهج النزاهة والاحترام والمصداقية الذي قام عليه العمل الدبلوماسي بين الدول، والتي وضعت من قبل النخب الحاكمة لعدة قرون.

تسريبات 2010 كانت اختراقاً للسائد والمألوف عبر تبنّيها لفكرة تسريب المعلومات وإذاعتها على الملأ، مما أكسبها بالتالي صفة البطولة التي تلبّستها، وبدت للكثير من الشعوب في أنحاء كثيرة من العالم بمثابة منبر لكل شخص يريد أن يجعل المعلومات السرية متاحة للجميع. وقد حدت تلك التسريبات الشعور الإنساني العالمي لدى كثير من المواطنين في الدول الديمقراطية بأن الحكومات تسيئ استخدام قوانين السرية لإخفاء معلومات لا مبرر لإخفائها، إما لأن الدولة ككل تتآمر على المواطنين، أو لأن بعض المسؤولين يريدون التستر على أخطائهم أو فضائحهم وجرائمهم. ذلك أن الدولة الديمقراطية مطالبة بقدر معقول من الشفافية في قراراتها، وإلا انتفت عنها صفة الديمقراطية وجوهرها القائم على مسؤولية الحكومة أمام الشعب. ولا يعني هذا أن على الحكومة أن تذيع كل أسرارها، ولكن هناك آليات للتعامل حتى مع أدق المعلومات السرية عبر أدوات المساءلة البرلمانية. وفي هذه الحالة يمارس نواب البرلمان ولجانهم المختصة الرقابة على الحكومة نيابة عن الشعب، ويحقّ لهم في بعض الأحيان الاطلاع على الوثائق السرية ومساءلة الوزراء وكبار الموظفين حول ما يريدون التحقق منه.

فوق ذلك يعتبر الإعلام الحرّ أحد أهم أدوات الرقابة والمساءلة في الدولة الديمقراطية، حيث يستخدم المسؤولون الإعلام لشرح سياساتهم وتبريرها، كما يسعى الصحافيون للاستقصاء عن بعض ما يجهد السياسيون لإخفائه، ويفرضون على النخبة السياسية درجة من الشفافية أكبر بكثير مما كانت هذه النخبة تفضله. وعليه فهناك شد وجذب مستمرين بين الحكومة من جهة والصحافة من جهة أخرى، حول حدود وطبيعة ما يجوز وما لا يجوز نشره. الأولون يستخدمون منطق الأمن القومي ومصالح الدولة العليا لحفظ الأسرار، والآخرون يؤكدون على حق الشعب في الاطلاع على أكبر قدر من تصرفات وممارسات الحاكمين باسمه.

وهنا لعبت التسريبات دوراً محورياً في هذا الصراع، فالتسريب يأتي في الأصل من داخل المؤسسة المعنية، حكومية كانت أم غير حكومية، ويستند على مبررات أخلاقية ومبدئية. فالموظف أو المسؤول الذي يتولى تسريب المعلومات ينطلق في الغالب من اكتشافه لممارسة إجرامية أو لا أخلاقية داخل المؤسسة التي يعمل بها، ومن إيمانه بأن المسؤولين تعمّدوا إخفاء هذه المعلومات عن الشعب لغرض غير نبيل، واستغلوا غطاء السرية القانونية لأهداف تخالف القانون روحاً أو نصاً. من هذا القبيل نجد التسريبات المتعلقة بقضية ووترغيت في عهد نيكسون

نتيجة لشعور بعض المسؤولين بأن الرئيس نيكسون كان ضليعاً في التستر على محاولة السطو على مقر مؤتمر الحزب الديمقراطي.

هناك دوافع إشكالية تتعلق بمثل هذه التسريبات، كما حدث فيما يتعلق بدراسة أعدها البنتاغون عن حرب فيتنام، وكشفت أن الحكومة الأمريكية كانت تكذب على الشعب والكونغرس حول حقيقة التدخل الأمريكي هناك. والشيء نفسه يمكن أن يقال عن تسريب موظف بريطاني في عام 1984 لمعلومات تكشف أن الطيران البريطاني كان قد قصف سفينة أرجنتينية أثناء حرب الفولكلاند عام 1982 وهي خارج نطاق الحظر الذي فرضه سلاح الطيران الملكي حول الجزيرة، وعن قيام موظفة أخرى بكشف معلومات عن وصول نشرة نووية أمريكية سراً في بريطانيا في عام 1983. فنحن هنا أمام كشف أسرار عسكرية مما يوقع الفاعل تحت طائلة قوانين التجسس. ولكن هذا الأمر تمّ في إطار وجود رأي عام عريض معارض للحرب في فيتنام، أو لنشر الأسلحة الذرية في أوروبا في قمة الحرب الباردة، أو حرب الفولكلاند.

فعمليات التسريب الآنفة الذكر تستند إلى ضرورة الموازنة بين احترام القانون وحق المواطن في معرفة الحقيقة، وهي المبادئ نفسها التي ينادي بها الإعلاميون عموماً. وفي هذا المجال فإن الموظفين الذين يقومون بتسريب المعلومات يعلنون أنهم على استعداد لتحمل مسؤولية ما يقومون به، بما في ذلك الاعتقال والمحاكمة ودخول السجن والفصل من العمل. ولكنهم بالطبع يجتهدون أول الأمر في إخفاء هويتهم وتجنّب المساءلة. وبالمقابل فإن وسائل الإعلام التي تقوم بنشر المعلومات المسربة لا تتعرض للمساءلة إن ثبتت صحة المعلومات التي تنشر، إلا إذا أثبتت الحكومة أن تلك المعلومات تضر بالأمن القومي. وغالباً ما تتجنّب السلطات ملاحقة الإعلام والمسربين معاً إذا كانت المواد محرجة للغاية، كما حدث عندما سرّب بعض موظفي البرلمان البريطاني تفاصيل مصروفات النواب. فقد تعرّض البرلمانيون لهجمة إعلامية كانت من الشراسة بحيث أن محاولاتهم لفتح تحقيق في هوية من كشف المعلومات ومساعيهم لمنع نشرها بدت مخجلة إلى حدٍّ كبير، وعوملت من قبل الرأي العام على أنها من باب التمادي في الإثم، فتخلوا عنها بسرعة. ومن جانبهم فإن الإعلاميين يجتهدون في إخفاء وحماية مصادرهم، ويعتبرون هذا من حقوقهم غير القابلة للمساومة.

ولكي تكون لهذه التسريبات قيمة فلا بدّ أن تكون انتقائية، إذ لا فائدة تُرجى من تسريب كل شيء. فالحكومات، مثل الأسرة، لا يمكن أن تعيش في بيت من زجاج، لأن هناك وظائف لا بدّ أن تتم في الخفاء. ويستند التفسير الرسمي لضرورة حفظ الأسرار الرسمية بموجبات الأمن الوطني وضمان خصوصية المعاملات،

لأن البديل هو انهيار الدولة وفشلها في أداء مهامها وانكشافها أمام الأعداء والمتربصين. وأما في حالة تسريبات ويكيليكس المتعلقة بالحرب على العراق وأفغانستان فيمكن تصنيفها ضمن مقولة (التفسير التآمري) الذي يرى في الدولة الرأسمالية حلقة تآمرية تقضي ليلها ونهارها في خداع الشعب والعالم وتسويق الأوهام للعوام. ويعتبر أبرز المروجين لهذه الرؤية البروفيسور نعوم تشومسكي في كتابه المشهور "صناعة الإجماع" (1988) الذي اتهم فيه الإعلام بالتواطؤ مع النخب السياسية والاقتصادية في تضليل الرأي العام بصورة منهجية وإخفاء الحقائق عنه من أجل الدفاع عن مصالح النخبة الرأسمالية. وكثير من الكتّاب اعتمدوا في كتاباتهم على وثائق سرية كما حدث مع نعوم تشومسكي في مقالة بالاعتماد على "وثيقة سريّة للغاية " يعود تاريخها إلى سنة 1979، وتمّ العثور عليها سنة 1986 عن طريق الصدفة, و تحمل عنوانا مثيراً "الأسلحة الصّامتة لخوض حرب هادئة", وهي عبارة عن كتيّب أو دليل للتحكّم في البشر وتدجين المجتمعات والسيطرة على المقدّرات, ويرجّح المختصّون على أنّها تعود إلى بعض دوائر النفوذ العالمي التي تجمع عادة كبار الساسة والرأسماليين والخبراء في مختلف المجالات.

كان للمقال وقتها أثر كبير لما فيه من فضح لخطط مفزعة يمكن تلمّس تطبيقاتها العينيّة بوضوح في السياسة الدولية, وحتّى المحليّة, وفي الخيارات الاقتصادية والتعليميّة أيضاً وبأن تلك الدول تحاول توجيه سلوك الناس والسيطرة على أفعالهم وتفكيرهم في مختلف بلدان العالم، عبر تحويل انتباه الرأي العام عن القضايا الهامة، والتغيرات التي تقررها النخب السياسية والاقتصادية، مع إغراق النّاس بوابل متواصل من وسائل الترفيه, مقابل شحّ المعلومات وندرتها. وهي استراتيجية ضرورية أيضاً لمنع العامة من الوصول إلى المعرفة الأساسية في مجالات العلوم والاقتصاد وعلم النفس وعلم الأعصاب، وعلم التحكم الآلي. حيث يحاول المتحكمون بالسياسة العالمية حسب الوثيقة "حافظوا على اهتمام الرأي العام بعيداً عن المشكلات الاجتماعية الحقيقية، اجعلوه مفتوناً بمسائل لا أهمية حقيقية لها. أبقوا الجمهور مشغولاً، مشغولاً، مشغولاً، لا وقت لديه للتفكير، وعليه العودة إلى المزرعة مع غيره من الحيوانات" .

ولا شك أن الدولة الحديثة ذات طبيعة تآمرية في جوهرها، خاصة فيما يتعلق بتعاملها مع الخارج. فالمجتمع الدولي ما يزال يسود فيه قانون الغاب رغم وجود المنظمات الأممية والمواثيق الدولية. وفي هذه الأدغال يسود منطق القوة، والمعلومات هي أكبر مصدر للقوة. ولهذا يُعتبر التجسس أحد أهم وسائل الدولة الحديثة، وبالقدر نفسه فإن الدولة القومية تتعامل بقسوة مع جواسيس الأعداء ومع المتهمين بالخيانة والتواطؤ مع العدو. ولكن الإشكال ينبع من أن الدولة الديمقراطية

الحديثة مطالبة بالشفافية واحترام القانون في التعامل مع مواطنيها، وهناك إغراء للتلاعب بهذا الدور المزدوج لإخفاء معلومات قد تكون محرجة للحكومة والمسؤولين بدعوى حماية الأمن القومي، وهو تكتيك يلجأ إليه السياسيون والمسؤولون بكثرة، مما يستوجب يقظة الإعلام ووسائل الرقابة الأخرى لكشف مثل هذه الخدع.

يقدم نعوم تشومسكي في كتابه الجديد "السيطرة على الإعلام"، رؤية نقدية للدور السياسي للإعلام الأمريكي في التحكم في الرأي العام، ومسؤولية شركات العلاقات العامة التي تتعاقد معها الإدارات الأمريكية في بناء تصورات متحيزة حول كثير من القضايا والشؤون العامة التي تهمّ الإنسان الأمريكي في مجال سياسات الحكومة الداخلية والخارجية.

وإذا كان عدد من الكتاب والباحثين قد تناول قبل تشومسكي الدور الخطير للإعلام الأمريكي في تعليب الرأي العام وفق معطيات معينة تساهم في توجيهه بما يخدم الإدارات الأمريكية ويساعدها على تنفيذ سياساتها، فإن الجديد في كتاب تشومسكي الذي يثري به القارئ هو تحليل الفلسفة السياسية التي يستند عليها عدد من المثقفين والسياسيين الأمريكيين في تبرير دور الإعلام والدعاية في تحديد دور الجماهير في السياق الذي يتوافق مع توجهات الإدارات الأمريكية. كما أن تشومكي – في هذا الكتاب – يعود بنا في التاريخ ليبين لنا أن دور الإعلام الأمريكي في اختلاق الحقائق وتزييف التاريخ والتحيز السياسي الفاضح ليس وليد سياسة المحافظين الجدد وإن كانوا قد أبدعوا في هذا المجال – وإنما يعود إلى عقود طويلة سابقة. وفيما يتعلق بتسريبات ويكيليكس الأخيرة، فإن هناك عوامل عدة أعطتها وضعاً خاصاً بين التسريبات الإعلامية. فهي من جهة تسريبات بالجملة، يصعب تبريرها بحجة واحدة تغلب الدافع الأخلاقي، وهذا بدوره يعكس تطور أوضاع تداول المعلومات وتخزينها. ففي الماضي كان الحصول على وثيقة واحدة يفرض على طلابها أمثال جيمس بوند اجتراح المعجزات للدخول إلى عرين الأسد من رئاسة أجهزة مخابرات العدو أو مقر الخارجية. أما الآن فإن نقرة على فأرة الكمبيوتر يمكن أن تؤمن لك كل وثائق وكالة المخابرات الأمريكية وأنت جالس في عقر دارك، إن كانت لديك المفاتيح. وهناك أخيراً مسألة أن المنظمة التي تولّت التسريبات هي منظمة أجنبية، مما قد يوقعها تحت طائلة تهمة التجسس، بخلاف ما لو كانت المنظمة وطنية، عندها قد تتعرض لاتهامات أخرى.

الدولة الحديثة هي بلا شك في أحد جوانبها، حلقة تآمرية، ولكن هناك تباين حول الجهات التي تتآمر ضدها الدولة. فالدولة الديمقراطية تتآمر أكثر ضدّ الخارج وتكون أقل تآمراً على شعبها، بينما الحال هو العكس في الدول الدكتاتورية التي

تتآمر أكثر على شعبها، غالباً بتواطؤ من الخارج. وهناك أوجه تشابه مهمة بين الدولة وعصابات المافيا، بحسب رأي عالم السياسة الأمريكي الشهير تشارلز تيلي. فكلاهما يتاجر بالحماية، ويزجي بضاعة لن تكون الحاجة ماسة إليها لولا ما يتسبّب هو فيه من مشكلات. وحين يعلن أحدهم الحرب على عصابة مافيا، فإنه لا بدّ أن يكون غاية في الحذر. يرى الكتّاب والمحللون أن تسريب وثائق "ويكيليكس" هو "انهيار للنظام المعلوماتي لدولة كبيرة هي الولايات المتحدة"، لم نشهد مثله، وأن الوثائق كشفت عن حجم الكذب والنفاق، لكن الحكومات التي أقلقتها التسريبات ستباشر من الآن عملها لتضمن ألا يتسرب المزيد من الوثائق والأسرار المحرجة، وبالتأكيد سيؤدي هذا العمل إلى الشك في الدبلوماسية وهو أمر خطير، لأن نشر الشك في وظيفة الدبلوماسية كآلية للتواصل السياسي في العالم أمر شديد الخطورة والحساسية، وهو ما قال عنه وزير الخارجية السويدي كارل بيلدت في تعليقه على نشر الموقع للوثائق الأمريكية: "إنه يضعف الدبلوماسية".

ويكليكس أداة لكشف الحقيقة:

أكد مؤسس موقع ويكليكس في جلسة برلمانية علنية في مبنى البرلمان الأوروبي في بروكسل في 21 حزيران 2010 بأن الهدف الحقيقي وراء نشر مؤسسته للوثائق السرية بالدرجة الأولى هو هدف إنساني يبين أن الشعوب الأوروبية كشعب غربي لهم مواقف ضدّ الحرب الأمريكية على أية بقعة من العالم، وهذا ما عكسه موقعهم من خلال عملهم في الإعلام والاستفادة القصوى من التكنولوجيا المتاحة حالياً، هذه التكنولوجيا التي يمكنها الآن فضح الممارسات العدوانية للأنظمة ضدّ الشعوب الآمنة تحت ذرائع يتم خلقها وتوريدها إلى العالم بطرق مختلفة، وأكد على أنهم في موقع ويكيليكس يحاولون تسليط الضوء على خفايا الحروب ويريدون التركيز على الحقيقة التي تضيع في أروقة السفارات والوعود الدبلوماسية، وأشار إلى حقيقة أن الدبلوماسية الغربية تتلبّس الآن أقنعة لدرجة أن الإعلام الغربي بدأ يفقد مصداقيته التي حاولت الشعوب الأوروبية عبر نضالها الطويل إنجازها، فالقائمون على الإعلام الحر في أوروبا بدؤوا يتخوفون الآن من تقييده بسن قوانين شتى، لأنهم بدؤوا يشعرون أكثر من أي وقت مضى أن الآلة السياسية طغت على حرية الإعلام عبر توجهه ليكون طواعية لأهدافها سواء على الصعيد الداخلي أو الخارجي، فالإعلام الأوروبي موجه للخارج أو بعبارة أدق موجه للعرب (الأوروبيين) وإعلام خارجي موجه للعرب في البلاد العربية، هذا بالضرورة أثرّ على طريقة تداول الحقائق وتشويه الحقيقية وما فعلناه في ويكيليكس هو وضع الحقيقة بيد الرأي العام العالمي . وأضاف أنه بنشرنا لآلاف الوثائق السرية حول سنوات الحرب الدائرة في أفغانستان، سنسلط المزيد من

الأضواء على العنف المفرط والمعاناة اليومية التي خلفتها الحرب التي تخوضها الولايات المتحدة وحلفاؤها الغربيون عند جبال الهندوكوش. وأضاف أسينج أنه يمكن لتلك الوثائق المنشورة أن تحدث تغيراًجذرياً في مواقف الرأي العام في المجتمعات الغربية وأصحاب التأثير السياسي والدبلوماسي فيها من الحرب الأمريكية في أفغانستان. واعتبر أن حجم المعلومات الضخم الذي كشفت عنه الوثائق سيجعل كل ما قيل ونشر حول حرب حلف شمال الأطلسي (الناتو) في أفغانستان بلا قيمة، ويهيل عليه ركام النسيان.

كيف تتمكن المؤسسة من الحصول على الوثائق السرية؟ :

أكد مؤسس الموقع أن شبكتهم تضم 800 متطوع يعملون بدوام جزئي ومئات الآلاف من المؤيدين، ويعتمدون - كما تسرب بعض الصحف منها النيويورك تايمز- على أجهزة خوادم في العديد من الدول التي توفر قوانينها المزيد من الحماية للتسريبات . وقال: إنه لا يمكنه التصريح للإعلاميين بأية معلومة سوى المعلن عنها أو الذي يتمّ تسريبه للإعلام. ويكفي أن أقول لكم إن ويكيليكس موقعها هو "كل مكان." ويقال في الإعلام إننا نستخدم اتصالات مشفرة، وهناك اشتباه في وجود مراقبة، نحن وفريق العمل الدولي الذي نعمل معه نحاول أن ننسف كل الأفكار التقليدية لنقل الخبر الصحفي، فنحن نستخدم شبكة من الأشخاص العاديين للحصول على الأخبار، وهو ما يطلق عليه خبراء الصحافة اسم "صحافة المواطنة"، ونعني استخدام العديد من الأشخاص لمعرفة الأمور بدلاً من الاعتماد على الصحفي الاستقصائي وحده.

علاقة ويكيليكس بالمؤسسات الإعلامية:

كثير من المختصين يحاولون البحث عن أسس العلاقة التي ربطت بين ويكيليكس والمؤسسات الإعلامية مثل صحف نيويورك تايمز الأمريكية و الغارديان البريطانية ومجلة دير شبيغل التي تنشر معلومات عن الوثائق السرية بالاعتماد على موقع ويكيليكس ، ردّ ذلك بعضهم إلى أنه يمكن أن يكون تعاون إعلامي بين ويكيليكس والمؤسسات الإعلامية الكبرى، والبعض الآخر يرى فيها سياسة إعلامية ذكية اتبعها مؤسسو الموقع لزيادة الإثارة والدعاية للمؤسسة.

ومن جهته أكّد مؤسس الموقع أن حصول المؤسسات الإعلامية العالمية الثلاث على الوثائق يعد أول محاولة من الموقع للتعاون مع وسائل إعلامية كبرى، رغبة منهم في دراسة تأثير هذا التعاون ومحاولة تكراره مستقبلا مع مؤسسات إعلامية دولية أخرى على نطاق واسع. ولكن اشترط القائمون على الموقع ضرورة مراعاة الصحيفتين والمجلة عدم تعريض حياة الجنود الغربيين في أفغانستان للخطر بنشرهم للوثائق، لذلك اقتصرت الغارديان على نشر جزء من الوثائق وليس كل ما حصلت عليه من وثائق، عكس حرصها على عدم تهديد العمليات العسكرية الدائرة عند جبال الهندوكوش.

تهديد لحياة المدنيين:

ذكر دانيال يتس Danial Yates الضابط السابق بوكالة المخابرات البريطانية لصحيفة الغارديان بأن تسريبات الويكيليكس لوثائق عن يوميات الحرب الأفغانية قد يعرض حياة مدنيين أفغان لخطر انتقام طالبان، وهنا يطرح التساؤل نفسه هل ستكون الحقيقة مكلفة ؟ وهل سيأتي نشر الحقيقة على حساب أشخاص مدنيين ؟ قدّم جوليان أسينج شرحاً مفصلاً بأنهم قبل أن يقدموا على نشر أية وثيقة يحاولون جاهدين عدم نشر أسماء أبرياء ويحاولون إخفاء النسخ الأصلية ضمانة لعدم وقوع تلك الوثائق في أيدي أناس لا تقدر المسؤولية، بالتأكيد وثائق الحرب السرية على أفغانستان تحتوي على أسماء أشخاص يتعاونون مع قوات حلف الناتو، ويمكن أن يشكّل هذا تهديداً لهم من قبل طالبان، ولكن لابدّ من نشر الحقيقة حتى تتضح معالم الصورة رغم محاولاتنا التدقيق في أسماء الأشخاص ووظائفهم، ولكن تسعى المؤسسة للكشف عن الوجه الآخر للحرب على الإنسان، وقد تكون الحقيقة مكلفة. ومن مبدأ أخلاقي وقبل نشرنا الوثائق في تموز 2010 حاولنا الاتصال بالبيت الأبيض طالبين منهم أن يحددوا أسماء قد يطالها خطر انتقام طالبان، ولكننا لم نتلق أي رد على ذلك، ونحن ما زال لدينا 15000 وثيقة سرية، يتم التدقيق فيها سطراً سطراً، وسيتم حذف أناس أبرياء قد يتعرضون لخطر انتقام طالبان لاتصالهم مع قوات حلف الناتو.

المخابرات الأمريكية تطارد مؤسس الموقع:

تبرر المخابرات الأمريكية مطاردتها لمؤسسي الموقع بحجة خطورتهم على الأمن القومي الأمريكي، وتعتبر جوليان أسينج Julian Assange مهدداً حقيقياً للأمن القومي الأمريكي ليس بتهمة إرهابية، وإنما بتهمة كشفه للحقائق عن طريق ممارسة العمل الصحفي بشكل مختلف تماماً عن السائد والمألوف، فقد استطاع الحصول بطريقته الخاصة على مجموعة ضخمة من الوثائق التي تثبت تورط الأمريكان في كثير من الجرائم الإنسانية وجرائم الحرب، وقام بنشرها ليفضح كل الطروحات الأمريكية التي تختفي في كل مرة خلف قناع معين .

ولكن أكد أسينج أن السبب الحقيقي وراء التخوّف الأمريكي منه ومن موقعه هو الخوف من الحقيقة التي تعكس صورتهم الحقيقية، لأن ما يجعل أمريكا اليوم متواجدة على الساحة العالمية هي حالة الشيزوفرينا، التي يعاني منها أفراد إداراتها، فهم يظهرون صورتهم عكس الحقيقة ويكرهون مواجهة تلك الحقيقة الصعبة، وهم يطاردونني لأنهم يعرفون أنني أحب البحث عن الحقيقة ، لأنشرها. ردود الفعل الأوروبية:

تراوحت ردود الفعل في الأوساط الدبلوماسية في العالم بين الصدمة والإحراج، إثر قيام موقع "ويكيليكس" بنشر مضمون نحو ربع مليون برقية دبلوماسية أمريكية، كشفت بشكل خاص الخوف الكامن لدى الكثير من الدول إزاء البرنامج النووي الإيراني.

وفي سياق ردود الفعل الأوروبية أعرب وزير الخارجية الإيطالي فرانكو فراتيني عن خشيته أن تكون هذه التسريبات مثل هجمات 11 أيلول بالنسبة للدبلوماسية، وأن تنسف الثقة بين الدول. وفي مقابلة معه ضمن برنامج تلفزيوني قال: " إن تسريبات ويكيليكس تؤثر في صميم العمل الدبلوماسي العالمي لأنها تقوّض الثقة المتبادلة التي هي أساس العلاقات الدولية."

كما نشرت صحيفة "الغارديان" البريطانية آراء مختلفة حول التسريبات بذكرها : "تسرُّب البرقيات الأمريكية يشعل أزمة دبلوماسية عالمية". وكانت الغارديان حصلت على هذه الوثائق من موقع ويكيليكس مثلها مثل أربع من كبار الصحف العالمية الأخرى هي نيويورك تايمز الأمريكية، واللموند الفرنسية، والباييس الإسبانية وديرشيبغل الألمانية.

وبخلاف التسريبات الأولى لويكيليكس حول أفغانستان في تموز 2010 التي لم تتضمن سوى القليل من الأسرار، وحول العراق في تشرين الأول التي ركزت على التجاوزات التي تقوم بها الفصائل المتنازعة في العراق، فإن الوثائق الأخيرة

ألقت الضوء بفجاجة على خلفيات الدبلوماسية الأمريكية ووضعت الولايات المتحدة في موقف حرج.

هذا وأدانت بريطانيا من جهتها النشر بقولها: "أي نشر غير مسموح به لمعلومات سرية" معتبرة أن هذا الأمر يمكن " أن يعرّض الأمن القومي للخطر". وفي فرنسا، أعلن المتحدث باسم الحكومة الفرنسية فرانسوا باروان أنّ باريس "متضامنة تماماً مع الإدارة الأمريكية" ضدّ نشر هذه الوثائق، الذي قد يشكّل حسب قوله "تهديداً للسلطات الديمقراطية".

وفضّلت الأمم المتحدة عدم التعليق على الوثائق التي تشير إلى طلب الجانب الأمريكي جمع معلومات حول كبار موظفيها في العالم، إلا أنّها شددت على ضرورة "احترام الدول الأعضاء" لحصانة موظفيها.

كما ندّدت وزيرة الخارجية الأمريكية هيلاري كلينتون بنشر موقع ويكيليكس لمراسلات سرية بين واشنطن وحلفائها واعتبرته عملاً غير قانوني، وقالت كلينتون: إن التسريبات تشكّل هجوماً ليس فقط على مصالح السياسة الخارجية الأمريكية بل وعلى المجتمع الدولي.

وفي الكيان الإسرائيلي أعلن مسؤول إسرائيلي كبير أنّ "إسرائيل" تشعر بالارتياح بعدما كانت تخشى إحراجاً جدياً بفعل مضمون الوثائق الأمريكية التي نشرها موقع ويكيليكس. وقال مسؤول حكومي كبير رافضاً الكشف عن اسمه، تعليقاًعلى ما نشره الموقع حتى الآن "خرجنا بصورة جيدة".

تداعيات هذه التسريبات على مستقبل العمل الدبلوماسي وسريّة المراسلات الرسمية بين الدول:

أعلن موقع ويكيليكس أنه أراد بنشره لهذه الوثائق تسليط الضوء على "التعارض" بين الموقف الرسمي الأمريكي "وما يقال خلف الأبواب الموصدة"، وقد رسمت تسريبات ويكيليكس صورة لعلاقات وزعامات دول العالم بعيدة عن المجاملات الدبلوماسية المألوفة، دول عربية تحث واشنطن على ضرب إيران، و"إسرائيل" تريد ذلك في أقرب وقت. ديمقراطية روسية تحتضر في ظلّ رئيس دمية يتحكم بها فلاديمير بوتين، ونظرة متوجسة لنيكولا ساركوزي وأخرى تستخف بكفاءة أنجيلا ميركل، وصولاً إلى مواقف غير معروفة عن الصين، معطيات أثارت موجة ردود شكّلت في نظر كثيرين بوادر أزمة دبلوماسية عالمية من نوع جديد، هذه التسريبات ستؤدي بالضرورة إلى إجراءات رسمية وسرية ربما بدأت معظم الدول في البحث عن وسائل خاصة بها حفاظاً على أقصى سريّة ممكنة لوثائقها.

غايات وأهداف خفية من وراء ويكيليكس:

يقع نشر الوثائق الدبلوماسية الأمريكية ضمن عدة سيناريوهات، ويمكن أن يكون ويكيليكس فخاً اقتصادياً للعرب، فبعد كل الملابسات التي أحاطت بموقع ويكيليكس ومؤسسيه من المدافعين عن حقوق الإنسان يبدو أن الأمر برمته عبارة عن فيلم أمريكي طويل من نوع الأكشن، ولكنه بمثابة الفخ أو الطعم الذي يُرمى للمتلهفين إلى الفرقعة الإعلامية، والذين يضعون أنفسهم دون أن يدروا أحياناً كأدوات بيد الآلة الدعائية العالمية، التي تشرف مراكز الأبحاث الأمريكية على صناعتها وترويجها . وفي قضية ويكيليكس يبدو أن المنطقة العربية قد دهشت وصدقت الكشوفات التي قام بها هذا الشاب الذي سرّب مجموعة من الوثائق لم تستطع أن تدهش الجمهور المعادي لسياسة الولايات المتحدة الأمريكية، لأن هذا الجمهور يعي جيداً كل التجاوزات الأمريكية بحق البلدان والناس والقيم.

ويبدو أن اللعبة أبعد بكثير من مسألة كشف وثائق تدين أمريكا، فمن الواضح أن هناك اتفاقاً صريحاً أو غير صريح بين الموقع وصاحبه أسينج والولايات المتحدة يهدف إما إلى إعطائه مصداقية عالية ليسرّب بعدها معلومات ضدّ دول معادية لأمريكا، لأن الوثائق التي سربت ضدّ الولايات المتحدة لن يستطيع أحد أن يتخذها ذريعة لضرب الولايات المتحدة كما تفعل حينما تبحث عن ذرائع لضرب أعدائها، أو لهدف اقتصادي مبني على لعبة إعلانية وإعلامية مرتبطة بشركات البرمجة العالمية، حيث يمكن أن يتم تضخيم وتهويل حركة التجسس الإلكتروني، وقد يكون من وراء ذلك كله صفقة رابحة لأصحاب تلك الشركات، الذين يرتبط معظمهم بالسلطة السياسية، وذلك لإنتاج برامج جديدة لحماية منظومة البرامج الإلكترونية، وخاصة ذات لطابع السرّي، وبالتالي يتم تسريب تلك المعلومات على موقع ويكيليكس، وإظهار صاحب الموقع على أنه صاحب المصداقية وأنه شهيد المرحلة لتمرير أي هدف اقتصادي، أو حتى سياسي، ويتلقّف العالم العربي مثل تلك الألعاب، ويقع مباشرة في فخ تصديقها باعتبارنا مجتمعات وأشخاص نعيش حيوات سرّية متعددة.

الخلاصة :

تعتبر ظاهرة ويكيليكس نقطة تحوّل تاريخية في طرائق العمل والاتصال الدبلوماسي، ودرجة السرّية فيه، والقدر المسموح من الحقيقة بالظهور، خاصة في ظل ثورة الاتصال والفيسبوك وتدفق المعلومات على الشبكة العالمية، ولقد مارست صحف ومحطات تلفزيونية عالمية نشر وثائق على جانب كبير من الأهمية، كان آخر ذلك ما نشرته محطة الجزيرة الفضائية عن وثائق المفاوضات الإسرائيلية- الفلسطينية، وما نشرته محطة الجديد التلفزيونية اللبنانية عن وثائق التحقيق في

اغتيال الحريري .
ونحن إذ نقدم هذه الدراسة فإنه من السابق لأوانه تقييم ويكليكس في الدوافع والغايات، ومن يقف وراء هذه الظاهرة، ونحن لا نتبنّى إلا الحقائق، وندعو للتدقيق العلمي والحذر الدائم، ولكن الظاهرة في حدّ ذاتها أحدثت تأثيراً في المجال الدبلوماسي والإعلامي، وما زالت تفاعلاتها مستمرة حتى الآن، وكل ما نطلبه هو الشفافية في التعامل خاصة فضح الكيان الصهيوني وممارساته.

تسرب البرقيات الدبلوماسية للولايات المتحدة الأمريكية

شعار موقع ويكيليكس

تسرب البرقيات الدبلوماسية للولايات المتحدة الأمريكية هي حادثة تسرب معلومات سرية لمراسلات بين وزارة الخارجية الأمريكية وبعثاتها الدبلوماسية حول العالم بدءا من 28 نوفمبر 2010 على موقع ويكيليكس وخمس صحف عالمية رئيسية أخرى، ومن المخطط الانتهاء من نشر جميع الوثائق البالغ عددها 251287 على مدار عدة أشهر. يعد تسرب الوثائق هذا الثالث من سلسلة "التسريبات الضخمة" للوثائق السرية على موقع ويكيليكس لسنة 2010 بعد تسريب وثائق حرب أفغانستان في يوليو وحرب العراق في أكتوبر. وظهرت أول 291 وثيقة من إجمالي 251,287 وثيقة سرية بتاريخ 28 نوفمبر على صفحات كل
من البايس الأسبانية ولوموند الفرنسية شبيغل الألمانية الغارديان البريطانية ونيويورك تايمز الأمريكية [1][2]في وقت واحد. ومن اجمالي الوثائق يوجد حوالي 130,000 وثيقة غير سرية؛ و100,000 وثيقة مصنفة بخاص و15,000 مصنفة بسري وليس من بينها أي وثيقة بها ختم "سري للغاية" [1][3]. وتخطط ويكيليكس لنشر جميع البرقيات والوثائق على مراحل خلال الأشهر التالية[2].

تفاوتت ردود الفعل على تلك التسربات ما بين مرحب ورافض. وعبرت الحكومات الغربية عن رفضها القوي والإدانة وانتقدت لتهديدها العلاقات الدولية والأمن العالمي. وقد ولّد هذا التسريب اهتماما شديدا من الجمهور والصحفيين ومحللي وسائل الاعلام. وتلقت الويكيليكس دعما من بعض المعلقين الذين شككوا بأهمية السرية في حكومة ديمقراطية تخدم مصالح شعبها وتعتمد على ناخبيها المطلعين على كل شيء. ووصف بعض القادة السياسيين جوليان أسانج المحرر العام والمتحدث باسم ويكيليكس بأنه مجرم و"مقاتل عدو"، وطالب بعضهم باعتقاله وحتى موته "توم فلاناغان المستشار السابق للحكومة الكندية الذي دعا إلى مثل تلك الدعوة ولكنه تراجع بعد ذلك واعتذر" [4]. كما ألقي باللوم

على وزارة الدفاع الأمريكية بسبب وجود ثغرات أمنية أدت إلى هذا التسريب. وأعتبر المؤيدون لتلك التسريبات أسانج بطلا ومدافعا عن حرية التعبير وحرية الصحافة في عالم حيث وسائل الإعلام لم تعد بمقدورها العمل كرقيب على قطاعي العام والخاص. وقال السكرتير الصحفى للبيت الأبيض روبرت جيبس ان "الرئيس يعتقد بأهمية حكومة منفتحة وشفافة، ولكن سرقة المعلومات السرية ونشرها تعتبر جريمة".

حصول ويكيليكس على البرقيات

أفادت التقارير أن في يونيو 2010 شعرت وزارة الخارجية الأمريكية وموظفي السفارة بالقلق بأن يكون المتهم بالتحميل غير المصرح به لمعلومات سرية برادلي مانينغ قد سرب برقيات دبلوماسية عندما كان مرابطا في العراق. ورفضت ويكيليكس تقرير مجلة وايرد باعتباره غير دقيق: "نستطيع القول بعدم صحة مزاعم وايرد بأننا أرسلنا 260,000 برقية من مراسلات السفارة الأمريكية"[6][7]. وساد اعتقاد أن مانينغ قد رفع كل ما حصل عليه إلى ويكيليكس والتي اختارت بدورها نشر تلك المواد على مراحل بحيث يكون لها أكبر أثر ممكن.
الإعلان

اعلنت ويكيليكس في يوم 22 نوفمبر وعلى موقعها في تويتر بأن الظهور التالي للنشرة سيكون " 7 مرات حجم سجلات حرب العراق"فتكهنت السلطات الأمريكية وقتها مع وسائل الإعلام بإمكانية احتواءها على برقيات دبلوماسية. وقبل حدوث التسرب المتوقع أرسلت حكومة المملكة المتحدة إشعار استشارية الدفاع إلى الصحف البريطانية الذي طالب بإشعار مسبق من الصحف فيما يتعلق بالنشر المتوقع. ووفقا لمؤشر الرقابة "لايوجد فرض على وسائل الإعلام بالالتزام" . وبموجب شروط إشعار استشارية الدفاع "يخاطب رؤساء تحرير الصحف اللجنة الاستشارية للدفاع والإعلام والنشر قبل النشر.

ولمنع الحكومة البريطانية من الحصول على أي أمر قضائي ضد النشر، كشفت الجارديان بأنها المصدر لنسخة الوثائق المقدمة إلى نيويورك تايمز. وذكرت صحيفة الفجر الباكستانية بأن صحيفتي نيويورك تايمز والواشنطن بوستالامريكيتين توقعتا نشر أجزاء من البرقيات دبلوماسية في 28 نوفمبر بما فيها 94 وثيقة لها علاقة بباكستان.

وفي تاريخ 26 نوفمبر وجه أسانج رسالة إلى وزارة الخارجية الأميركية عن طريق محاميه جنيفر روبنسون يدعو فيها إلى "ترشيح خاص لحالات محددة (أرقام مسجلة أو أسماء) بحيث يعتبر نشر تلك المعلومات من شأنه أن يضر بأشخاص معينين ويضعهم في خطر كبير وهم بالفعل لم يكونوا المقصودين. لكن المستشار القانوني لوزارة الخارجية هارولد كوه رفض الاقتراح قائلا:" نحن لن نشارك في مفاوضات بالإفراج عن مزيد من أو نشر مواد سرية لحكومة الولايات المتحدة اكتسبت بطريقة غير مشروعة. رد أسانج بدوره بكتاب آخر إلى وزارة الخارجية "أنكم إخترتم الرد بطريقة تقودني إلى استنتاج أن المخاطر المفترضة هي خيالية بالكامل، وبدلا من ذلك صار همكم هو قمع أدلة على انتهاكات لحقوق الإنسان وسلوكيات إجرامية أخرى".

أمن البيانات

وفقا لصحيفة الغارديان توسم جميع البرقيات الدبلوماسية بعلامة " Sipdis" (secret internet protocol distribution) وهي شبكة البروتوكول السري للإنترنت" مما يدل على توزيعها عبر دائرة SIPRNet الأمريكية المغلقة وهي نسخة إنترنت مدنية خاصة بوزارة الدفاع . ومع أن بإمكان أكثر من ثلاثة ملايين جندي وموظف حكومي أمريكي الوصول إلى تلك الشبكة إلا أن الوثائق المصنفة ب"سري جدا" ليست مدرجة فيها. وكانت هناك كمية ضخمة من المعلومات السرية متاحة لجمهور واسع، إلا أنه -وكما زعمت الجارديان- بعد هجمات 11 سبتمبر زاد التركيز على تبادل المعلومات بسبب وجود ثغرات في المعلومات المتبادلة داخل الحكومة، وأصبح بالإمكان المجموعات الدبلوماسية والعسكرية وتطبيق القانون والاستخباراتية القدرة على القيام بعملهم على نحو أفضل مع سهولة الوصول إلى المعلومات التحليلية والتشغيلية[24]، وقال ناطق رسمي بأنه قد اتخذت في الأسابيع والأشهر السابقة تدابير إضافية لتحسين أمن النظام ومنع أي تسريب. أعلنت وزارة الخارجية الأميركية أنها فصلت قاعدة بياناتها الخاصة بالبرقيات عن شبكة حكومية أميركية سرية. ونقلت وكالة رويترز عن مسؤول أميركي رفيع طلب عدم الإفصاح عن اسمه أن تلك الشبكة هي شبكة البروتوكول السري للإنترنت "سايبرنت" التي يعتقد أنها مصدر البرقيات التي حصل عليها موقع ويكيليكس.

تحليل على المدى الطويل

لاحظ معلقون أن تسريبات ويكيليكس وإجراءات الحكومة الأمريكية المضطربة فتح حقبة جديدة في الشفافية ومراقبة المواطنين العاديين لحكوماتهم[26].

وهذا جزء من توجه عام نحو "عصر جديد للحكومات" مع زيادة الشفافية بسبب التقدم في التقنيات الجديدة وتوفر منشورات للوثائق العامة على الإنترنت، وأيضا الحكومات التي تتحرك ببطء. وكذلك الطبيعة المستنيرة لتوزيع وغموض ويكيليكس مع الجماعات المجهولة إضافة إلى ضعف الحكومات في مكافحة مثل تلك الكيانات المنتشرة كتب جون بيري بارلو المؤسس المشارك لمؤسسة الحدود الإلكترونية في تويتر قائلا:

لقد بدأت أول حرب معلومات حقيقية. ويكيليكس هو ميدان المعركة. وأنتم جنودها.

حسب نعوم تشومسكي، فإن الكشف الأكثر دراماتيكية للتسرب هو اظهار كلا من الحكومة الأمريكية والسلك الدبلوماسي والنخب الخارجية عدم احترام نحو عامة الناس والديمقراطية ويستشهد دائما بآراء قادة حكومات ديكتاتورية في حين لا يعتد برأي عامة الشعب.

الإطلاق

بتاريخ 28 نوفمبر 2010 بدأت ويكيليكس بإظهار البرقيات على موقعها مشيرة "بأن إفراج برقيات السفارات سيكون على مراحل خلال الأشهر القليلة المقبلة. موضوع تلك المراسلات من الأهمية حيث انتشارها الجغرافي واسع جدا، أن فعلنا عكس ذلك فلن يكون من العدالة". وتحتوي الدفعة الأولى من التسريبات 243 برقية. ثم بدأت باقي المراسلات الأخرى بالظهور على موقع ويكيليكس تباعا.

هجمات حجب الخدمة لخوادم الويكيليكس

قبل ساعة من الافراج المخطط للوثائق الأولى أعلنت ويكيليكس أنها واجهت هجوم حرمان من الخدمة وإن استمر التعهد بتسريب البرقيات والوثائق المتفق عليها عبر وسائل الاعلام البارزة كالبايس واللوموند ودير شبيغل والجارديان ونيويورك تايمز.

وفقا لشبكة أربور -وهي مجموعة تحليل للإنترنت- فقد تراوح هجوم القرصنة ما بين إثنين إلى أربعة جيجابت في الثانية (جيجابت\ث) من المرور الزائد لشبكة مضيف الويكيليكس، ومقارنة مع متوسط حركة المرور التي هي ما بين 12 و15 جيجابت\ث فإنها أقل من الأحوال العادية. وإن ظل الهجوم أقوى قليلا من هجمات القرصنة العادية مع أنها أضعف بكثير من هجمات أخرى كبرى خلال سنة 2010 حيث كانت ما بين 60 إلى 100 جيجابت\ثوتبنى الهجوم شخص أطلق على نفسه اسم "المهرج" الذي وصف نفسه بأنه "مخترق قوي". ونسب

المهرج إلى نفسه مسؤولية الهجوم في التويتر مشيرا إلى أن ويكيليكس هددت حياة جنودنا وأشياء أخرى.

وفي 2 ديسمبر 2010 أعلنت EveryDNS.com وهي شركة تسجيل نطاق بإيقاف خدماتها لموقع ويكيليكس لأن الموقع يتعرض لهجمات قرصنة جماعية. وأشارت إلى أن هذه القرصنة الإلكترونية تهدد استقرار البنية التحتية التي تحافظ عليها والتي تتيح الدخول إلى آلاف المواقع الأخرى.

نسخة الإعلام

نشرت صحيفة الغارديان في 28 نوفمبر تغطيتها للبرقيات المتسربة على العديد من المقالات بما في ذلك قاعدة بياناتها التفاعلية. وأصدرت أيضا دير شبيجل تقريرها الأولي مع توسيع نطاق تغطيتها في اليوم التالي كما وعدت بذلك. وكان غلافها يوم 29 نوفمبر هو التقرير الأولي عن التسريبات . وغطت صحيفة نيويورك تايمز القصة في سلسلة من تسعة أجزاء لتسعة أيام وأول قصة نشرت في نفس الوقت مع الوسائل الأخرى . لم تكن صحيفة نيويورك تايمز معنية بالأساس بتلقي التسريب وذلك بسبب مزاعم بتصويرها السيء لمؤسس الموقع، والجارديان قررت لاحقا المشاركة بالتغطية منوهة بالتعاون السابق عندما كانوا يقومون بتغطية ملفات حربي الأفغانية والعراقية. وذكرت صحيفة واشنطن بوست أنها طلبت الإذن للاطلاع على الوثائق ولكن طلبها رفض لأسباب لم يكشف عنه ا ونشرت البايس تقريرها قائلة أن هناك اتفاقا بين الصحف أن ينشر في وقت واحد الوثائق "ذات الصلة دوليا"، لكن كان لكل صحيفة الحرية لتحديد ومعالجة تلك الوثائق التي تتعلق ببلدها في المقام الأول.

أشار رئيس تحرير البايس خافيير مورينو بأن الافراج عن الوثائق لا تعرض حياة أي شخص للخطر، وأن الهجمات على أي إفراج عن معلومات لعامة الناس هي نفس الشيء لرد فعل المنظورة في التسريبات الأخرى، مثل أوراق البنتاغون (EN) في 1973. وأضاف أن الشيء الوحيد الخطر هنا هو سير المسؤولين والدبلوماسيين في الحكومات المذكورة بالتسريب.

وكان من المفترض أن تستلم سي أن أن نسخة مسبقة من تلك الوثائق أيضا، ولكن ذلك لم يتم بعد أن رفضت توقيع اتفاق السرية مع ويكيليكس. وأيضا رفضت صحيفة وول ستريت جورنال الاستلام المسبق ولنفس أسباب السي أن أن على ما يبدو.

إزالة محتويات

مع إضافة محرري الويكيليكس لملفات جديدة كان هناك أيضا حذف لبعض المحتويات من الموقع. فقد اختفت عدة برقيات. وإن ظهر معظمهما بعد عدة أيام، بعضها بنسخ منقحة أو غير منقحة. فبرقية " STATE1726310 بين الولايات المتحدة وروسيا في محادثات لتقييم التهديد المشترك" كان قد اختفت من موقع ويكيليكس عدة أيام، ثم عادت إلى الظهور وقد اقتطع منها الكثير، ثم استعيدت أخيرا بعد ثلاثة أيام.

الاستضافة والتمويل والتصفح

في الساعة 19:30 جرينتش من يوم 1 ديسمبر 2010 إزال موقع أمازون ويكيليكس من خوادمه فتعذر الوصول إلى الموقع حتى الساعة 20:17 جرينتش عندما رجع الموقع إلى الخوادم السويدية التي تتبع بانهوف وقد سأل السناتور الأمريكي جو ليبرمان عضو في لجنة شؤون الأمن الوطني والحكومي الأمريكي الداخلي في مجلس الشيوخ في مكالمة خاصة موقع أمازون عن استضافة الشركة لموقع ويكيليكس وعلى حصولها لوثائق "بصورة غير شرعية"، وحثهم بعمل شيء ما تجاه ذلك; بالمقابل ردت ويكيليكس بالقول على صفحتها الرسمية بتويتر انه "سحبت خوادم ويكيليكس في الأمازون. بلد الحرية وحرية التعبير-- حسنا سننفق أموالنا لتوظيف الناس في أوروبا، ثم ذكر بعدها أنه "إن كانت أمازون لايعجبها التعديل الأول لدستور الولايات المتحدة إذا فينبغي أن تخرج من تجارة بيع الكتب".

في 4 ديسمبر منع باي بال حساب ويكيليكس لجمع التبرعات . وفي 6 ديسمبر اعلن مصرف "بوست فاينانس" السويسري أنه قد جمَّد الحساب المصرفي الخاص بمؤسس الموقع جوليان أسانج . وفي نفس اليوم اوقفت ماستركاردالمدفوعات إلى ويكيليكس· وتبعتها فيزا بتجميد مدفوعاتها يوم 7 ديسمبر.

كشفت تنظيمات وسائل الإعلام الكبرى عن جهود الحكومة الأمريكية الرسمية للحد من الوصول إلى تسريبات الويكيليكس أو الحديث عنها بشكل عام. فقد ذكرت إم إس إن بي سي[59] في مقال لها يوم 4 ديسمبر 2010 أن إدارة أوباما حذرت موظفي الحكومة الاتحادية والطلبة الذين يدرسون مهن عن الخدمات العامة في المؤسسات التعليمية أن يجب عليهم الامتناع عن تحميل أو ربط أي وثائق ويكيليكس. ووفقا لمقالة في صحيفة الجارديان يوم 3 ديسمبر 2010 فقد حظرت الحكومة على الموظفين الإتحاديين الوصول إلى ويكيليكس. وتأكد بأن مكتبة الكونغرس ووزارة التجارة الأمريكية ووكالات حكومية أخرى قد طبقت الحظر بالفعل.

وأكد متحدث باسم جامعة كولومبيا في 4 ديسمبر أن مكتبها للخدمات المهنية أرسل رسالة بالبريد الإلكتروني محذرا الطلبة في كلية الشؤون العامة والدولية بالامتناع عن الوصول إلى برقيات ويكيليكس ومناقشة هذا الموضوع على أساس أن "الحديث عن تلك الوثائق يشكك في قدرتك على التعامل مع المعلومات السرية"[61]. ولكن تم سحب ذلك بسرعة في اليوم التالي. فكتب عميد تلك الكلية جون جوتسوورث: "أن حرية التعبير والإعلام هو قيمة أساسية لمؤسستنا، (...) لذا فإن موقف كلية الشؤون العامة والدولية هو أن للطلبة الحق في بحث ومناقشة أي معلومات في الساحة العامة يرون أن لها صلة بدراساتهم أو بأدوارهم كمواطنين عالميين وأن يقوموا بذلك دون خوف من أي عواقب.

أنشأ مكتب نائب رئيس بوليفيا بتاريخ 8 ديسمبر بوابة موقع (في http://WikiLeaks.vicepresidencia.gov.bo) للبرقيات ذات علاقة ببوليفيا. والموقع بمثابة مرآة للبرقيات التي افرج عنها، ويحتوي الترجمة والتحليل الكمي للبرقيات.

الولايات المتحدة الأمريكية

- ظهرت مفاوضات للولايات المتحدة الأمريكية من أجل نقل المحتجزين في معتقل جوانتانامو إلى دول أخرى. حيث أن المسؤولين في سلوفينيا عرضوا على الحكومة زيارة من الرئيس الأمريكي باراك أوباما أن قبلت الحكومة نقل المحتجزين من غونتانامو إلى أراضيها بعض العروض لدول أخرى تضمنت مساعدات اقتصادية أو زيارة من الرئيس أوباما.

إسرائيل

- ✓ ذكرت إحدى البرقيات أن عاموس جلعاد رئيس القسم السياسي-الأمني في وزارة الدفاع الإسرائيلية قال في أحد الاجتماعات التي جمعت قيادتي وزارتي الدفاع والخارجية الإسرائيليتين وآندرو شبيرو، مساعد وزيرة الخارجية الأمريكية للمواضيع السياسية والعسكرية أنه ليس واثقًا كم من الوقت سيعيش مبارك، وتساءل هو قدرة ابنه جمال على خلافته، واحتج جلعاد على أن الجيش المصري يتدرب وكأن إسرائيل هي عدوه الوحيد، وفي لقاء آخر مع شبيرو عبر جلعاد عن قلق إسرائيل من أن مصر تواصل الاستعداد لمواجهة عسكرية مستقبلية محتملة مع إسرائيل.[68]
- ✓ ذكرت إحدى البرقيات أنه في لقاء جمع مستشار الأمن القومي الألماني كريستوف هويسغن ونائب وزيرة الخارجية الأميركية للشؤون الأوروبية بيل غوردون، اقترح الطرف الألماني تهديد رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين

نتنياهوبسحب دعم الولايات المتحدة لإسرائيل في كبح تداعيات تقرير غولدستون في مجلس الأمن، إذا لم تتوقف إسرائيل عن بناء المستوطنات.
المملكة العربية السعودية

- ✓ الشباب السعودي: الحفلات التح/ارضية في مدينة جدة

وراء واجهة تَشدّد المنهج الوهابي في الشوارع السعودية، تبقى الحياة الليلية لشباب النخبة السعوديه مزدهرة في جدة وراء جدران قصور الامراء. وراء الأبواب المغلقة تنظم حفلات ابيحت فيها كل مغريات الدنيا من خمرو مخدرات وجنس. لا يمكن ان تتحقّق هذه الحرية في الانغماس في الشهوات الجسدية إلاّ في غياب الشرطة الدينية التي تبتعد عن الحفلات التي يشرف عليها أحد اعضاء العائلة السعودية الحاكمة أو اصدقاؤهم المخلصين

- ✓ الاتجاهات الأيديولوجية وملكية وسائل الإعلام السعودية:

النظام السعودي لتّحكم في الإعلام يوفر نظام آل سعود وسيلة للتلاعب بوسائل الإعلام المطبوعة في البلاد للترويج لمخططاته الخاصة دون ممارسة رقابة علنية.فالصحفيون السعوديون أحرار في كتابة ما يرغبون شريطة عدم انتقاد الأسرة الحاكمة أو فضح الفساد الحكومي. وبالإضافة إلى ذلك، معظم وسائل الاعلام المطبوعة والإلكترونية منها في المملكة العربية السعودية يملكها أفراد العائلة المالكة، لهدا السبب فإن الرقابة الذاتية أمر يجري به العمل.

عرف الإعلام السعودي ديناميكية جديدة في الآونة الأخيرة حيث تزايدت عقود الترخيص مع الولايات المتحدة ووسائل إعلام دولية أخرى. وعرف كدالك مستوى غير مسبوق من الانفتاح على الأفكار الخارجية. والسبب في هدا هو تزايد الطلب على الإعلام العربي في السعودية بصفة خاصة والامة العربية بصفة عامة[70].
الجزائر

أعيد انتخاب عبد القادر بن صالح رئيسا لمجلس الشيوخ الجزائري و نتيجة التصويت كانت 129-0، يوم 12 يناير. بهدا يبقى بن صالح المرشح الأول لخلافة بوتفليقة في الحكم في حالة تعدر هدا الأخير إكمال فترة ولايته الحالية. اعادة انتخاب بن صالح نتيجة بديهية في غياب ترشح اي منافس له في المنصب. اكد صحفي من جريدة "ليبيرتي" الناطقة بالفرنسية بان نتيجة الانتخابات تم تقريرها مسبقاً بعد أن اشار بوتفليقة لاعضاء مجلس الامة انه يريد بنصالح ان يحتفض بمنصبه رئيسا لمجلس الامة.إشتكى اعضاء مجلس الامة لبعضهم البعض لعدم تقدم

اي مرشح للمنصب وإن تجرأ واحد منهم الترشح للمنصب فإنه سيعد عدم احترام بوتفليقة.العديد من الاعضاء يعتبرون الانتخابات مسألة شكلية بعيدة عن كونها ممارسة للديموقراطية. وهدا في نظرهم مخجل للغاية.
ليبيا

خلال استعداد الزعيم الليبي معمر القدافي لرحلته إلى مقر الأمم المتحدة بنيويورك، ادلت مصادر مقربة إليه بمعلومات تفيد بميولاته الشخصية وحاشيته. لا يمكن للقدافي السفر من غير ممرضته الاكرانية الاصل "غلينا" ويدكر انه يربطه بها علاقة عاطفية حيث تم نقلها في طائرة خاصة إلى البرتغال لمصاحبة الزعيم إلى نيويورك بعدما تعدر حصولها على تاشيرة لأمريكا إبان سفر الزعيم. يظهران القدافي يخاف الطيران فوق الماء والمكوت في الطوابق العليا من البنايات. يحتمل ان الزعيم يتفادى صعود الدرج لضعف صحته فهو مصاب بمرض السكري وارتفاع الضغط الدموي .

دور وسائل الإعلام الأمريكية الدبلوماسية العامة نحو الإيرانيين

شهد العقد الماضي مزيدًا من حالات التدخل الأمريكي في شئون منطقة الشرق الأوسط وقد برز هذا التدخل الذي أخذ شكلاً دبلوماسيًا تجاه إيران، ويبدو الهدف الأساسي الذي تسعى الولايات المحتدة إلى تحقيقه من وراء هذه الدبلوماسية العامة هو توضيح السياسات الإقليمية والمبادرات الدبلوماسية الأمريكية وذلك بهدف تبرير الأعمال التي تقوم بها الولايات المتحدة في المنطقة للجمهور، والمقصود بالجمهور هنا المواطن الإيراني المتوسط أو النخبة الإيرانية. ويشكل الجزء المرئي أهمية كبيرة في إطار الدبلوماسية الأمريكية وذلك من خلال الراديو والمواد التليفزيونية المذاعة، ورغم هذا لا تدخل كل وسائل الإعلام الأمريكية في هذه المهمة. هذه الدراسة تبحث بدقة المشكلات التي تواجه الولايات المتحدة وهي تنفذ دبلوماسيتها العامة تجاه إيران، وما تسعى الدارسة إليه هو العمل على معرفة وسائل تحقيق الدبلوماسية العامة الأمريكية تجاه الإيرانيين وهو الأمر الذي يساهم في النهاية في زيادة قدرة الولايات المتحدة ليس فقط تجاه إيران ولكن بالنسبة لكل دول المنطقة.

وتبحث هذه الدراسة في عدة نقاط:

- ✓ أولها: راديو (فردا) وإذاعة صوت أمريكا (VOA) والمشكلات التي يعانون منها.
- ✓ ثانيها: تبحث في الدبلوماسية والمبادرات الأوروبية تجاه إيران وذلك من خلال التركيز على ثلاث محطات إذاعية، هيئة الإذاعة البريطانية (بي بي سي) الخدمة الفارسية في لندن، وراديو فرنسا الفارسي انترناسيونال (آر إف آي) في باريس، والراديو الفارسي الألماني (دي دبليو) في بون.
- ✓ ثالثها: تبحث الدراسة في وسائل الإعلام من راديو وتليفزيون إيرانية التي تم تأسيسها من قبل مواطنين من أصل إيراني ومقيمين في الولايات المتحدة وغيرها من الدول الأوروبية والناطقة باللغة الفارسية.

الإعلام في الجمهورية الإسلامية:

منذ تأسيس الجمهورية الإسلامية حاول النظام الإيراني تحديد التعددية في مصادر المعلومات، وذلك من خلال التحكم في وسائل الإعلام داخل البلاد، وعمل النظام الإيراني أيضًا على إيقاف تدفق المعلومات القادمة بالفارسية من خارج إيران، في البداية كانت هذه الاستراتيجية تستند على الموقف الثوري العنيد للثورة الإسلامية، ولكن على أية حال أجبرت التطورات التي حدثت بعد ذلك خاصة الحرب العراقية ـ الإيرانية الحكومة على النظر في تغيير السياسة الإعلامية لهذا الجيل الجديد الذي لم يعايش فترة الحماس الثوري والوعود المثالية، ولهذا كانت الحكومة الإيرانية تبحث عن وسيلة لتلبية حاجاتهم، فالجيل الجديد لديه مبادئ أصبح يسعى إليها مثل الحرية، العدالة، والتقدم، وهي أفكار تختلف عما كان يفكر فيه الجيل الأول للثورة.

وكنتيجة لهذا، احتاجت الحكومة في التسعينيات أن تخاطب مخاوف الجيل الأصغر حتى إذا تطلب ذلك المساومة على بعض مبادئها وأسسها الثابتة، ولهذا قامت الحكومة بتأسيس صحيفة (همشهري) تحت إشراف غلام رضا كاربازي، وصحيفة (إيران) والتي ارتبط بوكالة أنباء الجمهورية الإسلامية (إيرنا)، وقد تم تأسيس هاتين الصحيفتين لمواجهة هذه الحاجات الجديدة.

بعد وفاة مؤسس الثورة آية اللّـه الخميني قام المرشد السيد علي خامنئي بفحص النظام بدقة خاصة ما يتعلق بالسياسات الإعلامية، وقام بتعيين علي لاريجاني كرئيس للإذاعة والتليفزيون، وقام بزيادة ميزانية المؤسسة ودعمها سياسيًّا. وأثناء فترة خدمته التي استمرت عشرة سنوات وسع لاريجاني بشكل كبير من الخدمات، وأضاف عشرون ساعة خدمة أخبار، ووضع إطار ونظام جديد لبرامج الترفيه مثل الأفلام والمسلسلات التليفزيونية، وبرامج الألعاب الرياضية، وكان لاريجاني يسعى إلى جعل الإذاعة الحكومية والتليفزيونية أكثر جذبًا

للمشاهدين الإيرانيين، وكان كل هذا بمثابة استجابة لحاجات الجيل الجديد، وباستثناء صحيفة (سلام)، التي كانت تنتقد بشكل معتدل أداء الحكومة الاقتصادي والمشروعات السياسية، كانت أغلبية جهود النظام في طريق التطوير الإعلامي ضمن حدود الإطار الأيديولوجي للجمهورية الإسلامية.

فوسائل الإعلام كانت تركز على الموضوعات الاجتماعية والثقافية بدلاً من القضايا السياسية. وحتى معالجة الظواهر الاجتماعية كان يتم بشكل لا يتعارض مع مبادئ الجمهورية الإسلامية.

لقد ساهمت حركة الإصلاح التي قادها صعود محمد خاتمي للحكم عام 1997 إلى ازدهار واضح في الصحافة، حيث رفع القيد والحظر عن عشرات الصحف، ولكن بعد أقل من عامين من انتخابات خاتمي كرئيس لإيران، قامت السلطة القضائية بأمر مباشر من المرشد الأعلى للجمهورية علي خامنئي بإغلاق أكثر من مائة صحيفة مستقلة أو إصلاحية، وعندما تم انتخاب أحمدي نجاد في عام 205 اشتدت محاولات النظام في التضييق على الصحافة والمناخ الثقافي بشكل عام في إيران. وامتدت أيدي حكومة أحمدي نجاد أيضًا إلى الإنترنت، حيث يحظر على أي موقع أن يبدأ العمل قبل الحصول على رخصة حكومية، كما قامت الحكومة بمنع إرسال راديو (فردا) وإذاعة (بي بي سي) الفارسية، وبدا أن النظام الإيراني بدأ ينتهج الأسلوب السوفيتي في التعامل مع وسائل الإعلام. في هذا السياق واجهت وسائل الإعلام الأجنبية صعوبات عديدة للعمل والقيام بدورها في إيران فأصبح توصيل المعلومة أمر في غاية الصعوبة. وانحصرت مصادر الحصول على المعلومات في المصادر الرسمية التي لا تكون موضع ثقة أو الاعتماد على تقارير سرية لبعض الصحفيين داخل إيران، في الوقت نفسه تواجه وسائل الإعلام الأجنبية العديد من المشكلات التقنية سببها التدخل الحكومي المباشر في عرقلة الإرسال ومواقع الإنترنت.

مشكلة أخرى تواجه وسائل الإعلام الأجنبية داخل إيران، وهي ارتياب المواطن الإيراني منها، وأنها عميلة لقوى الغرب التي تريد وفق تصور الكثيرين تكريس تبعية إيران للغرب، وما يزيد من قوة هذه الفكرة بعض الأحداث التاريخية التي عاصرتها إيران خلال القرن الماضي، منها أحداث الحرب العالمية الثانية، والدور الأمريكي في الانقلاب ضد محمد مصدق عام 1953، والذي أعاد الشاه مرة أخرى للسلطة، كل هذا مازال يفرز العديد من الصعوبات وسوء التفاهم مع الإعلام الغربي في إيران.

في إيران يوجد إدراك سائد بأن وسائل الإعلام في أغلب الأحيان هي وسائل دعاية تحت سيطرة الحكومة، وينطبق هذا الموقف أيضًا على أجهزة الإعلام

الأجنبية، حيث يرى الكثيرين أنها تعمل على تعزيز السياسات الأمريكية تجاه إيران. هذا الفهم أو هذا الإدراك لا يميز بين الأخبار والتحليلات السياسية وغيرها، حيث يتم النظر إليها من منظور كلي باعتباره دعاية لواشنطن، هذا النوع من الفهم بأن هذه الوسائل ممولة من جانب الأمريكيين يمثل عائق رئيسي في زيادة فعالية هذه الوسائل في إيران.

أضف إلى هذا حالة العداء الراهنة بين إيران والولايات المتحدة والتي تضع العقبات أمام قدرة الولايات المتحدة على التحرك بحرية لمعرفة تأثير ما تقدمه للإيرانيين، ورغم أن الأمر قد أصبح أفضل من الماضي إلا أن الوضع في إيران بالنسبة للولايات المتحدة مازال أصعب بكثير مقارنة بأدائها في الأجزاء الأخرى من العالم.

تشجيع الولايات المتحدة لوسائل الإعلام الناطقة بالفارسية:

عملت الولايات المتحدة على تبني وسائل الإعلام الناطقة بالفارسية وشملت هذه الأجهزة راديو (فردا) وإذاعة صوت أمريكا القسم الفارسي، وموقع وزارة الخارجية باللغة الفارسية.

راديو (فردا): خلفية

راديو (فردا) هو محطة إذاعية تذيع الأخبار والموسيقى للإيرانيين من خلال الموجة المتوسطة (صباحًا)، ومن خلال الموجة القصيرة، والقمر الصناعي، وإرسال الإنترنت، وذلك كمشروع مشترك بين إذاعة أوروبا الحرة وإذاعة صوت أمريكا، وقد أطلقت هذه الإذاعة في ديسمبر 2002، وتقوم ببث أكثر من تسع ساعات تشمل البرامج، الأخبار، وموسيقى البوب الإيرانية والغربية، ومقر هذه الإذاعة في برامج عاصمة جمهورية التشيك.

ويعد راديو فردا محطة إذاعية مشابهة لراديو سوا الناطق باللغة العربية والممول من قبل الحكومة الأمريكية، وهدف هذه المحطات هو تقديم الأخبار والمعلومات للفئة التي تقع بين 15 : 30 سنة. وكلا الإذاعتين تحت سيطرة مجلس محافظي الإذاعي (بي بي جي) والتي تعتبر وكالة اتحادية مستقلة مسئولة عن كل المحطات الإذاعية غير العسكرية، الممولة من جانب الحكومة الأمريكية. ومن الأمثلة الأخرى إذاعة صوت أمريكا، تليفزيون الحرة، راديو سواء، وإذا سوا، وإذاعة أوروبا الحرة. فكل هذه الإذاعات تقع تحت سيطرة الـ (بي بي جي).

ومن أجل إطلاق إذاعة (فردا) قررت الـ(بي بي جي) إنهاء عمل برنامج الراديو الناطق بالفارسية، وتم نقل هؤلاء الموظفين ليشكلوا ثلثي العاملين في إذاعة (فردا) وكان هذا البرنامج السابق المعروف بـ(راديو أزادي) قد أطلق عام 1998،

وكان يذيع ثلاث ساعات من الأخبار والتحليلات بصيغة يومية للجمهور الإيراني المثقف، ولكن رأت الـ(بي بي جي) أن هذا الأسلوب غير مجدي، حيث يغلب عليه الطابع الكلاسيكي الفارسي، وبالتالي فقد ساهم في انصراف الجمهور خصوصًا الإيرانيون الشباب، كما اتهم هذا البرنامج بتأثره بحركة الإصلاح في إيران بزعامة خاتمي، وأنه بدأ يعدد المزايا السياسية له.

وقد ظهرت فكرة راديو (فردا) عندما قامت الحكومة الإيرانية بإنشاء بعض المحطات الإذاعية، مثل: محطة (بايام) والتي تعني (الرسالة) والتي كانت تذيع النشرات والأخبار الحكومية بالإضافة إلى موسيقى البوب والموسيقى الكلاسيكية، ولكن كانت كل هذه الأشياء تحت الرقابة، ومن ثم فإن إنشاء إذاعة توجه الأخبار والموسيقى بدون رقابة كانت فكرة عظيمة.

وبعد عدة سنوات ظهرت محطات إذاعية للأخبار والموسيقى خارج إيران، وكانت برامجهم ترسل عبر الإنترنت، أو بالموجة القصيرة، ومن أمثلة هذه المحطات الإذاعية: محطة من أمستردام تسمى (راديو زمانيه) والمدعومة من الحكومة الهولندية. الميزة الوحيدة لراديو (فردا) هي أنه كان يرسل عبر الموجة المتوسطة التي رغم قيام الحكومة بمحاولة التشويش عليها، إلا أنها كانت تصل إلى بعض المناطق داخل البلاد.

الأزمة الحقيقية لإذاعة فردا: الاستراتيجية والإدارة:

على الرغم من أن مهمة راديو (فردا) مازالت مهمة خاصة في إطار المعركة الطويلة ضد التطرف الديني، ورغم أن هذه المحطة لديها شبكة واسعة من الصحفيين، إلا أنها لم تتمكن من مواجهة أزمتين حقيقيتين ظهرتا على ساحة المنطقة.

أولاً: سلسلة الأزمات السياسية في الشرق الأوسط، والتي تشمل إيران، العراق، لبنان، والأراضي الفلسطينية. فالتطرف الديني في هذه المناطق أعاق قدرة المحطة على تقديم أخبار وتحليلات موضوعية تساهم في نشر الديمقراطية الأمريكية.

ثانيًا: المشكلة الثانية التي واجهت عمل راديو (فردا) هي التقدم في أداء وسائل الإعلام المحلية رغم أنها لا تقدم أخبار موضوعية، إلا أن ذلك ساهم في إعاقة عمل (فردا) حيث جعلها أقل أهمية للمستمعين خاصة عندما تقوم بإرسال برامجها على الموجة القصيرة.

كل هذه التحديات تزيد من صعوبة مهمة الـ(بي بي جي) أضف إلى هذا أن (بي بي جي) فشل في إقناع الإدارة الأمريكية والكونجرس في زيادة ميزانية راديو

(فردا) فالميزانية بقيت ثابتة عند حدود 70 مليون دولار طوال اثنا عشر سنة، واليوم يمكن القول أن الميزانية أصبحت نصف ما كانت عليه عام 1996، وذلك يرجع لتناقص قيمة العملة الأمريكية.

ثمة حقيقة هامة وهي أن السياسة تمثل جزءًا أساسيًّا من المشكلات التي تعاني منها محطة (فردا) والتي تواجه أيضًا مجلس محافظي الإذاعة (بي بي جي)، ففي الفترة من (2001-2005) كان رئيس المحطة ينتمي للحزب الديمقراطي ولهذا فإنه لم يتلق دعمًا كافيًّا من مدير مجلس محافظي الإذاعة الذي كان ينتمي للحزب الجمهوري. علاوة على هذا فإن محطة (فردا) بقيت بدون رئيس منذ منتصف 2005 وحتى فبراير 2007 وهو الأمر الذي يعد مؤشرًا هامًّا على عدم قدرة مجلس محافظي الإذاعة على القيام بمهامه.

وسائل الإعلام الأمريكية الدولية كانت تهدف دائمًا إلى أن يكون لها تأثير كبير على الدول المستهدفة، وذلك من خلال استراتيجية التأثير على صناع القرار أو النخبة السياسية، ولكن بعد انتهاء فترة الحرب الباردة وجد قادة الدول التي خرجت من عباءة الاتحاد السوفيتي أن النخبة الموجودة لديها أصبحت متأثرة بشكل كبير بالإعلام الأمريكي، ولهذا بدأت هذه الدول في تبني مرحلة انفتاح وزادت المنافسة مع الإعلام الأمريكي.

وفي عام 2001 تأثر مجلس محافظي الإذاعة بشكل كبير بالعضو الجديد (نورهم بانتز) والذي حمل للمجلس خبرته بالقطاع الخاص، ولهذا في عام 2002 كان شعار مجلس محافظي الإذاعة الجديد "نحن نريد أن نرى أرقام .. نحن لا نهتم إذا لم يكن لك تأثير كبير على النخبة السياسية، نحن نريد الجماهير". ورغم أن شعار المجلس قد تغير وأصبح أكثر ارتباطًا باحتياجات السوق إلا أن ثمة قضايا هامة لم يتم التعامل معها بشكل جيد، وهي:

على خلاف محطات الموسيقى الشعبية، تبقى المحطات الإذاعية التي تقدم الأخبار والتحليلات السياسية تستحوذ على جمهور محدود.

التأكيد على إعداد الجمهور وربطه بمسألة الميزانية يقود في النهاية إلى استراتيجية خاطئة، فاللجوء على البرامج القصيرة حتى لو كانت غير ذات معنى لجذب الجمهور أمر خاطئ تمامًا مثلما فعلت إذاعة صوت أمريكا التي كانت تلجأ إلى البرامج القصيرة، صحيح أنها نجحت في زيادة أعداد الجمهور، ولكن هذه البرامج كانت أشبه بالنقاط الإعلانية أكثر من كونها أخبار وتحليلات جادة.

في ظل حالة الضعف التي كان يعاني منها مجلس محافظي الإذاعة وإذاعة فردا، كان الغالب على الأداء هو الطابع الارتجالي، حيث غابت القدرة على وضع

الأولويات وأعطى المجلس إشارات متناقضة حول هذه الأولويات، ولهذا كانت الإجابة على السؤال المهم وهو: ما هي المهمة؟، كانت غير واضحة. هل المهمة هي جلب القليل من الأخبار إلى الجمهور الأكبر، أم تقديم برامج جدية إلى النخبة؟

في الواقع تؤدي النظرة التجارية للدبلوماسية الإعلامية والتأكيد على النواحي الكمية أكثر من النواحي الكيفية يخلق تحديات خطيرة بالنسبة لمسألة جذب جمهور النخبة داخل الدول وملأ هذا الفراغ أو للموازنة بين النواحي الكمية والكيفية يتطلب الأمر بذل المزيد من الجهد في اختيار وانتقاء الأخبار المذاعة خاصة في ظل وجود منافسة قوية من الإنترنت ومصادر الأخبار الأخرى.

راديو فردا: الضعف التنظيمي:

عندما أطلق بث راديو (فردا) أظهر الإيرانيون نوعين من رد الفعل، الأول بالنسبة لبرامج المحطة الجديدة كان هناك اهتمام كبير من جانب الإيرانيين للاستماع إلى موسيقى البوب والأخبار. وثانيًا: هذه المبادرة الجديدة تم تفسيرها من جانب بعض الإيرانيين على أنها جزء من السياسات الأمريكية في المنطقة، وبعد حرب العراق رأى الإيرانيين أن راديو (فردا) مجرد بداية للتوجه الأمريكي ضد إيران.

نجحت محطة (فردا) في جذب أعداد كبيرة من الجمهور مقارنة بالمحطة التي سبقتها وهي راديو (أزادي)، وقد أظهرت استطلاعات الرأي أن الإيرانيين يستمعون إلى الموسيقى على راديو (فردا) أكثر من الأخبار.

الميزة الهامة التي ميزت راديو (فردا) هو أنه كان يبث على الموجة المتوسطة، وهو الأمر الذي جعل المحطة تصل إلى مناطق عديدة جنوب إيران على مدار اليوم، وأصبح لدى الإيرانيين القدرة على الوصل للمحطة على الموجة المتوسطة بسهولة، بدلاً من الموجة القصيرة التي تحتاج المستمع إلى ضبطها وتحويلها كل فترة للوصول للمحطة.

لكن عندما كان مطلوبًا في راديو (فردا) أن يقوم بتحسين نوعية وجودة الأخبار التي يقدمها واجهت المحطة بعض المشكلات من أهمها ما يتعلق بالميزانية وعدم زيادتها، وهو الأمر الذي أفرز المزيد من التحديات أمام المحطة ودورها في المنطقة.

فمن الملاحظ أن جمهور راديو (فردا) لم ينمو منذ عام 2004 عندما وصلت النسبة إلى 15٪ من السكان الإيرانيين، وعلى الرغم أن تشويش النظام الإيراني على المحطة قد أعاق دورها إلا أن الحقيقة تؤكد أن راديو (فردا) أصبح يواجه

منافسة قوية، وأصبح أداء المحطة يتجه نحو مزيد من الركود، وذلك بعد أن انتهت نشوة النجاح في المرحلة الأولى للعمل.

البعض يرجع أسباب الفشل إلى الإدارة الثنائية لفردا، فالمحطة ليست تحت إدارة مركزية واحدة، فهناك إدارة في براج وأخرى في واشنطن.

وعلى الرغم من أن مجلس محافظي الإذاعة (بي بي جي) حاول أن يسد هذا الفراغ من خلال تعيين منسق لديه خبرة، إلا أن هذا المنسق لم يتمكن من توحيد العمل داخل الإذاعة، ويعود السبب في هذا أنه لم تكن لديه أية سلطات تنفيذية أو مسئوليات حقيقية.

المشكلة الأخرى التي تواجه راديو (فردا) هي عدم وجود طاقم عمل محترف بشكل كافٍ، خاصة في مجال اللغة، فمعظم الصحفيين الإيرانيين في الخارج كانوا يفضلون العمل في إذاعة (بي بي سي) الفارسية، ولهذا لم يكن العاملين في راديو (فردا) مدربون جيدًا كصحفيين بالمعنى الغربي للكلمة، فمعظمهم كانوا من العاملين السابقين في راديو (أزادي)، وهم مجموعة الصحفيين الذين كانت تضطرهم الظروف إلى مغادرة إيران بسبب إغلاق الحكومة للصحف التي يعملون بها، ولهذا فإن راديو (فردا) واجه صعوبة كبيرة في توفير صحفيين مدربين، فأغلب الموجودين كانوا يتحدثون بلهجة أمريكية، وهو الأمر الذي لم يتقبله الإيرانيون واعتبروه شاذًّا.

وقد حاول المسئولين عن المحطة تدريب الصحفيين لرفع مستواهم اللغوي، إلا أن نظام التدريب كان قليل الفاعلية، فالعديد من العاملين في راديو (فردا) سواء في براج أو واشنطن لم تكن لديهم القدرة على التواصل مع اللغة الفارسية بشكل تام، وكان واضحًا عدم قدرتهم على كتابة أو صياغة الأخبار دون أن تكون خالية من الأخطاء النحوية أو استخدام عبارات ومصطلحات خاطئة، فالعديد منهم لم تكن لديه دراية كافية بالشئون العالمية وباللغة الإنجليزية.

مشكلة أخرى وهامة تواجه راديو (فردا) وهي وجود مديرين غير جديرين بمناصبهم، فالعديد منهم لا يمتلك عقلية إدارية جيدة، ورغم ذلك يتدخل بشكل كبير في عمل المحطة، وهو الأمر الذي سبب سخط الموظفين ورؤساء الأقسام، وهو ما أدى في النهاية إلى ترك بعضهم لأعمالهم مثل مغادرة مدير القسم الأفغاني في عام 2004، والقسم الفارسي والأمريكي عام 2005، والقسم الطاجيكي عام 2006، وكل هؤلاء المديرين كانوا ناجحين في أماكنهم.

كل هذه المشكلات التنظيمية أدت إلى أخطاء وقصور في نوعية البرامج وأخطاء في التغطية الإخبارية.

على الرغم من الإقرار بصعوبة إجراء أي مسح لاستطلاعات الرأي داخل إيران، إلا أن الخبراء يوجهون الانتقادات للأسلوب الذي تتبعه إذاعة راديو (فردا) في إجراء الاستطلاعات بين الإيرانيين للوقوف على آرائهم حول أداء الإذاعة ومدى حضورها بين الإيرانيين. فأسلوب إجراء الاستطلاع من خلال الاتصال التليفوني يعتبر قليل الفاعلية؛ فهو أولاً لا يساعد على معرفة كل أنواع الاستجابات وردود الفعل حول أداء (فردا)، كما أن هذا الأسلوب غير مجدي لأن المواطنين الإيرانيين لا يثقون في إجراء الاستطلاعات بهذا الشكل، ولهذا فهم غالبًا ما يقدموا إجابات غير صحيحة أو على الأقل إجابات تجعلهم في موضع آمن. كما أن هذه الاستطلاعات لا تركز بشكل كبير على بعض الأسئلة المهمة، مثل: هل يعتبرون (فردا) مصدرًا مهمًّا للأخبار؟، ما هو تقدير الإيرانيين للأخبار التي تقدمها (فردا) إذا ما قورنت بغيرها من المحطات الأخرى مثل الـ(بي بي سي)؟، وهل الاستماع إلى راديو (فردا) قد حسن من آرائهم حول الولايات المتحدة وسياستها في المنطقة؟

إنتاج ومحتوى الخبرة:

حقق راديو (فردا) نجاحًا ملحوظًا في بداية انطلاقه، ولكنه سرعان ما اتجه إلى الركود، ومن المعروف أن تقديم برامج ترفيه بجانب الأخبار التحليلات له فوائده العديدة، وعلى أية حال يعاني راديو (فردا) من مشكلات عديدة إذا ما تمكن من التغلب عليها فإنه سيصل إلى مستوى مرتفع من الأداء لكن هذه المشكلات لا تحتاج إلى حلول قصيرة الأجل بل تحتاج إلى فاعلية وقيادة موحدة، وهو ما تفتقر إليه (فردا.(

المشكلة الأكبر التي يعاني منها راديو (فردا) هي غياب التواصل السريع بين (فردا) والمستمعين، ولعل أوضح مثال على هذا أنه في الشهور الأولى لبدء عمل راديو (فردا) وصلت لمسئولين عن الراديو رسائل عديدة حول ضرورة إذاعة فقرات للموسيقى الإيرانية بدلاً من الغربية، الغريب هنا أن رد المسئولين واستجابتهم لهذا المطلب كانت بطيئة جدًّا وحتى عندما استجابت المحطة لهذا المطلب خصصت له ميزانية محدودة تراوحت بين 10000 : 150000 دولار سنويًّا. وكان يمكن لراديو (فردا) استثمار هذا الأمر لتحقيق عدة أهداف لعل أهمها زيادة نسبة المستمعين للراديو من الإيرانيين، كما أن إذاعة هذا اللون من الموسيقى كان سيساهم في مواجهة السياسات التقييدية للحكومة الإيرانية.

رغبة أخرى أبداها العديد من الإيرانيين والتي لم تجد استجابة من المسئولين في (فردا) بدعوى ارتفاع تكاليف تنفيذها، وهذه الرغبة كانت تنحصر في عدم إذاعة الفقرات الموسيقية نهارًا، ولكن القيام باستضافة بعض الشخصيات التي

يمكن للمستمعين التواصل معها، فهذه الفكرة لو نفذت كان يمكن أن تساهم في تحقيق متعة ترفيهية بجانب التأثير بشكل كبير على الرأي العام في إيران.

على أية حال سوف تتسلم المحطة الميزانية الجديدة وهي 75 مليون دولار، ويجب البدء بسرعة في تنفيذ هذه الأفكار، وذلك لأن التغيير والتطوير أصبح مسألة حيوية (لفردا)، وذلك بسبب ظهور العديد من القنوات الفضائية الجديدة الموجهة لإيران، وهذه القنوات من المتوقع أن تجد قبولاً لدى الإيرانيين بسبب طابعها غير السياسي، أضف إلى هذا أن الـ(بي. بي. سي.) تخطط لإطلاق التلفزيون لإيران عام 2008، كل هذا قد يساهم، في حالة عدم تحرك راديو (فردا)، في انخفاض نسبة المستمعين للراديو من الإيرانيين.

أما على المستوى الأخبار والتحليلات السياسية، فمن الملاحظ أن راديو (فردا) يعاني من أزمة حقيقية تتعلق بالنزاهة والموضوعية لدى العاملين به، فبعض العاملين في المحطة، خاصة الفريق الموجود في برامج الأخبار، معادي للأمريكيين بشكل ملحوظ، وهو الأمر الذي يمكن التعرف عليه من خلال لغة الأخبار التي يختارونها. أيضًا بعض أعضاء فريق واشنطن معروفين بموقفهم المعادي للنظام الإسلامي ومؤيدين لجماعات المعارضة، وخاصة جماعة "مجاهدي خلق". ولهذا فإن المشكلة هنا تتعلق بالاختيار الفعال للأخبار التي يذيعها راديو (فردا) يمكن أن يخرج بقائمة طويلة من الأخطاء، وعلى سبيل المثال طبقًا لما أذاعه راديو (فردا) فإن كيم جونج تقابل مع أحمدي نجاد في اجتماع الدول غير المنحازة في هافانا، ولكن الحقيقة أن كيم جونج لم يذهب إلى هافانا لحضور الاجتماع.

أضف إلى هذا أن عدم القدرة على ترتيب أولوية وأهمية إذاعة الأخبار جعل العديد من الإيرانيين ينصرفون إلى متابعة الأخبار على الـ(بي بي سي) حيث يعتبرون (فردا) خليط من الأخبار الشاذة والمعادية للنظام الإسلامي وللولايات المتحدة أيضًا في بعض الأحيان.

نقطة أخرى تتعلق بعدم قدرة مذيعي (فردا) على إجراء الموائد المستديرة التي يهتم بها المواطن الإيراني، حيث تفتقر (فردا) إلى وجود وحدة بحث واسعة الاطلاع لجمع المعلومات تمكن المذيعين من اختيار الأسئلة المستفزة للضيوف والتي يجد فيه المستمع نوع من التحدي.

إن المراجعة الدقيقة لبرامج راديو (فردا) حول أزمة البرنامج النووي الإيراني توضح إلى أي مدى فشلت هذه المحطة في تجاوز حدود الخبر والانتقال به إلى مستوى التحليل العميق والمتزن، وعلى الرغم من تقديم (فردا) للعديد من

الموائد المستدير حول هذه القضية، إلا أن كلها كان يتسم بالسطحية والبعد عن التعمق داخل الأزمة، حيث اتخذت شكل البرامج الدعائية أكثر من كونها محايدة.

موقع الويب الجديد:

في نوفمبر 2006 أطلقت إذاعة (فردا) الموقع الإلكتروني الجديد لها بدلاً من الموقع القديم الذي كان عبارة عن مكان يجد فيه الشخص نسخة من البرامج الإذاعية للمحطة، بالإضافة إلى عرض حي للإنترنت.

أما الموقع الجديد فقد تم تصميمه بشكل جديد، حيث يحاول الموظفون والمحررون الجدد تحقيق نوع من الاستقلالية عن المحطة، حيث يقوم بإنتاج برامج خاصة، ويقوم بتوسيع تفاصيل الأخبار، الموقع القديم كان يعاني من التصميم غير الجذاب، والملاحظة المهمة على الموقع الجديد أنه يستلهم معظم أفكاره من موقع الويب الفارسي للـ(بي.بي.سي) ماسح الدين صدر مصمم موقع الويب للـ(بي.بي.سي) نشر مقالة انتقد فيها التصميم الجديد للويب الخاص بـ(فردا) ووصفه بأنه "تقليد واضح لموقع ويب الـ(بي.بي.سي)، وقال: "إن الاختلافات بينهم قليلة جدًّا، فالزائر لهذا الموقع يستعجب من التشابه الواضح بينهما، هذا التشابه لا ينحصر فقط في التصميم، ولكن يذهب بعيدًا إلى عناوين الأقسام المختلفة."

وعلى الرغم من هذا يحسب للموقع الجديد (لفردا) أن الموقع قد زاد عدد زواره إلى خمسة أضعاف، وذلك مقارنة بالموقع القديم للإذاعة.

صوت أمريكا:

إن المقابلات واللقاءات التي أجريت مع العديد من الصحفيين الإيرانيين بالإضافة إلى الكثير من المواطنين الإيرانيين العاديين تخلق وتؤكد انطباع أن تليفزيون صوت أمريكا الفارسي يعتبر تليفزيون الأخبار الفارسي الأجنبي الأكثر شعبية في إيران. وفي الشهور الأخيرة قام تليفزيون صوت أمريكا بتخفيض ساعات الراديو إلى ساعة واحدة في حين قام بزيادة عدد ساعات التليفزيون أربعة ساعات يوميًّا، وقام بنقل جزء من موظفي الإذاعة إلى التليفزيون.

ونجح تليفزيون صوت أمريكا خلال سنوات معدودة أن يتحول من راديو قديم غير قادر على منافسة المحطات الفارسية الأجنبية الأخرى في إيران إلى محطة تليفزيون تدار بشكل محترف ومازال تليفزيون صوت أمريكا يطور من نفسه، وذلك مقارنة بإذاعة (فردا). ويبدو أن المسئولين عن تليفزيون صوت أمريكا يدركون أنه في عام 2008 سوف تبدأ (بي.بي.سي) الفارسية في إطلاق القناة التليفزيونية الأمر الذي سيزيد من حدة المنافسة بينهما.

على العموم يبدو موظفو تليفزيون صوت أمريكا أكثر احترافًا مقارنة بالعاملين براديو (فردا)، ورغم هذا يعاني العاملين في صوت أمريكا من بعض المشكلات القديمة التي يمكن أن يلاحظها الجمهور العادي، فالكثير من العاملين في صوت أمريكا تركوا إيران مباشرة بعد الثورة، ولهذا فهم لم يتعايشوا في الواقع السياسي والاجتماعي والثقافي الذي أفرزته الثورة في المجتمع الإيراني. فهم تم فصلهم عن إيران وغير قادرين على فهم التطورات الجيلية في إيران. ولهذا فهم يستخدمون الكثير من الألفاظ الفارسية قبل الثورية، ويهملون بعض الفروق الدقيقة والمهمة جدًّا في الأخبار.

على سبيل المثال عند ذكر مصطلح "الجمهورية الإسلامية لإيران" يتم استخدام مصطلح آخر وهو "النظام الإسلامي" وهو ما يظهر عداوة المتكلم نحو الحكومة الإيرانية، وهو ما يفهمه المشاهد الإيراني على أنها رسالة من الولايات المتحدة ضد إيران.

بعض الموظفين الأكبر سنًّا والذين، لسوء الحظ، مازال العديد منهم داخل صوت أمريكا منذ قبل الثورة الإيرانية، مازالوا معتادين على المدرسة القديمة في الإذاعة، والتي تتسم بالإسهاب والمقابلات الطويلة، واستخدام الكلمات القديمة، أيضًا هناك عدد من العاملين صغار السن الذين عاشوا في الولايات المتحدة، وبالتالي لديهم معرفة محدودة بالأدب الفارسي، ورغم ذلك هناك نسبة معقولة منهم تستخدم مفردات ملائمة للاتصال بالشباب إيران.

المشكلة المهمة الأخرى بالنسبة لصوت أمريكا هي قلة الموضوعية والنزاهة في عرض الأخبار، فهناك بعض العاملين لديهم انتماءات سياسية واضحة لجماعات المعارضة والملكيين الإيرانيين، ولذلك فهم لا يترددون في عكس ذلك على الأخبار التي يعرضونها، فهؤلاء لا يترددون في عكس ذلك على الأخبار التي يعرضونها، فهؤلاء العاملين غير قادرين على التمييز والفصل بين الصحافة والدعاية.

أحد الأمثلة على عدم الموضوعية في عرض الأخبار والبرامج على صوت أمريكا تلك المقابلة التي أجريت مع عبد المالك ريجي زعم جماعة (جند اللّـه) المسلحة في محافظة سيستان جنوب الشرق الأوسط: إيران، وطبقًا لاعترافات زعيم هذه الجماعة فإن نشاطها يعتمد تهريب المخدرات والأفيون من باكستان وأفغانستان، بالإضافة إلى عمليات الاختطاف والرهائن، والهجوم على ضباط الشرطة والمدنيين.

ورغم هذا قامت صوت أمريكا في الأول من أبريل 2007 بإجراء مقابلة مع زعيم هذه الجماعة، وتم التعامل معه وتقديمه على الشاشة باعتباره ناشط سياسي، وأنه "زعيم حركة مقاومة الشعب الإيراني"، وفي أعقاب المقابلة استقبل تليفزيون صوت أمريكا العديد من الرسائل الغامضة من الجمهور الإيراني على هذه المقابلة.

دليل آخر على عدم موضوعية وقلة نزاهة تليفزيون صوت أمريكا، وهو بعض المقابلات واللقاءات التي يتم إجراؤها مع فرح بهلوي الملكة السابقة لإيران، وهي اللقاءات التي يتم فيها توجيه النقد للنظام الإيراني، ولكنها لا تتعرض أبدًا للأسباب التي أدت إلى إبعاد الشاه وقيام الثورة، خاصة الأسباب المتعلقة بحقوق الإنسان والديمقراطية، ومن المعروف أنه مع بداية السنة الإيرانية وبدء عيد النوروز يقوم التليفزيون الإيراني باستضافة بعض المسئولين لتوجيه رسالة للمواطنين. ولكن قام تليفزيون صوت أمريكا في اليوم الأول من السنة الإيراني (21 مارس 2007) باستضافة رضا بهلوي في برنامج يطلق عليه (السابعة صباحًا) وكان من المفترض أن يستضيف هذا البرنامج ثلاثة ضيوف ويجري بينهم نقاش ولكن استضاف البرنامج رضا بهلوي فقط، وطلب منه أن يوجه رسالة للمواطنين في العام الجديد، وذلك باعتباره مسئول وليس ناشط سياسي، هذا بالإضافة إلى التنويه له وتقديمه على أنه (أمير)، هذا النوع من المقابلات قد ينقل لإدراك الإيرانيين أن الولايات المتحدة تخطط لإعادة الحكم الملكي مرة أخرى لإيران. هذا بالإضافة إلى العديد من البرامج التي يذيعها التليفزيون بالفارسية والتي تقود الجمهور الإيراني إلى الاعتقاد أن الولايات المتحدة تدعم فترة ما قبل الثورة.

مثال آخر على استضافة صوت أمريكا لشخصيات غير مناسبة كان (أمين مو فهدي) وهو شخصية مجهولة قامت القناة باستضافته مرتين في يوم واحد، وتم تقديمه على أنه صحفي وناشط في مجال حقوق الإنسان، غادر إيران مؤخرًا، لكنها لم تذكر لأي مؤسسة ينتمي في مجال الصحافة أو أي منظمة حقوق إنسان. كما أنه لم يعرض ما لديه من أفكار وموضوعات بشكل موضوعي وموثق، وإذاعة صوت أمريكا تحاول أن تقدم النشطاء في مجال حقوق الإنسان الإيراني كجزء من المعارضة، ولكنها يجب أن تلتزم في الوقت نفسه بمعايير ومبادئ الصحافة والسياق السياسي الإيراني.

أخيرًا، المراقب والمتابع الجيد لتليفزيون صوت أمريكا يجد أن القناة تشجع الوجوه الشابة وتقوم بحقن دماء جديدة من الصحفيين الإيراني الذين تركوا إيران وهنا نرى أن الاستمرار في هذه السياسة سوف يفيد في تعديل مسار القناة وزيادة قدرتها في القيام بدورها.

الموقع الإلكتروني لوزارة الخارجية باللغة الفارسية:

قام موقع وزارة الخارجية الأمريكية على الإنترنت بإضافة اللغة الفارسية إلى الموقع وفي رسالته الافتتاحية للشعب الإيراني أكد كولن باول وزير الخارجية السابق أنه يتمنى أن "ينظر لهذا الموقع الإلكتروني على أنه بادرة صداقة من جانب الولايات المتحدة للشعب الإيراني"، وأن "يكون هذا الموقع مصدر جيد للمعلومات حول السياسة الأمريكية تجاه إيران."

الملاحظ أن أغلب زوار هذا الموقع يبحثون عن المعلومات المتعلقة بالتأثيرات والأمور العملية الأخرى، وعدد قليل منهم ينظر لهذا الموقع كمصدر للمعلومات حول السياسة الأمريكية تجاه إيران.

والملاحظ أيضًا على هذا الموقع أنه لا يجمع أخبار باللغة الفارسية لكن ما يوجد على الموقع الفارسي للوزارة هو ترجمة للنسخة الإنجليزية. أضف إلى هذا أن المترجمين ليس لديهم إلمام كافٍ باللغة الفارسية، ولهذا فإن المتابع لهذا الموقع يدرك أن الأخبار مترجمة من الإنجليزية للفارسية دون أن تتوافر في هذه الترجمات الطعم أو النكهة الفارسية. وهذه المشكلة سوف تظل قائمة إذا لم يتجه القائمين على موقع وزارة الخارجية إلى استقدام مترجمين لديهم القدرة والإلمام باللغة الفارسية ومفرداتها المعاصرة.

الدبلوماسية الأوروبية العامة تجاه إيران:

الأوربيون لديهم تاريخ طويل في التعامل الدبلوماسي مع إيران، وتبقى محطة (دي دبليو) الفارسية الألمانية شاهدة على ذلك، حيث تعد أقدم محطة إذاعة فارسية خارج إيران، حيث أنشئت في النصف الأول من عشرينيات القرن الماضي. أيضًا بدأ راديو (بي.بي.سي) الفارسي إرساله منذ أكثر من ستة عقود، كما أطلق القسم الفارسي لراديو (انترناشيونال) في فرنسا منذ حوالي أربعة عشر عامًا.

وتعد محطة الإذاعة الفارسية الأجنبية الأكثر شعبية هي الـ(بي.بي.سي) والعديد من المحللين المعاصرين والمؤرخين يرى أن خدمة الـ(بي.بي.سي) الفارسية لعبت دورًا هامًّا أثناء الثورة الإيرانية عام 1979، ما أن الإذاعة بعد الثورة قامت بتطوير نفسها، فلم يقتصر دورها على تقديم الأخبار والترجمات الإنجليزية للفارسية ولكنها قامت بإنتاج مواضيع هامة باللغة الفارسية تهم المواطن والمستمع الإيراني.

في السنوات الأخيرة ونظرًا للضغوط الكبيرة التي مارستها السلطات الإيرانية ضد الصحفيين قامت الـ(بي.بي.سي) الفارسية بضم عدد كبير منهم وأصبح إرسال الـ(بي.بي.سي) الفارسية متميزًا، حيث وصل إلى ست ساعات

يصل به حوالي خمسون موظفًا (فريق راديو فردا في براج أقل من ثلاثين، وفريق واشنطن حوالي عشرة)، وأصبح موقع الـ(بي.بي.سي) الفارسي على الإنترنت الأكثر شعبية، ويضم موقع الأخبار الإلكتروني الفارسي حوالي ثلاثون موظف (موقع فردا الإلكتروني يضم ستة صحفيين)، ما يحاول الموقع توسيع برمجته استعدادًا لإطلاق محطة التليفزيون في عام 2008، ورغم أن ميزانية الـ(بي.بي.سي) حكومية إلا أن الحكومة لا تتدخل في محتوى البرامج. هذه السياسة أعطت للإذاعة قدرًا كبيرًا من الاستقلالية، كما أن الـ(بي.بي.سي) احترمت المعايير الصحفية إلى حد كبير، ورغم هذا لا يمكن مقارنة الخدمة الفارسية بالخدمات الأخرى التي تقدمها الـ(بي.بي.سي) باللغات الأخرى، فبسبب نقص خبرة وقدرة بعض الصحفيين الإيرانيين تعجز الـ(بي.بي.سي) الفارسية في تقديم الخدمة بنفس مستوى باقي اللغات الأخرى.

والملاحظ المهمة هنا هي أن خدمة الـ(بي.بي.سي) الفارسية الآن لا يمكن مقارنتها بما كانت عليه منذ عشر سنوات، فأكثر من نصف الصحفيين الموجودين الآن في الخدمة الفارسية يفتقر إلى المهارات الصحفية ولديه خلفية ضعيفة حول مهارات الاتصال والمعرفة السياسية بإيران والشئون الدولية. لتلك الأسباب لا يمكن ادعاء نفس السمعة التي كانت تمتلكها الخدمة الفارسية منذ عشر سنوات تقريبًا، ورغم ذلك مازالت الخدمة الفارسية للـ(بي.بي.سي) الأكثر وثوقًا بها، ومن أفضل أجهزة الإعلام الفارسية الأجنبية القادرة على جذب النخبة والجمهور الإيراني رغم انخفاض عدد المستمعين بشكل كبير في السنوات الأخيرة.

أما الراديو الألماني والفرنسي فإنهما يعانيان من سيطرة إيقاع وأسلوب الصحافة القديمة، فالعديد من العاملين في هاتين المحطتين من الذين تركوا إيران منذ فترة طويلة وأصبحوا منعزلين عما يدور داخل إيران.

الميزة الهامة التي تجمع بين الثلاث محطات الأوروبية السابقة هي أنهم الثلاثة يحاولون تحقيق الاستقلال عن توجهات الحكومات التابعين لها، كما يحاولون تقديم ثقافة دولهم الأوروبية للإيرانيين، وإقامة جسر ثقافي بين إيران وأوروبا.

هناك العديد من الدول والحكومات التي توجه إذاعتها لإيران، مثل روسيا، تقدم ساعتين يوميًّا، الصين، ساعة واحدة ونصف، وغيرها. ولكن قلة المهارة والخبرة لدى هذه المحطات تجعلها عاجزة عن الوصول للإيرانيين.

وتحاول هذه الإذاعات الترويج لثقافاتها وعاداتها الاجتماعية، وتركز هذه الإذاعات أيضًا على علاقات بلدانها الخاصة مع إيران، من بين محطات الإذاعة

الفارسية المدعومة من الدول الأجنبية تأتي إذاعة إسرائيل من بين أفقر الإذاعات جذبًا للإيرانيين، وذلك بسبب التحيز في عرض الأخبار وتقديم التحليلات الضعيفة، أضف إلى هذا أن البرامج الترفيهية التي تقدمها هذه الإذاعة لا تناسب الجيل الصغير من الإيرانيين.

وسائل الإعلام الفارسية الخاصة خارج إيران:

منذ بداية الثورة الإسلامية في إيران قام العديد من الأفراد والجهات مثل جماعة مجاهدي خلق، والملكيين، بالإضافة على أفراد آخرين ينتسبون إلى أحزاب سياسية، قاموا بإنشاء محطات تليفزيونية وإذاعية خارج إيران.

في الولايات المتحدة (خاصة في لوس أنجلوس)، هناك أكثر من عشرون تليفزيون ومحطة إذاعية تذاع برامجها لإيران عن طريق القمر الصناعي.

في الغالب تقوم محطات الإذاعة الخاصة بتكريس نفسها لتقديم خدمات ترفيهية مثل (تابش) وقنوات (رانج أرانج) على أية حال لا تراعي مثل هذه المحطات المعايير الصحفية في تقديم برامجها. فأغلب هذه المحطات تستخدم أسلوبًا ولغة قاسية وأسلوب يميل إلى العدوانية.

بعض هذه المحطات تذاع من قبل المضيف الوحيد، مثل (Hakha) :وهو الاسم المستعار الذي اختاره صاحب هذه المحطة، حيث يقوم بالسخرية والاستهزاء من النشطاء والصحفيين الإيرانيين، ويقدم توقعات حول سقوط النظام الإيراني، بل ويقدم في بعض الأحيان تواريخ محددة لذلك. ولكن مثل هؤلاء الأشخاص ليس لديهم لغة جيدة، كما لا يمتلكوا معرفة تامة بالشئون الإيرانية والدولية.

فبرامج هذه المحطات قد تستمر لساعات طويلة، ولكنها لا تجذب سوى عدد محدود من الإيرانيين، كما أن هذه المحطات تستعمل اللغة الفارسية التي كانت سائدة قبل الثورة، الأمر الذي لا يساعدها على جذب الشباب الإيراني إلى صفوف المعارضة.

خاتمة:

يجب على الولايات المتحدة أن تكون أكثر فعالية في الوصول للإيرانيين إذا أرادت تأسيس ونشر قيمها السياسية والترويج للديمقراطية، وحقوق الإنسان، وإصلاح صورتها أمام دول العالم، كل هذا سيتطلب من واشنطن مراجعة، وبسرعة، دبلوماسيتها العامة نحو إيران، والبحث في الأسباب التي تؤدي إلى سوء الفهم بين الولايات المتحدة وإيران. ونظرًا لأن الآليات المستخدمة غير متطورة على المستوى النظري، فإن الصعوبة تتزايد على المستوى العملي وهو الأمر الذي

يتطلب اتخاذ قرارات أساسية تتجاوز مستوى الخلافات الأساسية، والمشكلات والقضايا المحلية، واحترام المصلحة الوطنية للولايات المتحدة في المنطقة.

ولهذا في حالة الاتجاه إلى تحسين هذه الصورة يجب على الولايات المتحدة أن تسمح لراديو فردا وصوت أمريكا وغيرها أن تحصل على قدر أكبر من الحرية والاستقلالية في عرض الأخبار، وذلك من أجل كسب ثقة الجمهور الإيراني، كما يجب على هذه المحطات الالتزام بالمعايير الصحفية في عرض الأخبار، هذه بالإضافة إلى الدور الذي يجب أن يقوم به "مجلس أمناء الإذاعات الدولية الأمريكية "BBG في استقدام محررين وصحفيين على مستوى عالٍ من الكفاءة وعدم التدخل بشكل كبير في عمل هذه المحطات كما يجب العمل على زيادة الميزانيات المعتمدة لهذه المحطات واستبدال العاملين غير المؤهلين بآخرين لديهم خلفية ودراية كافية بالشئون الإيرانية والدولية.

أما تليفزيون صوت أمريكا فهو نموذج للمنظمة المعقولة من ناحية الإدارة الموحدة ولكنه يحتاج إلى جهد كبير في نواحي أخرى، خاصة في مجال استقدام والتعاقد مع مذيعين جدد محترفون ولديهم القدرة على الفصل بين الدعاية والتليفزيون الموضوعي.

نقطة أخيرة تتعلق بالدعم الأمريكي لمحطات الإذاعة الفارسية الأجنبية والأفراد الموجودين في الخارج، وهي أن بعض هؤلاء الأفراد قد تكون لديه أجندة مختلفة عن الأجندة الأمريكية، صحيح أن هؤلاء الأفراد قد يكونوا معادين للنظام الإيراني، ولكنهم في الوقت نفسه لا يشترط أنهم يؤمنون بالبديل الديمقراطي، ولهذا فإن الدعم المالي الذي تقدمه الولايات المتحدة لهؤلاء الأفراد قد يشوه الصورة الأمريكية بدون تحقيق مصالحا في المنطقة.

التعقيب:

تأتي هذه الدراسة في إطار الدراسات الأمريكية والتي نشطت مراكز البحوث في إصدارها حول الحرب النفسية والإعلامية بين الولايات المتحدة وإيران.

وثمة حقيقة هامة لا يمكن تجاهلها في الفترة الراهنة في مجال العلاقات الدولية تتعلق بالدور الهام الذي تؤديه وسائل الإعلام المسموعة والمقروءة والمرئية في تحديد وحسم العلاقات بين الدول. وكما يؤكد البعض يجب اعتبار أن الإعلام والاتصال له قدرة فائقة على تشكيل الوعي وإدارة المواقف، وبات الاتصال من أهم أدوات الصراع بين الدول، ناقلاً لعناصر القوة في الدول وعاكسًا لها.

وهناك مقولة هامة أثبتها التاريخ وأحداث الحاضر تقول "بأنك إذا ما أردت مسرحًا للأعمال العسكرية فغالبًا ما تحتاج لما يسمى في الخطط العسكرية بالتمهيد النيراني وهي الشيء نفسه الذي تحتاجه لتقود مجتمعًا إلى الحرب عبر تكتيك الدعاية" وربما تكون هذه المقولة هي ما تسعى الولايات المتحدة إلى تبنيها وتطبيقها في الفترة الراهنة خاصة مع إيران.

وقد مارست الولايات المتحدة من قبل هذه الاستراتيجية مع أنظمة عديدة لعل أشهرها وآخرها نظام صدام حسين، فقبل الاحتلال الأمريكي للعراق امتلأت وسائل الإعلام الأمريكية والغربية بتقارير وتحليلات حول أسلحة الدمار الشامل العراقية وعلاقة نظام صدام حسين بالقاعدة وانتهاك حقوق الإنسان داخل العراق وغيرها من المبررات التي حاولت الولايات المتحدة من خلالها حشد المجتمع الدولي خلفها في حربها التي كانت قد خططت لها مع العراق.

والآن، نجد أن الولايات المتحدة تزيد من حجم هذا النشاط الدعائي مع إيران من خلال تدشين العديد من القنوات والمحطات الفضائية الناطقة باللغة الفارسية والموجهة لإيران، ويبدو أن الولايات المتحدة تدرك أن هناك صعوبة كبيرة في الظروف الراهنة في القيام بعمل عسكري مباشر ضد إيران، وذلك لأسباب كثيرة منها التورط الأمريكي الراهن في المستنقع العراقي، بالإضافة إلى رفض دول الخليج لهذه الحرب لخوفهم من آثارها البيئية والعسكرية على دولهم. ولهذا كان على الولايات المتحدة بالخيار الآخر، وهو الحرب الإعلامية.

وعند الحديث عن خبرة الولايات المتحدة مع الحرب الإعلامية نجد أنها خبرة طويلة، حيث استطاعت الولايات المتحدة استخدامها بنجاح مع بعض القوى في الماضي، لعل أشهرها فترة الحرب الباردة، حيث لعبت الإذاعات الموجهة تحت الرعاية الأمريكية دورًا تحريضيًّا لشعوب الكتلة الشرقية.

وجاءت حرب الخليج الثانية، مثالاً آخر لهذه الحرب الإعلامية، حيث الدور الهام الذي لعبته محطة (CNN) التليفزيونية والتأثير الهام الذي أحدثته داخل الولايات المتحدة وخارجها من خلال مخاطبة النخبة والعامة مستعينة بالصور المؤثرة.

وربما وجدت الولايات المتحدة أن في هذه الأسباب ما يساعدها على التخلص من النظام الإسلامي في إيران الذي لم تفلح معه كل المحاولات الأمريكية منذ تأسيسه عام 1979، بل أصبح هذا النظام أكثر قوة، وأصبحت إيران رقمًا صعبًا في معظم ـ إن لم يكن كل ـ الملفات الإقليمية.

ناقشت الدراسة وعرضت لأهم الإذاعات الفارسية الأجنبية، ومنها إذاعة (فردا)، والتي تأتي تقليدًا للإذاعة العربية (سوا)، والتي بدأت البث للعالم العربية في مارس 2002، وقد ساقت الإدارة الأمريكية لإطلاق هذه الإذاعة عدة مبررات أهمها الكلمات التي ألقاها جورج بوش في خطابه الافتتاحي لانطلاق إذاعة (فردا) يوم 2002/12/21، حيث قال: "نحن نخدم طيفًا أكبر من الإيرانيين عبر نشر الأخبار والموسيقى والتقارير الثقافية خلال 24 ساعة، ونحن نستمر في وقوفنا مع الشعب الإيراني في سعيه للحصول على الحرية والتقدم وحكومة صادقة ومؤثرة ونظام قضائي عادل وحكومة القانون."

من الواضح من كلمات الرئيس بوش أن الهدف الحقيقي للقناة هو العمل على القضاء على الحكومة الإيرانية وإرساء حكومة جديدة تخدم المصالح والقيم الأمريكية. والدليل على هذا أن إذاعة (فردا) جاءت كامتداد طبيعي لإذاعة أوروبا الحرة التي شكلت السلاح الإعلامي القوي للمعسكر الغربي أثناء الحرب الباردة، وكان لها دور كبير في إحداث الثورات الشعبية ضد الحكومات الشيوعية في أوروبا الشرقية في أواخر الثمانينيات، ومع انتهاء الحرب الباردة لم تتخل الولايات المتحدة عن هذه الوسيلة الدعائية واستمرت في تمويلها بـ 25 مليون دولار سنويًّا لضمان نشرها بـ 27 لغة من لغات أوروبا الشرقية وآسيا الوسطى، من صمنها الفارسية.

وهنا يأتي الحديث عن فكرة الثورة من الداخل التي تحاول الولايات المتحدة تنفيذها في إيران من خلال إقامة جسور اتصال مع الأقليات الإيرانية خاصة الأقليات ذات الأصول العربية مثل الأهواز، ولعل الأحداث التي شهدها هذا الإقليم خلال السنوات الماضية رشحته ليحتل مكانة كبيرة في عقل الإدارة الأمريكية ليكون منطلقًا لتحقيق الرغبة الأمريكية في إسقاط النظام الإيراني بأقل التكاليف من خلال الاعتماد على تذمر ومعارضة القوى الداخلية، هذا بالإضافة إلى تقديم الدعم لقوى المعارضة.

دبلوم الشؤون الدولية والدبلوماسية

الهدف

تأهيل كوادر نوعية متخصصة، للعمل في مجال الشؤون الدولية والدبلوماسية، من خلال زيادة معارفهم ومعلوماتهم، وتطوير أدائهم العملي في العمل، باستخدام أحدث المعايير الدولية في مجالات التدريب، حيث سيتمكن المتدربين من تحقيق أعلى درجات التفاعل في العمل السياسي والدبلوماسي والقانوني الدولي، والقدرة على التواصل مع العاملين في المجال الدبلوماسي بحرفية ومهنية عالية، مما سيرفع القيمة المضافة لمؤسساتهم في مجال عملها.

المحتوى الدراسي

المحور الدبلوماسي والسياسي :يركز البرنامج على تدريس المقررات التي تغطي مختلف جوانب العمل السياسي والدبلوماسي، خاصة ما يتعلق منها بنظريات السياسة الخارجية، وفن الدبلوماسية المعاصرة، والسياسة الخارجية العامة للأحزاب، وفن التفاوض.

المحور القانوني الدولي والمنظمات الدولية :يولي البرنامج اهتماماً خاصاً للقانون الدولي والمنظمات الدولية، مع الحرص على تدريس جميع المقررات التي تغطي الجوانب المختلفة في هذا المجال، خاصة ما يتعلق منها بالقانون الدولي، والمنظمات الدولية، والقانون الدستوري، وقانون فض النزاعات المسلحة، والقانون الدولي الجزائي والمعاهدات الدولية.

المحور الإداري والاقتصادي :لما كان الدبلوماسي بحاجة إلى تأهيل إداري واقتصادي مناسب، يحرص البرنامج على تغطية هذه الجوانب المهمة، من خلال تدريس مقررات عدة أبرزها: (علم الإدارة العامة - علم الاقتصاد ونظرياته)

المحور الإعلامي والاتصالي :نظراً لتزايد أهمية الإعلام والاتصال الجماهيري في العمل الدبلوماسي ضمن أنشطة المنظمات الدولية، فإن البرنامج يغطي هذا المجال بشكل كامل، عبر تدريسه مختلف المقررات، التي تزود الدارس بالمهارات الاتصالية والإعلامية المناسبة، وأبرزها: (مهارات الاتصال – مهارات خاصة في العرض والتقديم - مهارات التواصل مع وسائل الإعلام – مهارات التحرير والكتابة الدبلوماسية والإعلامية – مهارات العلاقات العامة، والإعلام السياسي)، وذلك إضافة إلى تدريس مقرر (المراسم والبروتوكول)، نظراً لأهمية هذا الجانب في حياة الدبلوماسي وعمله.

النتائج المتوقعة

يتوقع أن يمتلك الملتحق بدبلوم الشؤون الدولية والدبلوماسية الأساس العلمي، والسياسي، والاقتصادي ، والإداري والإعلامي الذي يؤهله للعمل في مختلف المجالات الدبلوماسية، جميع المنظمات الدولية الحكومية وغير الحكومية.

الشهادة

يمنح الخريج شهادة صادرة ومصدقة من المعهد العربي للشؤون الدولية والدبلوماسية. كما يمنح شهادة في إدارة التفاوض والوساطة وحل النزاعات صادرة عن جورج ميسون الأمريكية

الدراسة

يُجري الدارس أبحاثاً شخصية (ثلاث أبحاث) يتطلب إعدادها 400 ساعة دراسية ذاتية كحد أدنى، تتضمن تقديم الأبحاث والوظائف ومشروع التخرج المؤلف من 6000 كلمة.

على الدارس الاستفادة من المراجع المعتمدة التي تساعده على تطوير قدراته التحليلة والنقدية لمفاهيم الشؤون الدولية والدبلوماسية, ونظريات السياسة الخارجية وأشكالها وتطبيقاتها.

مزايا الدراسة

- ✓ يعطى الدارس كلمة مرور لموقع الأكاديمية السورية تمكنه الدخول إلى منشورات الأكاديمية.
- ✓ تدريب ميداني للدارسين في الهيئات والمنظمات الدولية الحكومية وغير الحكومية.
- ✓ حضور نشاط الطاولة المستدير ة الذي تقيمه الأكاديمية بصورة دورية.
- ✓ جولات ميدانية على الهيئات الحكومية العربية للوقوف على طبيعة عملها.

مدة الدراسة

تستمر الدراسة في الدبلوم لمدة سنة دراسية كاملة بمعدل (400 ساعة دراسية وتدريبية .

ينفذ برنامج الدبلوم في سورية عبر الأكاديمية السورية الدولية ش.م.م/ الوكيل الحصري للبرنامج في المنطقة العربية.

الخيار الثاني الدراسة المكثفة

اللقاء الأول التمهيدي

- ✓ دراسة وتدريب لمدة 6أيام بمعدل 6 ساعات يومياً.
- ✓ تسليم الدارسين التكليف الخاص بالبحث الأول موضوعين (كل موضوع 2000 كلمة.
- ✓ مدة التحضير للقاء الثاني 45 يوم (الدراسة وإعداد الأبحاث).
- ✓ اللقاء الثاني (مناقشة الأبحاث)
- ✓ تقديم البحث الأول Reasoning Test) مع عرض لمدة 15 دقيقة Presentation.
- ✓ دراسة وتدريب لمدة 6 أيام بمعدل 6 ساعات يومياً
- ✓ إعلان نتائج البحث الأول
- ✓ تسليم الدارسين التكليف الخاص بمشروع التخرج 6000 كلمةفترة للدراسة وإعداد البحث الثاني – 60 يوماً.

اللقاء الثالث الامتحان ومناقشة مشروع التخرج

- ✓ تدريس وتدريب لمدة أربعة أيام بمعدل 6 ساعات يومياً.
- ✓ تقديم مشروع التخرج مع عرض لمدة 15 دقيقة.Presentation
- ✓ امتحان بالمواد الأساسية (5 مواد دراسية).
- ✓ استراحة لمدة يومين لغاية إعلان النتيجة النهائية.

دبلوماسية الكراسي وصناعة العداوات

تصريح بريطاني "كنا نحسب ألف حساب لرجال السلك الدبلوماسي العراقي في زمن صدام حسين لما عهدناه من كياسه وخلق عال ورفيع لمن يمثلون العراق آنذاك."

الحديث عن الدبلوماسية في العراق المحتل حديث مرٌ كمرارة العلقم، ويحز في النفس البشرية، ومع هذا لا يمكن بأي حال من الأحوال فصله أو عزله عن الوضع العام الذي يعيشه العراقيون. وهو وضع لا يدعو إلى التفاؤل على أقل تقدير خلال عقود قادمة. وليس هذا التخمين ناجم عن رؤية شخصية سوداوية لمستقبل العراق بقدر ما هو إستقراء مبني على أسس منطقية لا تقبل الشك والجدل. لأن تجارب الشعوب أثبتت قطعا بأنه مهما كان مستوى الخراب والدمار الذي يلمّ

بالدول سيما تلك التي خاضت حروب شرسة، فإنه يمكن إعادة تعمير البلد خلال عقد او اكثر إذا لم يخرب البشر. وهناك الكثير من الشواهد التي يمكن الإستدلال بها خلال الحربين العالميتين وما بعدها. مع الأخذ بنظر الإعتبار تحسين الوضع النفسي والإجتماعي للمجتمعات نفسها لفترة بعد الحرب. فكل شيء يمكن بنائه وإعادة تعميره بسهوله وخلال فترة قصيرة إلا الإنسان نفسه. فهو يحتاج إلى عدة عقود لإعادة بنائه وتأهيله كعنصر إيجابي في المجتمع.

لذلك فإن مشكلة العراق هي مشكلة الإنسان العراقي الذي غرق في مستنقع الطائفية والعنصرية والمصلحية والعشائرية والإنتهازية فسُحقت الهوية الوطنية وإرتقت الهوية الطائفية والعنصرية. وبطبيعة الحال فهذا الأمر لم يأتِ إعتباطا والدليل على ذلك أن البلدان التي شهدت الحروب الضارية لم تعانِ من المشاكل الإجتماعية التي يعاني منها الشعب العراقي في الوقت الحاضر. إسحق شخصية المواطن تسحق بذلك شخصية الوطن. خرب عقل المواطن تخرب ذاكرة الوطن. إزرع الجهل والأمية تحصد التخلف والظلم. إنشر الجوع بين الناس تضمن طاعتهم العمياء.

وزارات الخارجية في كل دول العالم المتحضرة منها والمتخلفة تضم النخب الإجتماعية والثقافية. وعتبة الوزارة محصور دخولها على حملة الشهادات العليا والمتنورين ثقافيا وحضاريا واصحاب الوعي الوطني الصميمي، علاوة على بقية المؤهلات المطلوبة كالكفاءة والذكاء وتعدد اللغات واللياقة والجسامة والقدرة على النقاش وقابلية التفاوض والإقناع ومعرفة البروتوكول بكل تفاصيله الدقيقة والإلتزام بالتعليمات الدولية (نصوص إتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية والقنصلية) وكذلك الإلتزام بالأنظمة والتعليمات التي ترسمها الوزارة. وهذه المواصفات العديدة والصعبة نوعا ما، من الصعب أن تتوفر عند كل شخص. لذا فأن الدبلوماسيين بشكل عام قلة لأن النخبة دائما قلة. كما إن الوزارة تتعب جدا في إختيار من يعمل في هذه الحقل الحيوي وتبذل جهودا جبارة في تأهيلهم للعمل الدبلوماسي. وترهقهم أيضا بالدورات الدبلوماسية واللغوية والأمنية وإمتحانات الكفاءة والترقية، فأي درجة دبلوماسية لا يرتقيها الدبلوماسي إلا بعد إمتحان عسير. بمعنى يبقى الدبلوماسي طالبا ومطالبا بالإمتحانات والنجاح لحد الوصول إلى درجة وزير مفوض.

ووزارة الخارجية العراقية أبان الحكم الوطني السابق كانت شديدة وصارمة في تنفيذ تعليماتها ولم يُستثنى من تلك التعليمات إلا عددا لا يتجاوز اصابع اليد الواحدة. على سبيل المثال إن أحد كبار الإعلاميين في وزارة الإعلام وكان قريبا من السيد وزير الخارجية حينذاك طارق عزيز تمت إستعارة خدماته للعمل في

وزارة الخارجية بتزكية من الوزير نفسه، على أن يخضع لأمتحان الكفاءة في اللغة الإنكليزية أو الفرنسية. ولم يتمكن الإعلامي المرموق من النجاح في الإمتحان، فإعتذر الوزير عن قبوله وأعيدت خدماته لوزارة الإعلام. كذلك تم قبول مصعب عبد الجبار محسن المستشار الإعلامي السابق لرئيس الجمهورية في الوزارة بقرار من رئيس الجمهورية وذلك بإستثنائه من ضوابط القبول في وزارة الخارجية بإستثناء الإمتحان وقد أداه مصعب بنجاح ولم تكن عنده مشكلة فيه لأنه أصلا مهندس طيران. وهو والحق يقال في قمة الأخلاق واللياقة والمواصفات التي تضمن له النجاح في العمل الدبلوماسي. لكنه لم يتمكن من الصمود بسبب ضوابط الترقية والعمل في الخارج علاوة على الدورات المكثفة والمستمرة. وآخر كان يشغل منصب مدير ناحية وقدم طلبا لرئيس الجمهورية مبديا رغبته في العمل في وزارة الخارجية، لكنه أيضا لم يصمد طويلا. لذا لم يكن العمل في الوزارة سهلا مطلق،ا صقل وتجديد دائم للمهارات العقلية. ولهذا السبب انجبت وزارة الخارجية العراقية نخبة رائعة من ألمع الدبلوماسيين، ما زالت الدبلوماسية الدولية وليس العراقية فحسب تشيد بهم وبكفائتهم، مثل نزار حمدون ووسام الزهاوي ورياض القيسي واكرم الوتري وفاروق زيادة وبسام كبة والمئات غيرهم. حتى السفراء الذين جاءوا من وزارات أخرى فإن معظمهم قد أبدع في عمله وكان عند حسن الظن. أو نُقل إلى وزارة أخرى تناسب مؤهلاته وإمكانياته.

ومنصب وزير الخارجية ليس منصبا هينا يمكن لأي كان القيام به، رغم دوره كمنفذ وليس كمشرع لسياسة البلد الخارجية، إنه يمثل المسؤولية بأخطر صورها والتعب الدائم والتوتر الملازم والسهر واليقظة والعمل الدؤي والمتابعة المستمرة للأخبار وكل صغيرة وكبيرة تحدث داخل البلد وخارجه. وقد أخبرني أحد الدبلوماسيين ممن عمل في مكتب السيد الوزير محمد سعيد الصحاف لفترة طويلة، بأن السيد الصحاف لا ينام أكثر من أربع ساعات يوميا. يأتِ الوزارة الساعة الثامنة والنصف صباحا ويغادر الساعة الرابعة عصرا، ويأتِ ثانية الساعة السابعة مساءا لغاية الساعة الواحدة او الثانية صباحا وهكذا دواليك. قال هذا الدبلومامسي أتعبنا الوزير الصحاف جدا وأتعب نفسه أكثر، لكنه تعب مثمر. هذا الوزير المجاهد لم يك له حماية سوى شخص واحد فقط (سيد هاشم) كان الحماية والمرافق وكل شيء. وبعد عدة سنوات رأف الوزير بحاله ففاتح الرئاسة لطلب مرافق آخر. بالطبع لا تصلح المقارنة بين الوزير الصحاف وأي وزير من وزراء الإحتلال بأي شكل من الأشكال. لكن قارن بين عدد مرافقين وحراس الوزراء الحاليين بوزراء العهد الوطني لترى البون الشاسع.

هكذا كان حال الوزارة، وهكذا كان حال الوزراء والدبلوماسيين، كتلة ملتهبة من الوطنية والنزاهة والذكاء والعمل والإبداع والإنضباط والأخلاق الرفيعة.

صحيح هناك بعض المشاكل التي حصلت هنا وهناك لكنها لا تقارن بما يحصل الآن، ومعظمها كان بسبب الإحتكاك بين الدبلوماسيين والحراس (رجال المخابرات). ومن المؤسف أن تُغتال الدبلوماسية كما أغتيل الوطن. كان للوزير هوشيار زيباري موقفا طيبا في إحتضان بعض الدبلوماسيين القدامى وهم عدد محدود جدا لا يشكل حاليا 10% من مجموع الدبلوماسيين العاملين في الوزارة. وما يُعيب الوزير هو إضفاء الصبغة الشوفينية على الوزارة بكثرة عدد الأكراد. وعدم قدرته على كبح جماح المتهورين والمسيئين بسبب حماية الأحزاب الحاكمة لظهورهم. مما شجع على تسيبهم وتمردهم ووقاحتهم.

لذا لم يكن مستغربا أن يوعز السفير العراقي في بخارست لحراسه بضرب الشخص الثاني في السفارة ضربا مبرحا. وأعفى السفير والمعتدون من العقوبة ونقل الشخص الثاني إلى السفارة العراقية في عمان كترضية، لأن الزيباري ليست له سلطة على سفرائه بما فيهم الأكراد من غير حزبه. ولم يك من المستغرب أن يبيع دبلوماسي عراقي دعوة حفلة زواج دوق كامبرج الأمير وليم لدبلوماسي من دول الخليج. أو إن يجعل السفير في اليونان من محظيته السكرتيرة الأجنبية الشخص الثاني في السفارة تأمر وتنهي. ولم يك من المستغرب أن يصفع دبلوماسي عراقي ضابط مصري في مطار القاهرة بكل وقاحة. ولم يك من المستغرب أن يصحب ممثل العراق الدائم في الأمم المتحدة أحدى محظياته (زوجة متعة) لمقر إقامته.

ولم يك من المستغرب أن يمثل سفير عراقي في دولة أوربية الطائفة وليس العراق فيجعل من السفارة حسنية في عاشوراء. وسفير كردي آخر يعلق خارطة كردستان بدلا من خارطة العراق على جدار السفارة.

لذا فليس من المستغرب أن يعتدي السفير وأحدى محظياته السفيهات والدبلوماسيون البلطجية على مواطنين أردنيين في عقر دارهم. في سابقة خطيرة لم يشهد لها التأريخ الدبلوماسي العراقي والعربي لها من مثيل.

لكن العتب ليس على الدبلوماسية العراقية فحسب، فالسفير العراقي الدعوجي يحمل جواز سفر إيراني وقد أرسل إلى عمان بالذات بتوجيه مباشر من قبل الخامنئي لينفذ أجندة أسياده الملالي في الأردن الشقيق ويعزز عمل السفير الإيراني في عمان. وهذه ما عبر عنه الجنرال سليماني قائد الحرس الثوري الإيراني بوضوح عندما تحدث عن وجود فعلي لهم في الأردن والكويت. ومن المؤسف أن الحكومة الأردنية لم يكن لها ردُ فعل مناسب على وقاحة سليماني.

من المعروف إن الدبلوماسي لا يمثل شخصه وإنما يمثل وجه بلاده في الدولة المعتمد فيها، لذا فإن أية كلمة يتفوه بها أو عمل أو حركة يقوم بها تُحسب على حكومته وليس على شخصه. ومن هنا يتضح مدى خطورة منصبه والتشدد في إختيار من يتولى تمثيل بلده في الخارج. وهؤلاء الدبلوماسيون البلطجية هم المثل الحقيقي لحكومة البلطجية والميليشيات الإرهابية في العراق. إنهم جزء من العجينة الفاسدة. صراصر تسربت من بالوعة الخامنئي وإنتشرت في كل مكان. لذل ليس من المستغرب أن يرفعوا الكراسي بكل حماقة وسفاهة ليرموها على ضيوف مؤتمرهم المزيف وبحضور السفير العراقي الذي كان كالقواد بين بغاياه. يشجعهم في نبوغهم البلطجماسي وإلتزامهم ببروتوكول البرابرة.

وبقدر ما كان موقف الدبلوماسيين البلطجية معيبا ومخزيا ومنافيا للبروتوكول وأصول الضيافة بقدر ما كان موقف الإردنيين ممن تعرض للضرب موقفا بروتوكوليا وإلتزما يثير العجب والإعجاب. لقد كانوا دبلوماسيين بالسليقة في تصرفهم وأخلاقهم، ولم يدافعوا عن انفسهم ضد البرابرة لأنهم يعرفوا جيدا إن القانون في الأردن قانونا صارما، والقضاء عادل وغير مسيس لأي جهة كما هو الأمر عليه في بلد البلطجية. وهم موقنون بأن القضاء سيعيد لهم حقهم وكرامتهم كموطنين أهينوا في بلدهم بلا وجه حق. ولو كانوا قد تصرفوا مثل الدبلوماسيين البلطجية وردوا لهم الصاع بصاعين لكن موقفهم أضعف.

"ربَّ ضارة نافعة" كما يقول المثل، إنها فرصة ليدرك أشقائنا في الأردن حجم المعاناة العراقية في ظل القيادة الشيطانية لعملاء إيران. وإن كان الدبلوماسيون يتصرفون هكذا فما بالك بالجيش والشرطة والأجهزة الأمنية وعناصر المليشيات تجاه الشعب؟ إن كانوا يتصرفون خارج العراق هكذا فكيف يكون تصرفهم داخل العراق؟ إن كانوا دبلوماسيون ويتصرفون هكذا فما بالك بالوزراء والنواب ورؤساء الاحزاب؟

إن هذه التصرفات الهمجية تفسر همجية الحكومة التي أرسلتهم ليمثلونها في بلد عربي شقيق يحتضن ما يقارب المليون عراقي ممن شردتهم الحكومة وميليشياتها الإرهابية. وربما تلك فرصة نادرة يستفيد منها أشقائنا في الأردن ليعرفوا مدى خطور الدور الإيراني الذي ربى هؤلاء القرود وأرسلهم للعراق. ويتداركوا السرطان قبل أن ينمو في جسد المملكة لا سامح الله وينخر بنسيجها الإجتماعي الرائع. ولكم في العراق عبرة يا أصحاب العقول.

إن إساءة الدبلوماسي في البلد الذي يعمل به وإنتهاكه للقوانين المحلية لا يؤمن له الحصانة من القانون المحلي كما نصت إتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية. ولابد أن يخضع هؤلاء البلطجية إلى العقوبات التي تتناسب وإعتدائهم ليكونوا

عبرة لسواهم. وعلى الأردن المطالبة بإبعاد السفير العراقي ـ الإيراني بإعتباره شخص غير موغوب به. كما إن هذا السفير بعد هذه الحماقة يستحيل عليه أن يعمل في الأردن.

وليعلم إخواننا في الأردن إن إعتذار الوزير الزيباري هو مجاملة بروتوكولية لا تفِ بالغرض. وإن الإخبار المتداولة تؤكد بأن رئيس الوزراء ووزير الداخلية العراقي قد أثنيا على المعتدين وطالبوا بسرعة إعادتهم للعراق، ووعدوهم بأن يمارسوا عملهم الدبلوماسي في بلد أوربي كمكافأة على إنجازهم الباهر!

وإذا إعتذر المالكي خلال مشاركته في مؤتمر دارفوس في عمان عن إعتداء الدبلوماسيين البلطجية. فلا ينسى أشقائنا في الأردن عقيدة التقية التي يؤمن بها رئيس الوزراء ويعمل بها، فإنها تمثل نصف دينه.

وظيفة وسائل الإعلام في المجتمع

ان لوسائل الاعلام أهمية كبيرة في رفع المستوى الثقافي للشعب، وحسن أداء افراده لوظائفهم، وكذلك اكتسابهم القيم الاجتماعية داخلياً كما انّها تعرف العالم بحضارة شعوبها ووجهات نظرها في المسائل العالمية خارجياً. ومع تنوع الوسائل وانتشارها على نطاق واسع تنوعت الوظائف التي تقوم بها في المجتمع.

وأهم هذه الوظائف هي:

1) التوجيه: حيث تستطيع وسائل الإعلام المختلفة اكساب الجماهير اتجاهات جديدة أو تعديل القديم منها، ولكن هذا التعديل في ظل شروط معينة، وهي حسن اختيار المادة الاعلامية وملاءمتها للجمهور المستقبل وتقديمها في ظروف مناسبة.
2) الدعاية: تهتم الحكومات المختلفة باستخدام وسائل الاعلام في الدعاية، ويأتي اهتمام الحكومات من جانبها لتعريف الدول الأخرى بفلسفتها ووجهة نظرها في النواحي الداخلية والخارجية، ويرافق ذلك اهتمام بما تطرحه الدول الأخرى لكي تتفادى خطر وصول شيء لشعبها يشوش الأفكار ويعوق تنمية مواردها الموجهة على وفق أيديولوجيتها النابعة من ظروفها الخاصة.
3) التثقيف: هو زيادة المعرفة بغير الأسلوب الأكاديمي المتبع في المدارس خاصة فيما يتصل بنواحي الحياة العامة، والتثقيف عن طريق وسائل الاعلام دون قصد أو تخطيط سابق، أما عارضاً أو مقصوداً فهو حصيلة اتجاه الفرد إلى وسائل الاعلام وتفاعله معها بهدف معين وبخطة مسبقة ويكون

باتجاهين موجه من قبل مرشد، أو اتجاه حر من خلال رغبة ذاتية لدى الأفراد.

4) التعارف الاجتماعي: فوسائل الاعلام تقوي الصلة الاجتماعية بين الأفراد عن طريق اظهار تعاطفهم في أسلوب رقيق يعبر عن مشاعرهم أو تقديم الشخصيات الشهيرة المحببة إلى نفوس الناس.
5) الترفيه: وهو استخدام وسائل الاعلام المختلفة في تسلية الناس، ولكن ينبغي أن يكون لهذا الترفيه بعد يتجاوز التسلية إلى التأثير في اتجاه فلسفة مرسومة للمجتمع.
6) الاعلان: ومهمة وسائل الاعلام هنا هي تعريف الجماهير بالسلع المختلفة، ومكانها، وكذلك حثهم على تجربتها وشرائها.

وعلى الرغم من أهمية الوظائف المذكورة أعلاه والدور الكبير الذي تؤديه في حياة المجتمع إلا أن بعضها قد يكون أكثر أهمية، ودورها أكثر وضوحاً في ظل التطورات الإنسانية كالتوجيه والتثقيف والاعلان.

فوسائل الاعلام تعمل على جذب الجمهور من خلال توجيهه باتجاهات معينة مخطط لها، ويأتي هذا التوجيه بمقدار ما لدى الجمهور في المجتمع من ثقافة ودراية بالعديد من القضايا والأفكار والمعلومات. أما الاعلان فتكمن أهميته في ارتباطه المباشر بالجانب التجاري وبقوانين العرض والطلب والحد الأقصى من الربح، إلى الدرجة التي تؤدي إلى خلق نموذج ثقافي استهلاكي عالمي الذي بدوره قد يؤدي إلى تهديد الثقافات القومية من خلال بزوغ أنماط سلوكية وثقافية جديدة في المجتمع.

وعليه ينبغي إضافة الإمكانيات التي أصبحت متاحة بفضل تكنولوجيا الاتصال الحديثة للاستفادة منها في المجتمع، لدعم الوظائف الرئيسية التي تقوم بها وسائل الاعلام، فلقد الغت تكنولوجيا اقمار الاتصال عنصري الزمان والمكان مما سهل عملية التواصل الآني بين أجزاء العالم المختلفة. كما سهلت عملية نقل البيانات والمعلومات لتحقيق أهداف تجارية، تنعكس آثارها على الدول المتقدمة والنامية على السواء.

علاوة على ذلك فقد زادت من التطور الكمي والكيفي في أدوات الانتاج الاعلامي والثقافي وشبكات توزيع المادة الاعلامية والثقافية، واستحداث وسائل للتعليم الذاتي والتعلم عن بعد.

إنّ هذه الوظائف الرئيسية والمساعدة تعمل على حمل المجتمع إلى برّ الأمان والتطور والتقدم والنمو، ولكن يجب أن يكون التحرك بالاتجاه الإيجابي والابتعاد

عن الاتجاه السلبي لهذه الوظائف والتي حذر منها الكثير من الباحثين أمثال روبرت ميرتون الذي يقول (قد تعمد وسائل الاعلام إلى نقل معلومات وأنباء تثير الفتنة داخل الدولة أو نشر عداء قوة أجنبية أو محلية أو مناخ الصراع أو الحرب أو قد تعمد على خدمة أغراض حاكم أو جماعة محددة ممن يهيمنون على وسائل الاعلام).

وروبرت ميرتون في هذا المجال يدعو إلى انتقاء الأفضل والمناسب مما يدور في شبكات الاعلام من معلومات وأفكار متولدة من برامج منوعة ومختلفة من حيث المصدر والمضمون والهدف.

الدبلوماسية ودورها في إدارة العلاقات الدولية

إن مما لا شكل فيه بأن "العلاقات" بمفهومها المطلق قد نشأت ووجدت منذ أن خلق الله الإنسان على هذه الأرض، لأن الإنسان لا يستطيع أن يعيش وحيداً منفرداً بعيداً عن أقرانه من البشر الآخرين، فهو كائن اجتماعي بطبعه، حياته ليست كاملة وشاملة بل انه يحتاج لكمالها وشموليتها وسد النقص فيها من التعامل مع الآخرين، وهذا التعامل توسع وازدادت آفاقه مع اتساع الآفاق المكانية وتطاول الفترات الزمانيه ، فكلما ازداد عدد البشر وكلما كثرت احتياجاتهم وتعددت تجمعاتهم ازدادت علاقاتهم بل كان من الضرورة أن يتم التواصل فيما بينهم، فالعلاقات وجدت منذ أن وجد قابيل وهابيل حيث أيام التاريخ الأولى لهذه البشرية.

جاءت نظريات كثيرة تحدثت عن التجمع البشري والإنساني وبعضها وضح أن الاجتماع الأول للبشر كان بسبب خوف الإنسان من مخاطر الطبيعة ورغبته في العيش في جماعات وليس منفرداً لكي يستطيع أن يواجه المخاطر التي يتعرض لها.

فهذا النظام الاجتماعي الذي وجد بسبب رغبة الإنسان من العيش في جماعات كانت تسود فيه "العلاقات"وكان لا بد من ذلك، بسبب تنوع المصالح واختلاف الحاجات، فكانت هناك العلاقات الاجتماعية من زواج ومصاهرة وتزاور وعلاقات اقتصادية من تبادل للسلع والحاجيات رغبة في استمرار العيش، أضف إلى ذلك العلاقات الأمنية والعسكرية التي اشتملت على المعارك والحروب وحماية التجمعات السكانية من مخاطر الاعتداء عليها وصد العدوان عنها والتحالفات مع التجمعات المجاورة...الخ. كل ذلك لم يأخذ طابعاً دولياً بعد بل كان على مستوى بسيط يتلاءم وطبيعة المجتمع الذي كان قائماً آنذاك.

ومع اتساع المجتمع وتطوره وانتقاله من مجتمع الفرد والأسرة إلى مجتمع القبيلة ثم القرية ثم المدينة ثم "الدولة" اتسعت معه نطاقات "العلاقات" وبدأت تأخذ طابعاً دولياً. رغم أن كثيراً من العلماء والمفكرين يرون أن "العلاقات الدولية" لم تظهر على السطح بالمفهوم الذي نعرفه اليوم إلا بعد مؤتمر "وست فاليا" عام 1648.

لذلك يبدو لنا مما سبق بأن العلاقات نشأت منذ نشأة الإنسان والمتصفح لتاريخ العلاقات الدولية يرى أنها قامت بين الحضارات القديمة وشملت كافة نواحي الحياة وأخذت أشكالاً وأنماطاً متعددة تلاءمت مع الظروف والأحوال التي كانت سائدة آنذاك.

العلاقات الدولية هي إحدى حقول المعرفة الإنسانية وقد ظهرت حديثاً-كعلم أكاديمي مستقل - حيث أفرزتها الأحداث الدولية المتلاحقة لذلك فهي مجال واسع للدراسة والبحث وهي متطورة ومتزايدة وذلك تزايد واتساع نطاق الأحداث الدولية لذلك فإننا نستطيع أن نطلق عليها "بنك الأحداث" فهي تستوعب وتخزن الأحداث والعلاقات التي تتشابك بين دول العالم يوما بعد يوم.

لذلك ظهر هذا العلم الحديث ليدرس الصلات والروابط التي تربط بين الدول شاملاً لكل نواحي الحياة اليومية التي تعترض حياة أي دولتين في العالم ويكون لها تأثير سياسي على العلاقات بينها.

أن مما دفع لزيادة الاهتمام بالعلاقات الدولية هو الأحداث الدولية الهامة كما أسلفنا والتي كان من أهمها في بداية القرن الماضي هو الحربين العالمتين الأولى والثانية وما صاحبها من تطورات في مجال التسلح والتبادل التجاري والثورة العلمية والتكنولوجية وحركات التحرر العالمية وغيرها من الأحداث الهامة.

ولا شك أن هذه العلاقات والصلات بين الدول تحتاج إلى طرق ووسائل تدار بها وقد كانت ابرز هذه الوسائل هي عملية التفاوض والتمثيل والاتصال بين الدول والحكومات والتي عرفت باسم " الدبلوماسية" .

مفهوم "الدبلوماسية".

يتفق اغلب الباحثين والمفكرين في هذا المجال بأن كلمة "الدبلوماسية" مشتقة من الكلمة اليونانية "دبلوما" (Diploma) والتي تعني المطوية أو الوثيقة، والتي كانت تعني فيما تعنيه الرسائل المطوية التي يتم تبادلها بين الملوك والرؤساء، وهذا المعنى ينسجم مع ما كان معروفاً في العهد الروماني من معنى لهذه الكلمة والتي كان يقصد بها جوازات المرور والسفر والتي كان يتم التعامل فيها وهي مطوية الشكل.

ما سبق هو المعنى اللغوي لهذه الكلمة أما تعريف "الدبلوماسية" اصطلاحاً وبالمعنى الحديث ففيه آراء كثيرة ومتعددة للمفكرين والباحثين، يجدر بنا أن نستعرض منها ما نستطيع بهدف توضيح معنى "الدبلوماسية".

الواقع انه عند سماع هذه الكلمة فانه يتبادر لذهن السامع أن لها ارتباط مباشر بالعلوم السياسية أو بالسياسة بشكل عام وقد يحدد السامع فهمه لها بأنها ترتبط بالعلاقات بين الدول، أي أنها ذات صلة بالعلاقات الدولية بل بالعلاقات بشكل عام، حيث أن كثيراً من الناس يستخدم هذه الكلمة في حياته اليومية عندما

يريد أن يصف إنساناً لبقاً في التعامل وقادراً على أداء مهمته بكفاءة عالية ولباقة واضحة فيقول عنه انه إنسان "دبلوماسي". أي لديه قدرة وفن في التعامل وهذا نسمعه ونلاحظه كثيراً في حياتنا اليومية. وهذا المعنى المتداول هو صورة مصغرة لفن "الدبلوماسية" وما تؤديه في مجال الحياة اليومية في ميدان العلاقات بين الأمم والشعوب.

كما اشرنا سابقاً فقد تنوعت التعاريف لهذا المصطلح وذلك حسب وجهة نظر كل مفكر، وما هي الأسس والظروف التي أطلق فيها هذا التعريف، ومن هذه التعاريف:

- الدبلوماسية تعني: عملية التمثيل والتفاوض التي تجري بين الدول في غمار إدارتها لعلاقاتها الدولية.
- مجموعة القواعد والأعراف الدولية والإجراءات والمراسم والشكليات التي تهتم بتنظيم العلاقات بين الدول والمنظمات الدولية والممثلين الدبلوماسيين... وفن إجراء المفاوضات السياسية في المؤتمرات والاجتماعات الدولية وعقد الاتفاقات والمعاهدات.
- يعرفها الخبير الدبلوماسي الأمريكي "جون كينان": أنها عملية الاتصال بين الحكومات.
- هي فن إدارة العلاقات الخارجية أو أسلوب رعاية مصالح الدولة في الخارج ولدى الدول الأخرى، وهي الأساليب السياسية التي تتبعها الدولة في تنظيم علاقاتها مع الدول الأخرى.
- ومن أجمل تعاريف الدبلوماسية هو أنها (فن الحصول على الممكن بدلاً من انتظار المستحيل).

هناك الكثير من التعاريف لمفهوم الدبلوماسية ومعظمها يصب في موضوع التفاوض والتمثيل بين الدول وكيفية إدارة هذه العلاقات والمفاوضات وكيفية أداء هذه المهمة من قبل الشخص الملقى على عاتقه هذا الواجب وهو "الدبلوماسي". ومدى قدرته ومدى امتلاكه للفنون والأدوات اللازمة لإنجاح هذه المهمة.

والواقع أن الدبلوماسية بهذا المعنى وبهذه الأدوات (التمثيل والتفاوض) ظهرت -وكما اشرنا في مقدمة هذا الموضوع - مع ظهور الإنسان وارتكابه أول جريمة في التاريخ والتي كانت هي بداية الحرب بين بني الإنسان، وبسبب رغبة الإنسان للعيش بسلام وهدوء ليحقق ذاته وكيانه ويعيش مستقراً مطمئناً غير خائف ممن حوله من الناس كان لا بد من عقد التحالفات وإجراء المفاوضات وتوقيع مختلف أنواع الاتفاقيات وهذا كله يحتاج إلى من يمارس هذا العمل ويؤدي هذا

الدور، ألا وهو "الدبلوماسي". وهذا الأمر يقودنا إلى العودة للجذور التاريخية لتطور الدبلوماسية.

التطور التاريخي للدبلوماسية.

سبقت الإشارة إلى أن الدبلوماسية بأشكالها ومظاهرها المختلفة هي أسلوب قديم قدم بني ادم فلقد عرفنا انه ومنذ أن وجدت الأسرة والقبيلة وكونت الجماعات نشأت العلاقات وعرفنا أيضاً أن العلاقات اتخذت مسارات مختلفة، فمنها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعسكرية والأمنية وغيرها وكل هذه المسارات تحتاج إلى التفاوض من اجل إدامتها واستمرارها. وهذا ما كانت تلجأ إليه الأمم والشعوب في تعاملاتها مع بعضها البعض حيث يتم إرسال السفراء والمبعوثين وذلك لعرض وجهات نظر بلادهم وتوضيح رأيهم في مسألة ما والحصول على الجواب من الطرف الآخر المفاوض لهم. ويتضح ذلك جلياً في التفاوض بشأن تنظيم العلاقات العسكرية والحربية والأمنية، حيث كان يتم إرسال المبعوثين من اجل إيقاف القتال والحصول على هدنه معينة أو معاهدة أو اتفاقية ما بقصد إحلال الأمن والسلم بين الطرفين المتحاربين، وقد برع في التفاوض رسل ومفاوضون كانوا معروفين في بلادهم ولدى حكامهم، يمتلكون اللباقة والمهارة والموهبة وبُعد النظر وغيرها من الصفات الهامة والضرورية لمن يقوم بهذه المهمة من اجل تحقيق النجاح في عمله.

لقد تطورت الدبلوماسية واختلفت أساليبها ووسائلها باختلاف الدول والحضارات ومارستها الشعوب والأمم على الصعيدين الداخلي والخارجي.وتاريخنا العربي يشير الى ان العرب كان لهم تاريخ دبلوماسي حتى قبل مجيء الإسلام لقد مارس العرب العمل الدبلوماسي من خلال إقامة العلاقات بأنواعها المختلفة سواء على الصعيد الداخلي أو الصعيد الخارجي، حيث قاموا ببناء الروابط والتفاعلات مع الدول المجاورة لهم بحكم الموقع الجغرافي والتقارب المكاني، فأنشأوا العلاقات مع دول الأطراف المحيطة بهم مثل حمير وسبأ ومعين، وبلاد سوريا الطبيعية وبلاد فارس وبلاد إفريقيا والشعوب التي كانت تعيش في هذه البلاد.

واستخدم العرب الرسل كأفضل وسيلة للاتصال وإقامة العلاقات فكانوا يرسلون الرسول لينقل وجهة نظرهم في قضية ما ويجري التفاوض وتبادل الآراء مع الطرف الآخر وصولاً إلى ما يحقق الهدف الذي ذهب من اجله.

وكان العرب من الذكاء بمكان حيث يستخدمون لهذه المهمة الرجال الذين كانت تتوفر فيهم مجموعة من الصفات والشروط التي لا تتوفر بغيرهم ومنها: اللباقة، وحسن المظهر والنطق السليم وقوة الشخصية والحكمة والرزانة والدهاء والفطنة والذكاء وقد قالت العرب قديماً: "أرسل حكيماً ولا توصه". وذلك لان الحكمة لها مفعول سحري وقوي في التأثير على الآخرين ومن اقوالهم أيضاً: "سفير السوء يفسد البين".

ولقد كان من عادة العرب احترام الرسول وعدم الاعتداء عليه أو إيذائه (الحصانة) وإكرامه وحسن استقباله وهذا نابع من جوهر الصفات الطيبة التي كان يتمتع بها الإنسان العربي.

وعندما جاء الإسلام عزز "العمل الدبلوماسي" وعمل على تطويره حيث اتبع الرسول (ص) وسيلة إرسال الرسل والمبعوثين والسفراء لنقل رسائله إلى ملوك وأمراء الدول المجاورة للجزيرة العربية بأطرافها المختلفة مستخدماً أساليب جديدة في اللباقة والدقة وانتقاء الألفاظ المتينة والقوية والمؤثرة في كتابة هذه الرسائل مما كان له الأثر الأكبر في تطوير علاقات الدول الإسلامية بغيرها من الدول .

ومن الأسس الدبلوماسية الهامة أن الإسلام كان وما زال يحترم الرسل ولا يعتدي عليهم بل كانوا يتمتعون بالأمان والاطمئنان في دار الإسلام لأن الإسلام دين لا ينقض العهد والميثاق ولا يخلف العهد والوعد ولا يعتدي لأن الله لا يحب المعتدين. فبمجرد دخول السفير أو المبعوث إلى دار الإسلام فهو في عهد وأمان إلى أن يغادرها.

الدبلوماسية اليوم :

أما الدبلوماسية في العصر الحديث فشأنها شأن أي شيء آخر في هذا العالم فقد تأثرت بالتطورات والتغيرات الكثيرة التي شهدها العالم، فقد تأثرت بالتطورات الصناعية والاختراعات العلمية وتطور وسائل الاتصال والمواصلات وانتشار ظاهرة العولمة ودور الدبلوماسية في هذا العالم الذي أصبح قرية صغيرة بالإضافة إلى وقوع الأحداث العالمية الشاملة كالحروب العالمية الأولى والثانية وما صاحبها من عقد المؤتمرات وإجراء المفاوضات وتوقيع المعاهدات والاتفاقيات كل ذلك أدى إلى تطور مفهوم الدبلوماسية واتساع آفاقها وبروز أهميتها أكثر مما مضى من الأوقات فأخذت أشكالاً متعددة ومتطورة ابتدأ من بالدبلوماسية الثنائية والدبلوماسية

المتعددة الأطراف مرورا بالدبلوماسية الجماعية والوقائية والشعبية وانتهاءً بدبلوماسية المؤتمرات والاجتماعات الدولية .

وجاء مؤتمر (وست فاليا) عام 1648 ليرسخ مفهوم التمثيل الدائم للبعثات الدبلوماسية ويعمل على استقرار هذا النظام وذلك ترسيخاً للأمن والسلم والاستقرار في أوروبا خاصة وفي العالم عامة. وذلك لما للمبعوث الدبلوماسي من أهمية ودور في المحافظة على العلاقات الدافئة والحميمة بين الدول.

ولكن بقيت الدبلوماسية بحاجة إلى تطوير في جوانبها كافة من حيث واجبات المبعوث وحدوده التي يجب أن لا يتجاوزها في الدولة المضيفة والأساليب التي يجب عليه إتباعها وما هي حصاناته وامتيازاته والإجراءات العقابية التي قد يتعرض لها فيما لو انتهك قانون الدولة المضيفة أو اطلع على أسرارها وخصوصياتها.

كل هذه الأمور كانت لم تتبلور بعد إلى أن عقد مؤتمر فينا عام 1815 والذي كان له الدور الأكبر في توضيح الكثير من الأمور التي تتعلق بالعمل الدبلوماسي والتي كان من أهمها: درجات المبعوثين وأقدمياتهم وفئاتهم والتي كانت موضع خلاف بين كثير من البعثات الدبلوماسية والتي كانت سبباً رئيساً كاد أن يؤدي إلى قيام الحروب والنزاعات بين الدول بسبب هذا النوع من الخلاف. لذا جاء هذا المؤتمر ووضع النقاط على الحروف لكثير من المواضيع الهامة في مجال العمل الدبلوماسي.

ثم توالت الأحداث العالمية والتغيرات الكثيرة الشاملة لكافة نواحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية وهذا التغير والتطور اثر بطبيعة الحال على العمل الدبلوماسي فأحدث فيه ما لم يكن فيه، وخصوصاً بعد أن شهد العالم قيام الحروب العالمية التي ساهمت بالتأثير على العلاقات الدولية وساهمت أيضاً بازدياد التطور والتقدم العلمي وظهور المزيد من الاختراعات والاكتشافات وتطور وسائل الاتصال والمواصلات وسرعة تبادل المعلومات والمراسلات، هذا كله ساهم بالتأثير وبشكل مباشر على العمل الدبلوماسي مما تتطلب واستدعى تطوير الدبلوماسية واستحداث أشياء جديدة فيها يتطلبها الوضع الجديد.

وازداد هذا التطور وهذا التغير بعد الحرب العالمية الثانية وبرز موضوع المصالح بين الدول بشكل واضح ومدى تأثير ذلك على السياسة الخارجية للدول وبروز أهمية الدبلوماسية كوسيلة رئيسية من وسائل تنفيذ السياسة الخارجية.

واهتمت الأمم المتحدة بعد أن أنشأت عام 1945 بموضوع الدبلوماسية من أجل تطوير العمل الدبلوماسي بما يتلاءم مع التطور الكبير الذي أصاب العلاقات

الدولية وتغير نمط النظام الدولي مما أدى وبعد مداولات كثيرة بين الدول الأعضاء إلى عقد مؤتمر دولي عام 1961 في فينا في النمسا ونتج عنه اتفاقية دولية تنظم العلاقات الدبلوماسية واشتملت على قواعد كثيرة وشاملة تنظم وتحكم العمل الدبلوماسي والقنصلي.

أما في عالم اليوم الذي ذابت فيه الحدود وتلاشت فيه الفواصل بين الدول والشعوب وسادت فيه قيم العولمة وأصبح سكان الأرض جيران في عالم واحد زادت أهمية الدبلوماسية بل أصبحت ضرورة ملحة ووسيلة هامة لتحقيق حلم الشعوب في أرجاء المعمورة للعيش بسلام وطمأنينة بعيدا عن الحروب والعنف وخاصة مع نمو روح المصالح المشتركة بين الأمم وتداخل علاقاتهم ، إضافة إلى سرعة تغير العلاقات الدولية بسبب التقدم العلمي وتطور وسائل الإعلام ووسائل الاتصال والمواصلات واثر ذلك كله على تغير السياسيات الخارجية للدول والتي تعتبر الدبلوماسية الأداة الأولى لتنفيذها... ، وإذا ما علمنا أن العلاقات الدولية هي حاصل جمع السياسيات الخارجية لوحدات المجتمع الدولي ندرك أهمية وقيمة الدبلوماسية في صنع وإدارة العلاقات الدولية .

وعالم اليوم هو اشد ما يكون إلى لغة الحوار والتفاهم وتبادل وجهات النظر أكثر من حاجته إلى العنف والتطرف والتشدد والوسيلة الأفضل والانجح لتحقيق ذلك هي الأداة الدبلوماسية فقط لا غير ، إن ما نشهده اليوم من اضطراب وحروب في أرجاء العالم تفرض على الحكماء والعقلاء أن يجعلوا من الدبلوماسية الطريق الوحيد لحل مشكلات هذا العالم .

من الأدوار الهامة للدبلوماسية في العلاقات الدولية :

1. تعتبر الأداة الأولى من أدوات تنفيذ السياسة الخارجية للدولة .
2. الوسيلة الأولى لصناع القرار لتسويغ قراراتهم وإقناع الآخرين بها في إطار حركة التفاعل الدولي .
3. مثار اهتمام الأوساط الإعلامية في العالم لما لها من دور في تسيير الشؤون الدولية
4. الوسيلة الأولى للدول لتسهيل قيام علاقات ودية وسلمية بينها .
5. الدبلوماسية هي الأداة الأولى لذلك الشخص المعني بممارسة التفاوض والتمثيل لبلادة (الدبلوماسي) يستخدمها لتقريب وجهات النظر والتوفيق بين مصالحة بلادة والبلاد الأخرى .
6. تستخدمها الدول بعد استقلالها وتحقيقها السيادة الوطنية لإثبات الذات في المجتمع الدولي حيث يتم ممارسة الدبلوماسية بمظاهرها كافة كالتمثيل الدبلوماسي والإعلام والتفاوض وعقد المعاهدات .

7. وسيلة لتحقيق السلام في حركة تفاعل المجتمع الدولي لذلك فهي تدخل في دائرة المدرسة المثالية (الأخلاقية – القانونية) والتي تتفاعل ببناء عالم خالي من النزاع والصراعات .

الدبلوماسية الفلسطينية إنجاز وتحدي

السلك الدبلوماسي الفلسطيني هو ثمرة انتاج وطني بامتياز ، حتى منذ انطلاق الثورة الفلسطينية في ستينات القرن الماضي الى يومنا هذا ، حرصت القيادة الفلسطينية على ابراز العلاقات الدولية كعنصر من عناصر إثبات الهوية والذات رغم انها كانت تقتصر على المعسكر الشرقي ودول عدم الانحياز ، حتى انه كان يوصف فخامة الاخ الرئيس الشهيد ياسر عرفات بانه يعيش في طائرة حيث كان يجوب الارض غرباً وشرقاً شمالاً وجنوباً ليجعل القضية الفلسطينية حاضرة ماثلة في أذهان الكون بأجمعه ، فأصبحت كوفيته شعاراً دولياً ، زاد الخناق على القيادة الفلسطينية آنذاك للجمها عن نشاطاتها الدبلوماسية ، مما زاد من تحديها ، فأصبحت اكثر قوة وصلابة ، اكثر إيماناً بعدالة قضيتها ، أشد جرأة في المحافل الدولية .

فحركة فتح أحد اكبر حركات التحرر الوطني في العالم المعاصر والاوسع انتشاراً والاكثر تأثيراً آمنت وما زالت بأن العمل الدبلوماسي والعلاقات الدولية أقوى من بطش الاحتلال وأشد من جبروت السجان ، فكانت من أُولى ثمرات العلاقات الدبلوماسية هي عملية السلام ، فعادت القيادة الفلسطينية مع قرابة ربع مليون مناضل فلسطيني الى فلسطين الى ارض الوطن ، فبرز نوع جديد من النضال هو نضال التفاوض ، هو نضال العمل الدبلوماسي الفلسطيني ، فوصف المراقبين السياسيين بان لغة التفاوض الدبلوماسي هي من اقوى اللغات واشدها تأثيراً . من هذا المنطلق حقق المفاوض الفلسطيني نتائج عظيمة على الارض ، تمرس المناضل الفلسطيني في خندق التفاوض والعمل الدبلوماسي ، فكان نجاح الدبلوماسية الفلسطينية متوجاً في التحدي في اعلان فخامة الاخ الرئيس محمود عباس لدولة فلسطين في الامم المتحدة ، فدخول دولة فلسطين الى أورقة الامم المتحدة هو نتاج كفاح وعمل السلك الدبلوماسي الفلسطيني للقيادة الفلسطينية ، نجاح تلو نجاح ، وآخرها الانتصار الذي حققته فلسطين حيث اعلن عميد الدبلوماسية الفلسطينية الدكتور رياض المالكي بالتحدي الجديد لدولة فلسطين في منظمة 'اليونسكو'، المتمثل بانتزاع تعهد إسرائيلي مُلزم باستقبال بعثة خُبراء دوليين من عدة مرجعيات دولية، لزيارة القدس المحتلة ومعاينة الأوضاع على الارض ، ورفع تقرير للمديرة العامة لمنظمة 'اليونسكو' فور انتهاء الزيارة.

إن النجاح الكبير والنوعي الذي تحقق في منظمة 'اليونسكو' ، يتمثل بخضوع إسرائيل كقوة قائمة بالاحتلال لإملاءات دولة فلسطين، والمملكة الأردنية الهاشمية مدعومتان بالموقف العربي الموحد، وعبر تأييد كافة المجموعات الإقليمية وخاصة الإسلامية ودول عدم الانحياز، والإفريقية، والأميركية الجنوبية بقبولها، (إسرائيل)، السماح وللمرة الأولى منذ سنوات الاحتلال الطويلة بدخول لجنة تقصي حقائق مشكلة من قبل 'اليونسكو'، وبتسمية أعضائها من قبل دولة فلسطين، للتحقيق في كامل الإجراءات الاحتلالية منذ احتلال القدس من قبل دولة إسرائيل عام 1967، والتي لها علاقة بالأماكن المقدسة والتراثية والتاريخية والدينية والمشمولة بالقدس القديمة وبسورها ومعالمها، على أن تحظى تلك اللجنة بالحرية المطلقة بالعمل في القدس، وبتفقد أي موقع ترتئيه مناسبا والتعامل مع المعطيات الحية على الأرض من حفريات أو بناء، ودون أية إعاقة أو تدخل من الجانب الإسرائيلي.

هذا هو التحدي والانجاز والانتصار ايها الدبلوماسية الفلسطينية .

مراجع

- كتاب "البروتوكول الدبلوماسي" - د. علاء أبو عامر - دار الشروق.
- كتاب "العلاقات العامة مفاهيم وممارسات" - محفوظ أحمد جودة - ،دار زهران للنشر.
- "البروتوكول" - موسوعة مقاتل. [1]
- الإتحاد الدولي لضبّاط ومستشاري البروتوكول
- موقع وزارة الخارجية الأمريكية - دائرة البروتوكولات
- كتاب البروتوكول الدبلوماسي والعمل الدبلوماسي - علي ضاهر الطفيلي.
- مرجع : د.خالد محمد غازي .. رئيس تحرير وكالة الصحافة العربية بالقاهرة
- الكتابة مهنة مقدسة: نبيل فرج، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (1998).
- سلطة وسائط الإعلام في السياسة: دوريس ايه، جريبر،ترجمة اسعد لبدة، دار البشير، عمان (1999).
- المتلاعبون بالعقول: هربرت، ا، شيللر، ترجمة عبد السلام رضوان، عالم المعرفة: الكويت، العدد (243)، آذار(1999).
- مدخل علم النفس: ليندا، ل، دافيدوف، ترجمة: سيد الطواب وآخرون، دار ماتجروهيل، القاهرة (1983).
- أفلام العنف والسلوك العدواني: محمد حمدي الحجار، مجلة الثقافة النفسية، العدد (38) شباط (1999م).
- موسوعة علم النفس والتحليل النفسي: فرج عبد القادر طه، دار سعاد الصباح، الكويت (1993م).
- لعبة وسائط الإعلام: ستيفن اينزلابير ودوي بير وشاتتواينجر، ترجمة شحدة فارع، دار البشير، عمان(1999م).
- الاجتماع ج1: السيد محمد الحسيني الشيرازي، دار العلوم، بيروت (1992م).
- التعبير اللغوي وعلاقته بالنفس والجسد: بسام بركة، مجلة الثقافة النفسية العدد (9) ك2 (1992م).
- السبيل إلى إنهاض المسلمين: السيد محمد الحسيني الشيرازي، مؤسسة الفكر الإسلامي، بيروت (ب،ت).
- قصف العقول: فيليب تايلور، ترجمة: سامي خشبة، عالم المعرفة، الكويت العدد (256) إبريل/نيسان (2000م).
- من ندرة المعلومات إلى ثورة المعلومات (الحق في الاتصال أم الحق في الهوية): طاهر عبد مسلم، مجلة الكلمة، العدد (27) ربيع (2000م).
- الصحافة الحرة بين المشروع واللامشروع: السيد جعفر الشيرازي، مجلة النبأ، العدد (47) تموز (2000م).
- عمر الجويلي: العلاقات الدولية في عصر المعلومات. // القاهرة: السياسة الدولية، 1996/123.
- ابراهيم امام: الاعلام والاتصال بالجماهير، القاهرة، 1969.
- احمد بدر: الاتصال بالجماهير بين الاعلام والتطويع والتنمية، القاهرة، 1998.
- أحمد وهبان، التخلف السياسي وغايات التنمية السياسية، دار الجامعة الجديدة للنشر، 2000
- ادوين امري واخرون: الاتصال الجماهيري، ترجمة: ابراهيم سلامة، القاهرة، 2000

- ثروت مكي: الاعلام والسياسة وسائل الاتصال والمشاركة السياسية، القاهرة، 2005.
- خالد ممدوح العزي: سلطة الإعلام السياسي وتأثيره على الشعب، والمجتمع اللبناني نموذجا،2011، الحوار المتمدنhttp://www.ahewar.org :
- د. الطاهر محمد حمد الشيخ الفادني: الاتصال السياسي والحملة الانتخابية، http://www.arrasid.com
- د. شامل رضوان: الإعلام وسيكولوجية الخطاب السياسي البحث عن التبرير، http://annabaa.org
- د. عبد الناصر فتح الله: إشكاليات الاتصال السياسي المعاصر، محاظرة القيت في كلية الاداب جامعة البحرين، http://nasserfattahallah.blogspot.com
- د. علي الخشيبان: مقالات اليوم صراع القيم بين السياسة والإعلام، جريدة الرياض اليومية
- سعد الكناني: وجهه نظر في الإعلام السياسي الحكومي، الحوار المتمدن، http://www.ahewar.org
- سمير محمود ناصر: أهمية الإعلام والدعاية في السياسة، الحوار المتمدن : http://www.ahewar.org
- عبدالله موسى: البيئة السياسية والإعلام السياسي في الجزائر، مؤسسة النبأ للثقافة والإعلامhttp://www.annabaa.org :
- ماجد عبد الغفار الحسناوي: كيف يصنع الإعلام السياسي، http://www.albayyna-new.com
- ناجي الغزي: دور الاعلام في الاتصال السياسي واثره على الجمهور، الحوار المتمدن، الأنترنت .

المحتويات